

[(سلاح الخطيب والداعية)]

((الجزء الثالث))

اشتمل الكتاب على ما يلي:

-أحوال أهل الكتاب قديما وحديثا، ومواقف المسلمين منهم.

-أهم غزوات النبي صلى الله عليه وسلم.

-خطب عامة متفرقة.

تأليف/

أبي عبد الرحمن موفق بن أحمد بن علي

الفاضلي العودي

كان الله له في الدارين.

المقدمة

الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن مقام الدعوة إلى الله تعالى مقام عظيم، بل هو مقام الأنبياء والصالحين، وقد قال ربنا في كتابه الكريم: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [سورة فصلت : 33]

وقد رتب الله على هذا العمل أجورا كثيرة، وفوائد غزيرة؛ لأن نفعه متعدٍ إلى الغير، فقد روى البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عليا بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر فقال له: " عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَّكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ ".

وروى مسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا ".

والدعوة إلى الله نوع من الجهاد في سبيل الله تعالى، وهو الجهاد بالحجة والبيان، قال الله: { فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } [سورة الفرقان : 52] قال ابن كثير {وجاهدكم به} أي بالقرآن الكريم.

وإن من أعظم أساليب الدعوة إلى الله لهو الدعوة بالخطابة، بل هو أهمها وأشها، فكم قد نفع الله بالخطباء الذين يوجهون الناس ويرشدونهم من كتاب الله ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقد يخطب الخطيب خطبة مدعمة بالأدلة من الكتاب والسنة من أحد كتب الخطب فينتفع الناس بهذه الخطبة

نفعا عظيما، ويجعل الله فيها من البركة ما الله به عليم، وهذا بفضل الله ثم ببركة هذه الدعوة المباركة دعوة أهل السنة والجماعة، فقد انتفع المسلمون بكتبهم وخطبهم ودروسهم ولله الحمد والمنة.

فمن هذا المنطلق، ولشدة حاجة الناس إلى كتب الخطب أكثر من غيرها عازمت على مواصلة الكتابة في الخطب لعل الله ينفعني بها والمسلمين، فبين يدينا كتاب جديد للخطب بعنوان: **[(سلاح الخطيب والداعية)]** الجزء الثالث، وقد اشتمل على ثلاثة فصول وهي كالتالي:

الفصل الأول: أحوال أهل الكتاب قديما وحديثا، ومواقف المسلمين منهم.

الفصل الثاني: أهم غزوات النبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثالث: خطب عامة متفرقة.

وقد يسر الله وأعان على كتابة الجزء الأول وهو مطبوع بحمد الله، وكذلك الجزء الثاني، وهو تحت الطباعة يسر الله إخراجه، ولي كتابان آخران في الخطب، أحدهما في خطب المناسبات السنوية، والآخر خطب رمضان والعيدين ويشتمل على دروس رمضانية، نسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

الفصل الأول

أحوال أهل الكتاب قديما وحديثا، وأحوال المسلمين معهم

ومواقف المسلمين منهم.

- ١- خطبة بعنوان [(مكر بني إسرائيل منذ زمن قديم)]
- ٢- خطبة بعنوان [(مناهج اليهود السوداء عبر التاريخ)]
- ٣- خطبة بعنوان [(يوشك أن تداعى عليكم الأمم)]
- ٤- خطبة بعنوان [(إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع)]
- ٥- خطبة بعنوان [(أسباب نصر المسلمين على أعدائهم)]
- ٦- خطبة بعنوان [(أسباب انهزام المسلمين أمام أعدائهم)]
- ٧- خطبة بعنوان [(أسباب النصر والهزيمة)]
- ٨- خطبة بعنوان [(أهمية الدعاء في النصر على الأعداء)]
- ٩- خطبة بعنوان [(أسباب عز المسلمين وأسباب ذلهم)]
- ١٠- خطبة بعنوان [(وعد الله بخفظ هذا الدين من كيد الكائدين والماكرين)]
- ١١- خطبة بعنوان [(إعلام الناس بأن قوة الله أعظم من قوة أمريكا وحلفائها الأرجاس)]
- ١٢- خطبة بعنوان [(تحذير أمريكا وحلفائها من العقوبات التي نزلت بأسلافها)]
- ١٣- خطبة بعنوان [(للتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة)]

خطبة بعنوان

[(مكر بني إسرائيل وعنادهم منذ زمن قديم)]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ }

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فيقول رب العزة والجلال في محكم التنزيل: { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } [سورة البقرة

[40 :

يذكر الله بني إسرائيل - وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام - يذكرهم بنعمه الكثيرة التي أنعم عليهم بها، منها إهلاك فرعون الذي كان يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، فأورثهم أرضه ومملكته، وأنعم عليهم باليمن والسلوى، وإنزال المائدة من السماء، وفجر لهم من الحجر اثنتي عشرة عينا، وبعث منهم الأنبياء، وغير ذلك من النعم، ثم أمرهم بالوفاء بعهد الذي عهد إليهم، وهو الإيمان بالنبي الأمي الذي أخبرت به رسلهم وصدقت به كتبهم، ولكنهم لم يفوا بعهدهم، وإنما كفروا بربهم وعصوا رسوله، وفعلوا الأفاعيل، فغضب عليهم ولعنهم وصاروا شر البرية في الأرض.

فإن الناظر - يا عباد الله - إلى سيرة بني إسرائيل يجدهم أصحاب معاصي و غدر وخيانة وعناد منذ زمن موسى عليه السلام إلى زمان الناس هذا، إلا من وفقه الله منهم وهدهم وهم قلة قليلة، وإلا فإن أكثرهم بغاه وظلمة، وعصاة وفجرة، فقد عصوا نبيهم موسى عليه السلام، وعاندوه وآذوه فمن باب أولى غيره من الأنبياء، قال تعالى: **{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }** [سورة الصف : 5]

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: **(فلما زاغوا الله قلوبهم)** أي : فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ، أزاع الله قلوبهم عن الهدى ، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان " ١.هـ

وقال المفسر السعدي رحمه الله: **{ فَلَمَّا زَاغُوا }** أي: انصرفوا عن الحق بقصدتهم **{ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ }** عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم ورضوه لها، ولم يوفقهم الله للهدى، لأنهم لا يليق بهم الخير، ولا يصلحون

إلا للشر، **{ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }** أي: الذين لم يزل الفسق وصفا لهم، لا لهم قصد في الهدى"أ.هـ

وقد أعلمهم الله وقضى كونا أنهم سيفسدون في الأرض، وأنه سيسلط عليهم خلقا من خلقه أولي بأس شديد، وذوي عدد وعدة فيقتلونهم ويسبون نساءهم ويدخلون ديارهم، كما قال تعالى: **{ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا (4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5) }** [سورة الإسراء : 4 إلى 5]

فقد كان في خبر بني إسرائيل الأعاجيب، إذ كان من شأنهم أنهم لما خرجوا من البحر وقد نجاهم الله من بطش فرعون وأهلكه وهم ينظرون، فنسوا معبودهم الذي نصرهم وأهلك عدوهم، إذ بهم يمرون على قوم يعبدون الأصنام، فقالوا يا موسى اجعل لنا إلها نعبده كما لهؤلاء آلهة يعبدونها، قال الله مخبرا عنهم، ومذكرا لهم بنعمته عليهم: **{ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140) وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ لِيُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (141) }** [سورة الأعراف : 138 إلى 141]

ولا تزال هذه الشبهة عالقة بقلوب الكثير منهم حتى عبدوا العجل، وكان ذلك حينما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه لينزل عليهم التوراة فلم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل، وقد حذرهم موسى عليه السلام وأنذر، ووعظهم وذكر، ثم حذرهم هارون عليه السلام من عبادة العجل فاستحقروا كلامه وكادوا أن يقتلوه، فلم ينجع معهم نصيح ولا تذكير، ولكن حالهم كما قال الله: **{ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }** [سورة المائدة : 41]

وقال تعالى: **{ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ }** [سورة البقرة : 92]

وقال سبحانه: **{ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ }** [سورة الأعراف : 152]

ثم اختار موسى منهم سبعين رجلاً من خيارهم، ليعتذروا لقومهم عند ربهم، ووعدهم الله ميقاتاً يحضرون فيه، لكنهم تجرأوا على الله وعلى رسوله بقولهم لموسى عليه السلام: **{ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56) }** [البقرة: 55: 56]

وقال الله: **{ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنِ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنِ تَشَاءُ ۖ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا }**

وَارْحَمْنَا^ط وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155) { سورة الأعراف : 146 إلى
[155]

قال السعدي رحمه الله : "و لما تاب بنو إسرائيل وتراجعوا إلى رشدهم اختار موسى منهم سبعين رجلا من خيارهم، ليعتذروا لقومهم عند ربهم، و وعدهم الله ميعاتا يحضرون فيه، فلما حضروه، قالوا: يا موسى، أرنا الله جهرة فتجروا على الله جراءة كبيرة، وأساءوا الأدب معه، فأخذتهم الرجفة فصنعوا وهلكوا، فلم يزل موسى عليه الصلاة والسلام، يتضرع إلى الله ويتبتل ويقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل أن يحضروا ويكونون في حالة يعتذرون فيها لقومهم، فصاروا هم الظالمين" **ا.هـ**

ثم أخذ الله عليهم الميثاق بالإيمان به وبرسوله وأمرهم بالسجود له، فأبوا أن يمتثلوا فرفع الله الجبل فوقهم فخافوا وسجدوا، فكانوا ينظرون إلى الجبل بشق وهم ساجدون، ويسجدون بالشق الآخر، فرحمهم الله وكشفه عنهم، لكنهم بعد ذلك تولوا ونقضوا العهد، كما أخبر الله: **{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ قُلُوبًا فَضَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُمْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ (64) }**
سورة البقرة : 63 إلى 64]

وقال الله: **{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا^ط قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ^ط قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ }** [سورة البقرة : 93]

ولما أمرهم الله أن يدخلوا القرية التي فيها رزقهم ورغد عيشهم، وأمرهم أن يستغفروا الله لذنوبهم، وأن يدخلوها سجدا خاضعين ذليلين، استبدلوا قولا غير الذي قيل لهم، ودخلوا يزحفون على أدبارهم وهم يقولون حبة حنطة، يحرفون

الكلم عن مواضعه،فانتقم الله منهم بأن أرسل عليه رجلا من السماء، قيل هو الطاعون قتل الآلاف منهم، وقيل هو عذاب عذبهم الله به،قال تعالى: **{وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۖ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59)}**[البقرة ٥٨:٥٩]

ثم أمرهم الله أن يعظموا يوم السبت،ونهاهم عن الاصطياد فيه،فابتلاهم بظهور الأسماك على وجه البحر طافية كثيرة،فانتهكوا حرمان الله واحتالوا على شرع الله،فنصبوا الشباك يوم الجمعة ثم جاءت الأسماك يوم السبت فامتلات الشباك منها،ثم أخذوها يوم الأحد فمسخهم الله قردة وخنازير،قال الله: **{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163)}** البقرة

وقال الله: **{ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ }** [سورة البقرة : 65]

ولما أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة وهي بيت المقدس لجهاد القوم الجبارين الذين تملكوها واستحوذوا عليها ووعدهم بالنصر والظفر،فخالفوه وعصوا أمره،ثم انبرا لهم رجالا صالحان صابران موقنان بنصر الله، فوعظاهم وبشراهم بالنصر والتمكين إن هم توكلوا على الله واعتمدوا عليه،فنكلوا عن الجهاد ولم ينصروا نبيهم وتخلفوا عن قتال عدوهم،بل قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون،فعاقبهم الله بالتيه في الأرض أربعين سنة محتارين لا يدرون أين يتوجهون،وانظر الفرق بين مقاتلتهم ومقالة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حينما شاور أصحابه في القتال يوم بدر ولم يحتم عليهم،فقالوا يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: **{ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا }**

قَاعِدُونَ { ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يدك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك، قال الله عن أصحاب موسى. **{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (20) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكُمُ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26) }** [سورة المائدة : 20 إلى 26]

قال ابن كثير في تفسيره: " يقول تعالى لائماً لهم على نكولهم عن الجهاد ودخول الأرض المقدسة ، لما قدموا من بلاد مصر صحبة موسى ، عليه السلام ، فأمروا بدخول الأرض المقدسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل ، وقتال من فيها من العماليق الكفرة ، فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا ، فرماهم الله في التيه عقوبة لهم ، كما ذكره تعالى في سورة المائدة ؛ ١٠هـ

-ولما مات موسى عليه السلام أرسل الله إليهم نبيا بعده فجاءوا إليه يطلبون منه أن يجعل لهم ملكا يقاتلون معه، فجعل الله لهم طالوت ملكا، فنكل أكثرهم عن الجهاد ولم يقاتل إلا القليل، وهؤلاء القليل اختبرهم طالوت بالنهر، فمنعهم من الشرب منه إلا الغرفة اليسيرة فشربوا منه إلا قليلا منهم، فلم يبق إلا نحو ثلاثمائة وبضعة عشر، فواجهوا عددا هائلا وجمعا غفيرا، فتوكلوا على الله واعتمدوا عليه، وتضرعوا بين يديه بالدعاء، فنصرهم الله عليهم، وكان ذلك في زمن نبي الله داود عليه السلام ، فهو الذي قتل ملكهم جالوت كما صرحت الآيات بذلك ، قال تعالى: **{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا**

مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا^{٢٤} فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ^{٢٥} وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ { [سورة البقرة : 246]

إلى قوله تعالى: { فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ^{٢٦} } الآية [سورة البقرة : 251]

-فبنو إسرائيل أمة ملعونة في التوراة على عهد موسى عليه السلام، وهم أمة
ملعونة في الزبور على عهد داود عليه السلام، وهم أمة ملعونة في الإنجيل
على عهد عيسى عليه السلام، إلا من آمن منهم بالله واتبعوا رسله، قال الله
في كتابه الكريم: { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ^{٢٧} ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ
عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ^{٢٨} لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا^{٢٩} لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ
هُمُ خَالِدُونَ (80) } [سورة المائدة : 78 إلى 80]

-وفي عهد عيسى عليه السلام أنزل الله عليهم المائدة، فكفروا بها ولم
يشكروها، قال الله: { إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ
أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ^{٣٠} قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (112)
قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا
مِنَ الشَّاهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ
السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ^{٣١} وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ
(114) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ^{٣٢} فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا
أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (115) }

-ومن عنادهم أن الله رزقهم المن والسلوى، وهما طعام وشراب مبارك لا
تعب فيهما ولا نصب، يأتيهما كل يوم بلا كد ولا لغب، لا يتبدل ولا
يتغير، فسألوا موسى -أشرا وبطرا- طعاما هو أدنى مما أنعم الله به عليهم
لدناءتهم وعدم معرفتهم بما ينفعهم مما يضرهم، فوبخهم موسى عليه السلام
على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنية مع ما هم فيه من العيش الرغيد ،
والطعام الهنيء الطيب النافع، فضرب الله عليهم الذلة والمسكنة بسبب تعنتهم
وعنادهم، قال الله: { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا

وَبَصَلِهَا^ط قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ
لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ^ط وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ^ط ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ^ط ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } [سورة البقرة : 61]

الخطبة الثانية/

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشأنه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وإخوانه.

أما بعد:

فكم تعدد من مثالب بني إسرائيل ومساوئهم في القديم وفي الحديث، فلذلك طردهم الله من رحمته وحذر منهم في كتابه، فما سلم الله منهم فوق عرشه، ولا ملائكته ورسله.

فمن خبثهم وحقدهم الدفين أنهم حسدوا عيسى عليه السلام حينما آتاه الله من النبوة والمعجزات ما كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، ففسعوا في قتله وهو رسول الله إليهم، فحاصروه في بيت كان به مع مجموعة من أصحابه، فلما علم عيسى أنهم داخلون ذلك البيت، قال لمن حوله أيكم سيلقى عليه شبهي وهو رفيقي في الجنة، فانتدب لذلك شاب منهم فألقى الله عليه شبهه، ففتحت له فتحة من سقف البيت فرفعه الله منها، ثم خرج أولئك النفر وفيهم ذلك الشاب، فأخذوه وصلبوه يظنون أنه عيسى عليه السلام، فتبجح اليهود أنهم سعوا في قتله وصلبه، ورد الله عليهم أنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه وإنما رفعه الله إليه، وسينزل في آخر الزمان يقتل الدجال وأتباعه من اليهود ومن غيرهم ممن كفر بالله، قال تعالى: **{ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْخُلْ فِي هَذِهِ مَعًا وَأُتِي بِهِ فِي سُلْبِهِ مَوْتًا مَوْتًا مَوْتًا } وَرَافِعَكَ إِلَيْنَا وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [سورة آل عمران : 55]**

وقال سبحانه: **{ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) }** النساء.

وروى البخاري عن هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ **حَكَمًا عَدْلًا**، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ". ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : **وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : { وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا }.**

فهذه هي طرق اليهود ومناهجهم، وهذه هي معاملتهم مع أنبيائهم، وهي أنهم يعصونهم ويخالفونهم، بل بلغ بهم البغي والظلم والعدوان إلى أنهم قتلوا كثيرا من أنبيائهم ومنهم يحيى بن زكريا عليهما السلام، قال تعالى: **{ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا }** [سورة النساء : 155]

وقال عز وجل : **{ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ }** [سورة المائدة : 70]

و بسبب بغيهم وذنوبهم وطغيانهم ومخالفتهم لرسولهم واختلافهم عليهم حرم الله عليهم كثيرا من الطيبات، قال تعالى **{ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نُهِوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161) }** [سورة النساء :]

وقال سبحانه: **{ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ۖ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ }** [سورة الأنعام : 146]

فهذه هي صفات بني إسرائيل التي جُبلوا عليها، وتربوا عليها، وساروا عليها، ومنها الكذب والخيانة والغدر، والظلم والعناد، ونقض العهود، وقتل الصالحين، وفعل كل رذيلة وترك كل فضيلة، وستبقى هذه صفاتهم إلى قيام الساعة، فلعنهم الله وغضب عليهم وطبع على قلوبهم، قال الله مؤكدا ذلك، **{ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۖ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا**

قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [سورة المائدة :

[13

فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يكفي المسلمين شرهم، وأن يرد كيدهم في نحورهم، وأن يسلم عليهم من شاء من خلقه، وأن يمكن المسلمين من رقابهم.

اللهم عليك باليهود الغاصبين، والنصارى المعتدين، اللهم أنزل عليهم بأسك الشديد الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك.

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك، اللهم انصرهم في فلسطين ،وفي كل مكان، اللهم سدّد رميتهم ،وقو شوكتهم، وثبت الأرض من تحت أقدامهم، اللهم أمددهم بمدد من السماء، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشرّكين، اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل الدين يا قوي يا متين.

خطبة بعنوان

[(مناهج اليهود السوداء وصفاتهم القبيحة عبر التاريخ)]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أما بعد:

فيقول رب العزة والجلال في محكم التنزيل: **{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**

وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ } [سورة البينة

[6 :

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى عن مآل الفجار من كفره أهل الكتاب والمشركين المخالفين لكتب الله المنزل وأنبياء الله المرسله أنهم يوم

القيامة في نار جهنم خالدين فيها أي ماكثين لا يحولون عنها ولا يزولون " **أولئك هم شر البرية** " أي شر الخليقة التي برأها الله وذراها".^{١٥}

مفاد الآية الكريمة أن اليهود والنصارى والمشركين شر الخليقة، ومأواهم النار خالدين فيها أبداً، ومع هذا تجد بعض الحمقى والمغفلين وأصحاب الأطماع الدنيوية من المسلمين من يدافع عنهم، بل بعضهم يفضلهم على المسلمين والعياذ بالله، فيخشى على هذا الصنف من الردة والعياذ بالله؛ لأنه صادم النصوص وخالف الكتاب والسنة، وعدل من كفرهم الله، ودافع عن أعداء الله ورسله، فنقول لهذا الصنف من المغفلين: إن اليهود والنصارى ليسوا راضين عنكم، ولن يتركوكم إن تمكنوا منكم، قال تعالى: **{ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنَّ آتِيتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ }** [سورة البقرة : 120]

وفي هذا المقام نذكر أبرز وأقبح صفات اليهود من الكتاب والسنة ليعرف هؤلاء المغفلون من هم اليهود وما هي صفاتهم وما هي أعمالهم.

فمن هم اليهود؟

-اليهود -يا عباد الله - أمة غضبية خبيثة، ملعونة ومطرودة من رحمة الله تعالى ،غضب الله عليها ولعنها، وأعد لها عذاباً في الدنيا إذ مسخهم قردة وخنازير، وكتب عليهم الذلة، وسلط عليهم من شاء من خلقه، وفي الآخرة مأواهم جهنم وبئس المصير ،قال تعالى: **{ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ۚ مَنْ لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ }** [سورة المائدة : 60]

[

وقال تعالى: **{ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80) }** [سورة المائدة : 78 إلى 80]

وقال تعالى: **{ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ }** [سورة البقرة : 61]

-اليهود هم أعداء الله، وأعداء ملائكته، وأعداء رسله، وأعداء المؤمنين، قال تعالى ردا عليهم حينما قالوا إن جبريل عليه السلام عدوهم: **{ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ }** [سورة البقرة : 98]

فمن عداوتهم لله أنهم عصوا أمره وارتكبوا نهييه، وطعنوا في ملائكته ورسله، ونسبوا له الولد، ورموه بالفقر - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

قال الله: **{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ }** [سورة التوبة : 30]

وقال سبحانه: **{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }** [سورة المائدة : 64]

وقال الله: **{ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ }** [سورة آل عمران : 181]

ولا تزال عداوتهم لله ولرسله وللمؤمنين إلى يوم القيامة كما أخبر الله ورسوله عنهم، وليسوا أولياء الله كما زعموا، ولا هم شعب الله المختار كما تبجحوا، فلو كانوا كذلك لما عذبهم الله ولا مسخهم قرده وخنازير، فإنهم شر البرية، وقد تولى الله الرد عليهم بنفسه، فقال سبحانه: **{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ }** [سورة المائدة : 18]

فقد عذبهم الله في الدنيا بالمسخ والذلة، ويوم القيامة بالنار والخلود فيها، ثم إن الله تبارك وتعالى اختبرهم بتمني الموت إن كانوا صادقين، فتبين كذبهم، إذ لم يتمنوه لعلمهم أنهم كاذبون وأنهم من أصحاب الجحيم؛ لأن الولي الصالح يحب لقاء الله، أما هؤلاء فقد كرهوا لقاء الله بما قدمت أيديهم من الكفر والشرك والجرائم والموبقات، قال تعالى: **{ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) }** [سورة الجمعة

: 6 إلى 7]

بل قد شهدوا على أنفسهم أنهم يستحقون النار وسيعذبون فيها بسبب كفرهم، وزعموا أنهم سيعذبون في نار جهنم أياما معدودة ثم يخرجون منها، فأكذبهم الله وحكم عليهم بالخلود في نار جهنم.

قال الله عنهم: **{ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }** [سورة البقرة

: 80]

وقال الله: **{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ }** [سورة البينة : 6]

-اليهود أعداء الملائكة، فإنهم كفروا بجبريل عليه السلام وعادوه، ومن المعلوم شرعا أن من كفر بملك من الملائكة فقد كفر بجميع الملائكة، كما أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بجميع الأنبياء، فهذان ركنان من أركان الإيمان لا يتم الإيمان إلا بهما، وهما الإيمان بالملائكة والرسول، قال تعالى: **{ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (97) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98) }** [سورة البقرة : 97 إلى 98]

وروى الإمام أحمد رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أَقْبَلْتُ يَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ، وَاتَّبَعْنَاكَ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى بَنِيهِ... (ثم سألوه ببعض الأسئلة التي لا يعلمها إلا نبي

فأجابهم عنها بما يوافق كتبهم) " فقالوا : صدقت إنما بقيت واحدة، وهي التي نبأيتك إن أخبرتنا بها ؛ فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر ، فأخبرنا من صاحبك ؟ قال : " جبريل عليه السلام " . قالوا : جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان، فأنزل الله عز وجل : { **مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ** } إلى آخر الآية.

-اليهود أعداء الرسل وأعداء الصالحين، وقتلة الأنبياء عليهم السلام، وقتلة الصالحين من الناس، قال تعالى: { **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** } [سورة آل عمران : 21]

وقال تعالى: { **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا** } [سورة النساء : 155]

وقد روى الإمام أحمد عن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبي ، أو قتل نبياً، " الحديث.

فماذا يرجي من أمة قتلت أنبياءها، فمن باب أولى أنهم سيقتلون غيرهم ولا يرحمون أحداً، صغيراً كان أو كبيراً، وقد بلغ من مكرهم وغدرهم أنهم أرادوا قتل خير الرسل وخاتمهم نبينا صلى الله عليه وسلم فسلمه الله ، ووضعوا له السم في ذراع الشاة، وقد ذكر بعض أهل العلم أنه مات من أثر ذلك السم، وسحره لبيد بن الأعصم اليهودي فأبطله الله ولم يؤثر فيه، وذكر أصحاب المغازي والسير، ومنهم ابن كثير رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى يهود بني النضير يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر اللذين قتلتهما عمرو بن أمية للعهد الذي كان صلى الله عليه وسلم أعطاهما، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف، فلما أتاهم صلى الله عليه وسلم قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو

عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً وَيُريَحَنَا مِنْهُ؟ فَاَنْتُدِبَ لِذَلِكَ عَمْرُو بْنُ جَحَّاشِ بْنِ كَعْبٍ، فَقَالَ: أَنَا لِذَلِكَ، فَصَعِدَ لِيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً كَمَا قَالَ: وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُو وَعَلِيٌّ. فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ. اهـ

فحاصر يهود بني النضير وأجلاهم من حصونهم وأخرجهم منها أذلة صاغرين، وأنزل الله: { هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا } وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَاتَتْهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (2) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (3) [سورة الحشر : 2 إلى 3]

فاليهود -لعنهم الله- لم يسلم منهم الله جل في علاه، ولا سلم منهم ملائكته، ولا سلمت منهم رسله، فكيف يسلم منهم غيرهم؟! وقد أخبر الله أنهم ألد أعداء المؤمنين، قال سبحانه { لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا } وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ [سورة المائدة : 82]

والمقصود من قوله تعالى: { وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ } هم النصارى الذين آمنوا بنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم كالنجاشي وغيره، بدليل الآيات التي بعدها، ولا يجوز حملها على النصارى مطلقا، فكم حذر الله من النصارى في كتابه وقرنهم باليهود في مواضع كثيرة.

إذن هذه الطائفة الخبيثة وهم اليهود لا بد لها من قوة تردعهم، فإنه لا يردهم إلا السيف، ولكن ذلك لا يكون إلا بعد القوة الإيمانية والاستعداد الديني، ويصدق فيهم قول القائل:

وبعض الناس شرير ولكن &&& إذا عرف العقوبة قل شره وللإجرام تحسبه شديداً &&& ضعيف الرأي يجهل ما يضره

-ومن صفاتهم الذميمة أنهم يعرفون الحق ثم يكتُمونه، فإنهم يعرفون أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي آخر الزمان، وهذا موجود في كتبهم، لكنهم كفروا به حسدا للعرب، فلذلك غضب الله عليهم، قال تعالى: **{ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }** [سورة البقرة: 146]

وقد كان اليهود يتوعدون العرب بأنه سيبعث نبي في آخر الزمان حسب ما في كتبهم وأنه مَبْعُوثُ الْآنَ قَدْ أَظْلَ زَمَانُهُ فَيَتَّبِعُونَهُ، ويقتلون العرب مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ، فلما بُعِثَ من العرب كفروا به، كما قال تعالى: **{ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ }** [سورة البقرة: 89]

-ومن صفاتهم الذميمة الحسد والفجور، فقد حسدوا العرب وتمنوا لو يكفرون كما كفروا، قال تعالى: **{ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا }** [سورة النساء: 54]

وقال تعالى: **{ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }** [سورة البقرة: 109]

-اليهود قوم تربوا على الحرام، وعلى أكل الحرام، فأجساد من أخطأ بهم؛ لأنها نبتت وغذيت من الحرام، كالربا والرشا والتحايل والنهب ونحو ذلك من أكل أموال الناس بالباطل، فإن كل جسد نبت من حرام فهو من وقود النار، فقد ثبت عند الترمذي عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُخْتٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ".

والسحت هو الحرام، قال تعالى: **{ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }** [سورة المائدة: 62]

وقال تعالى: { وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } [سورة النساء : 161]

-اليهود قوم غدارون نقضوا العهود والمواثيق فطبع الله على قلوبهم، فهي قاسية كالحجارة أو أشد قسوة، فلا يؤمنون إلا أن يشاء الله رب العالمين، قال تعالى: { فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } [سورة النساء : 155]

-اليهود أمة محتالة على شرع الله، فقد حرم الله عليهم الصيد يوم السبت فاحتالوا على ذلك فنصبوا الشباك يوم الجمعة وأخذوها يوم الأحد، وحرم الله عليهم شحوم الميتة فأذابوها ثم باعوها وأكلوا ثمنها، فقد روى الإمام أحمد عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ جَمَلُوهَا، ثُمَّ بَاعُوهَا، وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا ".

ثم حذر نبينا صلى الله عليه وسلم من الحيل، الذي كان من صنيع اليهود، فقال: "لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود وتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل" أخرجه ابن بطة في جزء إبطال الحيل عن أبي هريرة رضي الله عنه.

-اليهود قوم جبنا لا يقاتلون وجهًا لوجه، وإنما من وراء جدر، وربما أرسلوا طائراتهم بدون طيارين؛ لأنهم حريصون على الحياة ويخافون من الموت، بما قدمت أيديهم من الأعمال السيئة، قال تعالى: { قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (94) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (95) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96) } [سورة البقرة : 94 إلى 96]

وقال تعالى: { لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (13) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (14) } [سورة الحشر : 13 إلى 14]

وسياتي يوم المواجهات، والقتال بالسيوف فيختبئون خلف الشجر والحجر، لما روى مسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ : يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلَّا الْغَرْقَدَ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ "

قاتل الله اليهود والنصارى أنى يؤفكون.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، معز جنده، وهازم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن صفات اليهود الذميمة كثيرة جداً، لا تكاد تجد فيهم صفة حميدة، بل كل بلاء وشرف فيهم، بعيدون عن الفضائل مرتكبون للردائل، فقد جُبلوا على كل رذيلة، وجانبوا كل فضيلة؛ لأن السيئة تجر إلى سيئة مثلها، والحسنة تجر إلى حسنة مثلها، ولا حسنات عندهم، فإنهم مجبولون على فعل الخبائث بمقتضى فطرهم الفاسدة.

-ومن صفاتهم الخبيثة أنهم قوم ملبسون على الناس، قد ألبسوا الباطل بثوب الحق، فأضلوا الناس وهم يعلمون الحق، ويعلمون صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم التوراة والإنجيل فكتبوا ذلك وادعوا خلافه، وقد فضحهم الله في القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً، حيث قال تعالى: **{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }** [سورة آل عمران : 71]

هذا فإنهم لم يكتموا الحق فحسب، بل عمدوا إلى التشكيك به والتمويه على الناس فيه، فكانون يدخلون في الإسلام ثم يرتدون عنه ليصدوا عن دين الله، فيتركه الناس ويقولون لو كان الإسلام دين حق ما تركه أهل العلم من أهل الكتاب، وهذا من كيدهم ومكرهم الخبيث، **{وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}**، قال تعالى: **{ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَانْكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }** [سورة آل عمران : 72]

-ومن صفاتهم أنهم قوم بهت يكذبون ويفترون ثم يفجرون، ومن خالفهم وقعوا فيه ولو كان منهم، فقد روى البخاري عن أنس، رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء، (لا يجيب عنها إلا نبي فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بما يوافق كتبهم). فقال : "أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. قال : يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي. فجاءت اليهود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فِيكُمْ ؟ " قَالُوا : خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ؟ " قَالُوا : أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ. فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. قَالُوا : شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَتَنْقِصُوهُ، قَالَ : هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

-اليهود أمة تبغي الفساد والإفساد في الأرض، ونقض العهود والقطيعة وارتكاب الكبائر والجرائم والعدوان على الآخرين، وأخذ أموال الناس وممتلكاتهم وبلدانهم وثوراتهم بالباطل، قال تعالى: **{ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ ۚ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }** [سورة المائدة : 62]

وقال الله مبينا بغيهم وكفرهم وفسادهم في الأرض: **{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۚ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }** [سورة المائدة : 64]

قال الله متوعدا من كان هذا شأنه: **{ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ }** [سورة الرعد : 25]

-اليهود قوم يريدون العلو والاستعلاء على الناس واستعبادهم تعصبا لعنصرهم النجس، وبناءً على ما يرونه بعقولهم الفاسدة أنهم شعب الله

المختار، وقد أكذبهم الله في القرآن الكريم، كما سيأتي قريباً، وقد علم عند القاصي والداني أنهم أرذل الخلق وأخبث الخلق، وأبعد الخلق عن الحق، وأضل من البهائم، وقد أخبر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في كثير من النصوص أنهم وقود النار، ويصدق عليهم قوله تعالى: **{ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }** [سورة الأعراف : 179]

ومن المعلوم أن جنس العرب أفضل من جنسهم الخبيث، لقوله تعالى: **{ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (2) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ } وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (4) }** [سورة الجمعة : 2 إلى 4]

المقصود بالأميين هم العرب الذين بعث الله منهم نبيه ورسوله، وقد بين الله فضل العرب بقوله: **{ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }**

وفضائل هذه الأمة كثيرة لا يسع المقام لذكرها هنا، وأما قوله تعالى: **{ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ }** [سورة البقرة : 122]

فإن المقصود من الآية أنه فضلهم على عالمي زمانهم في عهد موسى عليه السلام وغيره من الرسل، والفضل خاص فيمن آمن منهم بهؤلاء الرسل فقط، ويكون من ذلك الفضل لمن آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم تبعاً لأسلافهم الذين آمنوا بموسى وعيسى عليه السلام، ولهذا ذكرهم الله بنعمته عليهم ليؤمنوا بخاتم النبيين الذي شهدت له كتبهم وصدقته به رسلهم، لكنهم لم يؤمنوا إلا قلة قليلة منهم.

قال المفسر الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: "وتفضيلي إياكم على عالم من كنتم بين ظهرائيه ، أيام أنتم في طاعتي باتباع رسولي إليكم ، وتصديقه وتصديق ما جاءكم به من عندي ، ودعوا التماذي في الضلال والغى" اهـ.

فهذا ياعباد الله ما تيسر ذكره من صفات اليهود الذميمة وأعمالهم القبيحة، وما بقي أكثر وأكثر، وما ذكرنا هنا إلا قطرة من مطرة وغيض من فيض، والناظر في كتاب الله وسنة رسوله يجد العجب العجاب من صفاتهم وأفاعيلهم من لدن موسى عليه السلام إلى زماننا هذا، وهذه هي صفاتهم لم ينفكوا عنها إلى قيام الساعة حيث وقد أخبرنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أنهم لا يزالون عليها إلى قيام الساعة حتى يخرجوا مع الدجال الأكبر فينزل عيسى عليه السلام يقتلهم ويقتل دجالهم، فقد روى الإمام مسلم رحمه الله عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " يَتَّبِعُ الدَّجَالُ مِنْ يَهُودٍ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا، عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ " .

ولا يزال الله تبارك وتعالى يسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى قيام الساعة، قال سبحانه: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [سورة الأعراف : 167]

قال المفسر ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية آفة الذكر: " (لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ) أي : على اليهود (إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) أي : بسبب عصيانهم ومخالفتهم وأوامر الله وشرعه واحتيالهم على المحارم ...والذين يسومهم سوء العذاب : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمتة ، إلى يوم القيامة .

وكذا قال سعيد بن جبير ، وابن جريج ، والسدي ، وقتادة.... قلت : ثم آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصار الدجال ، فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم عليه السلام ، وذلك آخر الزمان " ا.هـ. فلا تيأسوا يا أيها المسلمون فإن النصر قادم لامحالة، لكن سيكون على أيدي رجال صادقين، لربهم موحدين، ولنبيهم متابعين، وبسلفهم مقتدين، كأمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وخالد وغيرهم رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين، فقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس ، رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَخْرُجُ مِنْ عَدَنَ أَبِينِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ " .

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة ، رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ

أَوِ الشَّجَرُ : يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَأَقْتُلْهُ.
إِلَّا الْعَرْقَدَ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ "

فالذي ينبغي على المسلمين حاليا أن يتأهبوا وأن يستعدوا وأن يعدوا العدة والعتاد حسيا ومعنويا، أما حسيا فالقوة ،وأما معنويا فهو الإيمان والتوحيد والعمل الصالح على ضوء الكتاب والسنة، مع فعل جميع أسباب النصر، وأن يتبرأوا من اليهود والنصارى وجميع الكفار وأن يبغضوهم من صميم قلوبهم، وأن يتبرأوا من أفكارهم وأنظمتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وألا يوالوهم ، ولا يناصروهم ولا يتشبهوا بهم، وألا يحسنوا الظن فيهم، فإن موالاتهم محادة لله ورسوله، وإن من موالاتهم لهو السماح لهم بإنشاء قواعد عسكرية لهم في البلاد الإسلامية ليضربوا بها المسلمين، فكيف يرضى مسلم بإنشاء قواعد لكفار في أرض المسلمين وهم أعداء الإسلام والمسلمين، وأصحاب غدر ومكر وخيانة وحقد على المسلمين.

فإنهم لا يريدون للإسلام والمسلمين خيرا قط، بل إنهم يخططون لاستئصال الإسلام وأهله ليل نهار، فلاتغرنكم منظماتهم ومعوناتهم، فإن من ورائها أهدافا هدامة للإسلام والمسلمين، فقد أفسدوا عبرها شباب وشابات المسلمين، قال الله في كتابه الكريم: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة البقرة : 105]

ولو كانوا يراعون حقوق الإنسان كما زعموا لرفعوا الحصار والدمار عن إخواننا في غزة وفلسطين، لكنهم يراعون حقوق الإنسان اليهودي والنصراني والكافر، أما المسلم فلا قيمة له عندهم

فتفطنوا يا أيها المسلمون.

قتل امرئ في غابة*** جريمة لا تغتفر

وقتل شعب كامل*** مسألة فيها نظر

لكن: يافصيح لمن تصيح!

قد أسمعت لو ناديت حيا *** ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارٌ نفخت بها أضاءت *** ولكن أنت تنفخ في رمادي

فيا عباد الله هذه هي صفات اليهود قديما وحديثا وستبقى الى قيام الساعة، فإنهم يريدون القضاء على الإسلام والمسلمين، ولن يكتفوا بأرض فلسطين فقط، بل يريدون دولة اليهود الكبرى من النيل إلى الفرات، وغيرهم من الكفار يريدون ما بقي من بلدان المسلمين، فهذا هو مخططهم، فأفيقوا من غفلتكم، جاهدوا اليهود بالتحذير من مناهجهم وأنظمتهم وعاداتهم وتقاليدهم وملبسهم وجميع معاملاتهم، فإن الجهاد قسمان، جهاد

بالسيف والسنان، وجهاد بالحجة والبيان وهذا أعظم، وعليه يرتكز القسم الأول، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

اللهم يا عزيز يا قوي من أراد بالإسلام والمسلمين كيذا فاجعل كيده في نحره، واجعل تدبيره تدميرا عليه، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل الدين، يا قوي يا متين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، اللهم عليك باليهود الغاصبين، اللهم عليك بالنصارى المعتدين، اللهم دمرهم تدميرا، ولا تبق منهم صغيرا ولا كبيرا، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللهم أنزل عليهم بأسك الشديد الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وسريع الحساب، وهازم الأحزاب، اهزم اليهود شر هزيمة واجعلهم للإسلام والمسلمين غنيمة، اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تبق منهم أحدا، اللهم لقهم الردى، اللهم أرنا فيهم يوما أسود، اللهم الطف بإخواننا المستضعفين في شتى بقاع العالم، اللهم انصر إخواننا في فلسطين، اللهم قو شوكتهم، وثبت الأرض من تحت أقدامهم، اللهم تقبل شهداءهم، وداو جراحهم، اللهم أمددهم بمدد من السماء وأيدهم بجنود من جنودك، برحمتك يا أرحم الراحمين.

خطبة حول حديث:

(("يوشك أن تداعى عليكم الأمم"))

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فقد روى الإمام أحمد وأبو داود عن ثوبان، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ

إلى قصعتها ". فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : " بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ ". فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : " حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ " .

وفي رواية عند أحمد: " يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ "

وفي رواية عنده أيضا: " وَمَا الْوَهْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " حُبُّكُمْ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَتُكُمْ الْقِتَالَ " .

وقبل أن نغوص في معاني الحديث وعباراته، ونستخرج الإشارات منه ونستنبط فوائده، ونبين أسرارَه، نحب أن نذكر معناه الإجمالي، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم الذي ((لا ينطق عن الهوى))، أخبر أنه سيحصل هذا التداعي من أمم الكفر على المسلمين، أي يدعو بعضهم بعضا ضد المسلمين، ويكون ذلك في حال ضعفهم وبعدهم عن دينهم، وحال كونهم غثائية، ولذلك شبههم بغثاء السيل، مما جعل الكفار لا يهابونهم، في الوقت الذي يكون اهتمامهم بالدنيا، وعدم تمسكهم بالدين، وعدم استعدادهم للقتال وانهماكهم في الدنيا، وهذا الحديث عَلمٌ من أعلام النبوة، ومعجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم إذ وقع ما أخبر به حذوة القذة بالقذة، لكن الله تعالى وعد رسوله أن الله تعالى لن يسلطهم على المسلمين فيستأصلوهم شوكتهم، ويستبيحوا بيضتهم، هذا لن يكون، وإنما سيحصل لهم هزات وانتكاسات وانهزام أمام الأعداء، وتسلط في مكان دون مكان، وفي زمان دون زمان، وذلك بسبب بعدهم عن دينهم وتركهم لكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وستكون العاقبة والعز والتمكين للمؤمنين، لكن في الوقت الذي يرجعون إلى دينهم، كما سنشير إلى ذلك بذكر بعض الأحاديث في خطبتنا هذه إن شاء الله تعالى.

-فقوله صلى الله عليه وسلم: " : " يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ "

فيه إشارة إلى أن ملل الكفر مجتمعون على الإسلام والمسلمين، وإن كانوا مختلفين في دياناتهم واتجاهاتهم، وفي عاداتهم وتقاليدهم، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن اليهود والنصارى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىٰ

شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۖ كَذَلِكَ
قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۖ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ [سورة البقرة : 113]

وقال عن اليهود: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ
[سورة الحشر : 14]}

لكنهم متفقون في عداوتهم للإسلام والمسلمين كما في حديث ثوبان
المتقدم، فيجب على المسلمين الحذر منهم، ولا يجوز إحسان الظن بهم، فمن
ظن أنهم يريدون السلام أو يراعون حقوق الإنسان فإنه مغفل، ومن ظن أنهم
يريدون للإسلام والمسلمين خيرا فهو غبي؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه
الكریم: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ
مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
[سورة البقرة : 105]}

بل يوجد من بعض الغوغا والحمقى من المسلمين من يدافع عن الكفار
ويفضلهم على المسلمين، فهذا الصنف على خطر عظيم يُخشى عليه من الردة
والعياذ بالله؛ لأنه حادّ الله ورسوله، وكذب القرآن، فإن الله قد كفر اليهود
والنصارى في كتابه وفي سنة نبيه، وذهب وحذر منهم، وحذر من صفاتهم
، وذكر أنهم شر الخليقة، وأخبر بأنهم وقود النار، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ
[سورة البينة : 6]}

-وقوله: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم) أي: يقرب أن يدعو بعضهم بعضا
عليكم، وهذا هو الحاصل الآن بعد أن فرقوهم إلى دويلات صغيرة، وأحزاب
متفرقة، ثم غزوهم فكريا وعقديا، حيث أدخلوا العقائد الفاسدة، والأفكار
الغريبة، والمعاصي في أوساطهم، وإشغلوهم بالمسلسلات، وإغرقوهم
بملاعب الكرة والملهيّات، حتى صاروا لقمة صائغة تداعوا عليهم، وتحكموا
فيهم وفي بلدانهم حتى صاروا كاللعبه بأيديهم كما هو واقع المسلمين اليوم
فإنه المستعان.

-قال صلى الله عليه وسلم: "يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا" شبه الكفار بالأكلة لحرصهم على المسلمين كحرص الجائع على الطعام، وشبه المسلمين بقصعة الطعام وهي الصحفة؛ لأنهم يصيرون لقمة صائغة حال ضعفهم وتفرقهم وانتشغالهم بأنفسهم، وفي هذا إشارة إلى أن في بلاد المسلمين ثروات معدنية وبتروولية وسمكية وحيوانية يسيل لعاب الكافرين عليها فيتحينون الفرصة للانقضاض عليها، لكن لن يتسلطوا عليها إلا إذا نقض المسلمون عهد الله وعهد رسوله، كما روى ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ" وذكر منها: "وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ"

ويكون هذا التداعي بأساليب مأكرة، وخطط شيطانية، وطرق خفية، إما عن طريق التحريش، وأما عن طريق محاربة الإرهاب وإما عن طريق ضرب بعضهم ببعض، أو بتسليط عملائهم عليهم، أو نحو ذلك، والقصد هو محاربة المتمسكين بدينهم وبسنة نبيهم، وترك المنافقين الموالين لهم، ونحو ذلك من مكر الكفار وحقدهم على المسلمين.

-قوله: "فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: "بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ" تعجب الصحابة رضوان الله عليهم، كيف يتسلط الكفار على المسلمين؟! بعد أن كانت لهم الغلبة والمنعة والعز والتمكين، فتساءلوا ما هو السبب في ذلك، فتبادر إلى ذهن أحدهم أن السبب هو قلة المسلمين في هذا الزمان، فقال يارسول الله: وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ يظن أن القلة سبب للهزيمة وأن الكثرة سبب للنصر، فرد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا التساؤل قائلاً: "بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ" بمعنى أن القلة ليست سببا للذلة، ولا الكثرة سببا للعزة، إنما النصر من عند الله لا بالعدد ولا بالعتاد، وإنما ينصر الله المسلمين بإيمانهم وتوحيدهم وطاعتهم لربهم وإن كانوا قلة، فقد نصر الله طالوت وجنوده وهم قلة، على جالوت وجنوده وهم كثرة، فخرج طالوت بالجنود وهم قليل، فخالف كثير منهم أمر قائدهم فشربوا من النهر ولم يبق إلا الأقل بنحو عدد المسلمين في غزوة بدر فنصرهم الله وكسر شوكة الكافرين، قال الله في كتابه الكريم: {

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَانصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) [سورة البقرة : 249 إلى 251]

ونصر الله المسلمين في غزوة بدر على المشركين وهم أضعاف أضعافهم، بل خرج المسلمون وليسوا مستعدين للحرب، إنما خرجوا لأخذ القافلة فقط، بينما خرج المشركون بخيلهم ورجلهم وقوتهم وفرسانهم، يشربون الخمر ويأكلون الجزور، وتغنيهم الجواري يريدون استئصال المسلمين، فكانت الأخرى إذ مكن الله المسلمين من رقابهم فقتلوا منهم سبعين رجلا من صناديدهم وأسروا سبعين آخرين، قال الله : { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) إِذْ يَعْشِقُكُمْ النَّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) } [سورة الأنفال : 9 إلى 12]

وقال سبحانه: { فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17) ذَلِكَمُ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (18) } [سورة الأنفال : 17 إلى 18]

إذن ليست الكثرة سببا للنصر، فقد هُزم المسلمون في غزوة حنين في أول المعركة بسبب إعجابهم بكثرتهم، فولوا هاربين ولم يبقَ مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا نحو مائة رجل، ثم نادى العباس رضي الله عنه أصحاب السمره فرجعوا ومالوا على المشركين ميلة واحدة، ثم أيدهم الله بجنوده التي لا تقهر

فَهَزَمُوا الْمَشْرِكِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: { لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۖ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۖ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26) } [سورة التوبة: 25 إلى 26]

فليس النصر بالكثرة - يا عباد الله- إنما النصر من عند الله بالإيمان والتوحيد والتمسك بالكتاب والسنة، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه حينما سألوه عن سبب تداعي الأمم على المسلمين: "وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: " بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ كُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ"

المسلمون اليوم كثير يبلغون نحو المليارين، ومع هذا هم في ذلة وضعف أمام الكفار، فلم تنفعهم كثرتهم شيئاً ولم تكن سبباً لنصرهم؛ لأن أسباب النصر غير موجودة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشير إلى زماننا هذا، حيث تسلط الأعداء على المسلمين وهم كثير، وسبب تسلط الكفار عليهم أنهم غثائية، ولذلك قال: "وَلَكِنْ كُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ" وغثاء السيل هو: الذي يأتي في مقدمة السيل من القمام والأعواد والزبد والخرق التي لا ينتفع بها الناس، وإنما يرمي بها السيل يسرة ويمنة، فهؤلاء هم الغثائية الذين لا يرجى منهم نصره لدين الله، بل هم السبب في انهزام المسلمين وذلة أمام أعدائهم، وهم الذين لا هم لهم إلا بطونهم وفروجهم وشهواتهم، أناس متفرقون، متحزبون، وللموضات الغربية متابعون، وللملاعب الكرة والنوادي ملازمون، وللمسلسلات مشاهدون، وللمساجد تاركون، وللصلوات مضيعون، لا يهمهم نصره دين الله، ولا إعلاء كلمة الله، الكثير منهم حول البدع والمحدثات، والمظاهرات والاعتصامات، إحياء لعادات الكفار والتشبه بهم، هؤلاء هم الغثائية، قال الطيبي - رحمه الله -: "غثاء السيل" : هو ما يحمله السيل من زبد ووسخ، شبههم به لقلة شجاعتهم، ودناءة قدرهم، وخفة أحلامهم، وخلاصته: ولكنكم تكونون متفرقين، ضعيفي الحال، خفيفي البال، مشتتي الأمال" اهـ.

وهذا هو الغالب على الشعوب الإسلامية إلا من رحم الله، ولذلك تكالب عليهم الأعداء وتداعوا عليهم، واستذلّوهم ولم يهابوهم كما كانوا يهابون من كان قبلهم، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بحال هذه الأمة التي يتكالب عليها

الأعداء قبل أربعة عشر قرناً، بسبب الغثائية التي في أوساطهم، وإن وجد فيهم صالحون وموحدون و متمسكون بدينهم لكنهم قليل، والغثائيون أكثر من الصالحين، فتأتي المصائب بسببهم فتعم الصالحين والطالحين، قال تعالى: { **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** } [سورة الأنفال : 25]

-قال صلى الله عليه وسلم: " وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ " أقسم النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بدلالة اللام الموطئة للقسم " وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ " أي فلا توجد في صدور أعدائكم هيبة منكم، كما كانوا يهابون سلفكم، والسبب ماسمعتهم وهو ذنوبهم وتفلتهم عن دينهم.

ويستفاد من هذا أن تمسك المسلمين بدينهم سبب لإرهاب الكافرين ولو لم يحاربونهم، فإنهم لا يزالون يخافون منهم، ولذلك يسعى الكفار في إبعاد المسلمين عن دينهم، وغزوهم بالأفكار الدخيلة، والمحدثات العصرية المخالفة للكتاب والسنة، فتقبلها كثير من المسلمين، ومن لم يقبلها رموه بالتطرف والإرهاب والتشويه والتهم الباطلة، ويحاربونهم بكل ما يستطيعون من الوسائل، حتى جندوا لهم من عملائهم المنافقين من يخلخلهم من أوساطهم، فإن الكفار لا يخافون من أصحاب المعاصي وقطاع الصلاة، وأصحاب المظاهرات وملاعب الكرة، وغيرهم من الغثائية، إنما يخافون من أهل العلم والمحابر، وأهل المساجد والمنابر، ومن أهل التوحيد والسنة، أصحاب قيام الليل وصيام النهار، فإن هؤلاء هم الذين سيصمدون أمام الأعداء ولا يفرون، وهم الذين سيقفون في وجوه الأعداء ولا يخونون، هؤلاء هم الذين سينصر الله بهم الدين، وهم الذين سيحررون الأقصى، وهم الذين سيقتلون اليهود، وهم الذين سيقاتلون مع المهدي وعيسى عليه السلام، هؤلاء هم الذين لا يخافون من الموت، بل يحبون الشهادة في سبيل الله، كما كان سلفهم الصالح، فقد كانت ملوك كسرى وقيصر تهابهم مسيرة شهر، ففي الصحيحين من حديث أبي سفيان الطويل، أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل عظيم الروم: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ

الرُّوم، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ؛ أَسْلِمْ تَسْلِمًا، وَأَسْلِمِ يَوْمَكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ"

وقال هرقل لأبي سفيان رضي الله عنه: " وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ-أي إلى النبي صلى الله عليه وسلم- لِأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ، وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ. "

حتى قال أبو سفيان: " لَقَدْ أَمَرَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ (1) إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْغَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ"

وكاتب خالد بن الوليد رضي الله عنه كسرى: "أما بعد: أسلم تسلم، أو اعقد لنفسك وقومك الذمة وأقر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة" ١.ه فيضطرون إلى المصالحة.

ولما بعث سعد رضي الله عنه ربعي بن عامر إلى كسرى ليوصل له الرسالة التي جاءوا من أجلها، فجاء ربعي ودخل على كسرى، فاتجه إليه القادة من أجل أن يرفعوه، لكن ربعي بن عامر دخل غير آبه بهم، أتى إلى كرسي كسرى أو سريره وربط فرسه وجلس بجانبه، فصرخ به الحاشية وقالوا له: انزل، قال: لا، فقال كسرى: اتركوه، ثم قال بلهجة وغلظة المتكبرين: يا أعرابي! سأعطي كل واحد منكم عشرة دنانير وتعودون إلى الصحراء التي جئتم منها، فإني أعلم أنه ما جاء بكم من الصحراء إلا الجوع؟ قال: يا هذا! إن الله عز وجل ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وجئنا لنخرج الناس من جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة. أيها الملك! بيننا وبينك أمور ثلاثة: إما أن تدخل في دين الله، وإما أن تدفع الجزية صاغرا، وإما السيف" ١.ه

هذه هي العزة، عزة الدين وربي، لم يهابوا ذلك الرجل العظيم في زمنه، ولم يسئل لعبهم على أمواله التي عرضها عليهم كما يحصل لكثير من الناس هذه الأيام.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم *** إذا جمعتنا يا جرير المجامع.

وقال آخر:

1-أي: لقد عظم أمر محمد.

فتشبهوا إلم تكونوا مثلهم *** إن التشبه بالكرام فلاح

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقرارا به وتوحيدا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مزيدا.

أما بعد:

فلا زلنا حول حديث ثوبان نقتطف من ثماره ونستفيد من فوائده، ونستخرج من أسرارها، ونفهم معانيه، فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيه بعض أسباب الانهزام، ويستفاد من مفهومه أسباب النصر، ولا بأس أن نعيد قرائته ثم نكمل الكلام على ما تبقى من عباراته، فقد روى الإمام أحمد وأبو داود عن ثوبان رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا". فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: "بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْكُمْ غَنَاءٌ كَغَنَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ". فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: "حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ".

تقدم أن تكلمنا ما تيسر حول هذا الحديث العظيم الذي نطق به المصطفى صلى الله عليه وسلم قبل ألف وأربعمائة سنة، حيث أخبر بأشياء واقعية حصلت في زماننا، وهذا دليل على أن ما أخبر به فهو حق وأن السنة حق، حيث أخبرت السنة بأمور وقعت كما جاء الخبر، مما يزيد المسلم يقينا أن السنة محفوظة بحفظ الله لها، كما حفظ القرآن الكريم، وقد وصلت إلينا السنة كما وصل إلينا القرآن، وهما محفوظان مادام الليل والنهار، إلى أن يرث

الله الأرض ومن عليها، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأشياء كثيرة ثم حصلت، وبقيت أشياء كثيرة ستحصل على وفق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، فلا مجال لرد السنة أو تكذيبها، فما صح منها فهو من الدين يجب العمل به، وما لم يصح فليس من الدين فلا يعمل به، وقد قيض الله للسنة أئمة أعلاماً يبينون صحيحها من ضعيفها فله الحمد والمنة.

عباد الله : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن الكفار سيتداعون على المسلمين، وذكر من أسباب ذلك الغثائية التي تقدم ذكر معناها، ثم أقسم بعد ذلك أن الله تعالى سيقذف في قلوب المسلمين الوهن، وهو الضعف، ثم ذكر سبب هذا الوهن: وهو حب الدنيا وكرهية الموت، وذلك بسبب الغثائية فيهم، وهذان الأمران سببان رئيسيان للذلة والهوان وتسلط الأعداء، ولنا عبرة بسلفنا الصالح فإنهم لما زهدوا في الدنيا وأحبوا الموت في سبيل الله أعزهم الله ونصرهم على أعدائهم ودانت لهم العرب والعجم وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وأنتهم الدنيا وهي راغمة، مع قلة ما عندهم من العدة والعتاد، ولكن بشيء وقر في قلوبهم وهو الإيمان والتوحيد، وظهر على جوارحهم وهو العمل الصالح، ونحن لن ننتصر على أعدائنا إلا إذا صرنا مثلهم، أما وكثير من الناس يحبون الدنيا حبا جما ويكرهون الموت كرها شديداً، وكأنهم سيخلدون في الدنيا، فلن ينتصروا على أعدائهم إلا أن يشاء الله، فالدنيا فتنة ياعباد الله، كم حذر الله منها، ومن الانشغال بها، ومن التكاثر منها، حيث قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ }** [سورة فاطر : 5]

وروى الترمذي عن كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ "

بل جعل الله الركود إلى الدنيا هلاك فقال سبحانه: **{ وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ }**، فقد روى الترمذي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلُ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ. فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقْمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرُدُّ عَلَيْنَا

مَا قُلْنَا : { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } ، فَكَانَتْ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةُ عَلَى الْأَمْوَالِ وَإِصْلَاحُهَا، وَتَرْكُنَا الْغَزْو، فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ.

وهكذا روى أبو داود عن عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ " .

فهذا الحديث يفسر قول النبي صلى الله عليه وسلم حينما سأله وما الوهن يارسول الله:قال "حب الدنيا وكراهية الموت"

فالمؤمن الصادق ياعباد الله الواثق بنفسه وعمله لا يبالي بالدنيا ولا يخاف من الموت؛ لأنه يعلم أن ما عند الله خير له من هذه الدنيا الزائلة، إنما الكافر هو الذي يخاف من الموت، وكذلك العصي ،فإن اليهود حينما قالوا إنهم شعب الله المختار اختبرهم الله بتمني الموت فلم يتمنوه بل يخافون منه؛ لأنهم يعلمون أنهم إلى الجحيم، ولا مفر لهم من الموت، قال تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8) } [سورة الجمعة : 6 إلى 8]

فالمؤمن يحب لقاء ربه ويطمئن بوعده، ويرجو ثوابه، ويطمع بمغفرته، والكافر يكره لقاء الله بما قدمته يده من المعاصي، فقد روى البخاري ومسلم عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ " .

ونلفت انتباه كل مسلم إلى أمر مهم فيه عزهم ونصرهم، وفيه إذلال أعدائهم، ولن تستقيم لهم الدنيا والدين إلا به، ألا وهو الجهاد في سبيل الله، فإن الكفار يخافون منه ويكرهونه، ولن يتركوا المسلمين أبداً، ولن يقفوا عند حدهم إلا بجهادهم وقتالهم، فالجهاد فيه قوام الدنيا والدين، وإلا فإن الكفار لا يزالون متسلطين عليهم مذلين لهم ما دام المسلمون مضيعي هذه الشعيرة العظيمة التي هي رأس الأمر وفيه خير لهم كما أخبر الله في كتابه ، ورسوله الكريم

في سنته، قال تعالى: **{ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }** [سورة البقرة : 216]

قال الله وهو أصدق القائلين: **{ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ }** وعسى في القرآن متحققة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: " أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ " قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : " رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ". رواه الترمذي.

فلما ترك المسلمون الجهاد، وخافوا على الدنيا والمناصب، وطلبوا المسالمة من الكفار سلطهم الله عليهم فأذلّوهم، وقرأوا التاريخ فإن الكفار والمشرّكين لم يقبلوا السلام ولا المسالمة، فإنهم لم يردّهم إلا بالسيف، وهم كذلك إلى قيام الساعة، لن يستسلموا إلا بالسيف، ولن يخرج اليهود من الأراضي المقدسة إلا بالقوة والسيف كما أخرجهم النبي صلى الله عليه وسلم وعمر رضي الله عنه من المدينة وخيبر بالقوة كما تعلمون.

وفي الختام نبشركل مسلم أن الكفار لن يتسلطوا على المسلمين تسلطاً كاملاً فيستبيحوا بيضتهم فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك، فقد وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، وإنما يحصل التسلط في مكان دون مكان، وفي زمان دون زمان بسبب تخلف المسلمين عن دينهم، فيكون ذلك ابتلاء لهم وتمحيصاً لذنوبهم ويتخذ شهداء منهم، ويتميز الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق قال تعالى **{ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ }** [سورة آل عمران : 179]

ثم تكون العاقبة الحسنة والنصر والرفعة للمسلمين بإذن الله، مهما ملك الكفار من أسلحة مدمرة فإنها لا تكون شيئاً أمام جندي واحد من جنود الله، فلو شاء الله لأرسل عليهم جبريل عليه السلام فيهلكهم ويدمرهم كما دمر قرى قوم لوط، ولو شاء لأرسل عليهم الريح العقيم فتدمرهم كما أرسلها على قوم هود فدمرتهم، ولو شاء لأرسل عليهم الطير الأبايل فتقتلهم كما أرسلها على جيش إبرة الحبشي فقتلتهم، بل لو أرسل الله عليهم من أصغر جنودة بعوضة فما فوقها لانهزموا بذلك، فالله عز وجل قادر على نصر المسلمين، ولكن لا بد من

أسباب، ومنها الرجوع إلى دينه، وتحقيق توحيده، والانقياد لطاعته، والتضرع بين يديه، قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُواهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَأَقَٰ فِيمَا مَنَّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ ﴾ [سورة محمد : 4] ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۝

وروى الإمام أحمد عن تميم الداري قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " لِيُبْلَغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بَعْرَ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ ". وَكَانَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ يَقُولُ : قَدْ عَرَفْتُ ذَٰلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرَ وَالشَّرَفَ وَالْعِزَّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذَّلَّ وَالصَّغَارَ وَالْجَزِيَّةَ.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعز الإسلام والمسلمين، وأن يذل الشرك والمشركين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، اللهم عليك بالكفرة والمشركين، اللهم عليك باليهود والنصارى والمنافقين، اللهم انصر الإسلام والمسلمين، واخذل الشرك والمشركين، اللهم انصر إخواننا المجاهدين، اللهم احفظ إخواننا المستضعفين، اللهم رد عنهم كيد الكائدين، ومكر الماكرين، اللهم امكر بمن مكر بالدين، اللهم خيب سعيهم وفشل خططهم ورد كيدهم في نحورهم، واجعل الدائرة تدور عليهم، يا قوي يامتين، والحمد لله رب العالمين.

خطبة حول حديث: [(إذا تبايعتم بالعينة)]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}

ثم اعلموا عباد الله: إن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فقد روى أبو داود وصححه الإمام الألباني رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ " .

بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث العظيم عددا من أسباب الذل الذي يصيب المسلمين في بعض الأزمنة، وقد أصاب المسلمين في هذا الزمان من الذل والهوان ما لا يخفى على أحد، وكأن الحديث يشرح حال الناس في هذا الزمان، ومن المعلوم شرعا وعقلا أن الذنوب والمعاصي هي سبب دمار الشعوب، فكم أهلك الله من الأمم بسبب ذنوبهم، قال عز من قائل في كتابه الكريم: **{ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }** [سورة العنكبوت : 40]

فإن قال قائل هذا الوعيد كان في حق الكفار، قلنا قد جاء الوعيد في حق المؤمنين إن هم عصوا ربهم، أو تركوا أوامره.

قال تعالى: **{ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ } انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ }** [سورة الأنعام : 65]

وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه قال : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: **{ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ }**. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" أَعُوذُ بِوَجْهِكَ "**. قَالَ : **{ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ }**. قَالَ : **" أَعُوذُ بِوَجْهِكَ "**. **{ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ }**. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" هَذَا أَهْوَنُ "**. أَوْ : **" هَذَا أَيْسَرُ "**.

وقال تعالى: **{ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ }** [سورة الشورى : 30]

وفي الحديث السابق ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أمورا هي من أسباب ذل المسلمين إن هم عملوها، وهي التعامل بالربا والانهماك في الدنيا والانشغال بها عن الدين، وترك الجهاد في سبيل الله.

-فقوله صلى الله عليه وسلم : **" إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ "**، العينة: هي نوع من أنواع الربا، وهو أن يبيع لرجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى، ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذي باعها به، حيلة على الربا بطريقة غير مباشرة.

فالربا يا عباد الله سبب من أسباب الذل والهوان، وما أكثر الربا في أوساط المسلمين، حدث ولا حرج، فإنه ما من بلاد ولا مصر من أمصار المسلمين إلا وفيه تعامل بالربا، بل قد شيدت له أماكن ومحلات بلا نكير، وهي ما يسمى بالبنوك، وهذه البنوك كلها ربوية، ليست إسلامية كما يزعم أصحابها ويلبسون على الناس فيها، فلا يجوز وضع الأموال في هذه البنوك يا عباد الله، فمن وضع ماله فيها ولو بغير فائدة فقد تعاون معهم على الإثم والعدوان.

فيا عباد الله: إن الله تبارك وتعالى لم يأذن بحرب أحد في القرآن الكريم إلا المرابين؛ لأنه أكل لأموال الناس بالباطل، قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279) }** [سورة البقرة : 278 إلى 279]

فمعصية الربا سبب لدمار الشعوب والأفراد؛ وذلك أن الله توعده المرابين بحربه، ومن يطيق حرب رب العالمين سبحانه وتعالى، والربا من أكبر الكبائر، ومن المهلكات وسبب للذلة وتسلط الأعداء، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **" اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبِقَاتِ " . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : " الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ " .**

-وقوله صلى الله عليه وسلم: **"ورضيتم بالزرع"** أي إذا رضيتم بالزرع وهو كناية عن الانشغال بالدنيا عن الدين وعن الطاعات وعن الجهاد فإن هذا سبب للذل، فإن الانهماك بالدنيا مهلكة كما أخبر الله في كتابه الكريم: **{ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }** [سورة البقرة : 195]

قَالَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، رضي الله عنه، : **إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيْنَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ : لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، قُلْنَا : هَلُمَّ نَقِمْ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحْهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } . فَأُلْقَاءُ بِالْأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ : أَنْ نَقِمْ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحْهَا،**

وَنَدَعَ الْجِهَادَ. قَالَ أَبُو عَمْرٍانَ : فَلَمْ يَزَلْ أَبُو أَيُّوبَ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ. رواه أبو داود

فيا عباد الله: إن الدنيا فتنة، وقد فُتِنَ بها كثير من الناس، فبسببها ضيع كثير من الناس أنفسهم، بل بعضهم باع دينه بدنياه والعياذ بالله، ومن هذا الباب دخل اليهود والنصارى على أصحاب الأطماع الدنيوية فمسخوهم عن دينهم وغزوهم بالأموال وألهوهم بالمناصب ونحوها حتى أفسدوهم، فقد روى الترمذي عَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَّاضٍ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " **إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ** ".

وروى الترمذي عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ، رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **مَا ذَنْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حَرِصٍ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ** ".

والله سبحانه وتعالى يقول: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ }** [سورة فاطر : 5]

والمعنى لا تلتفتوا بها عما أوجب الله ولا تشغلوا بها عن دين الله، فإن فعلتم فإنكم خاسرون.

-قوله صلى الله عليه وسلم: "وأخذتم أذناب البقر" وهذا أيضا كناية عن الدنيا حيث ركنوا إليها وانتشغلوا بالحرث والزرع ومشوا خلف أذناب البقر وتركوا ركوب الخيل ونسوا الجهاد في سبيل الله، والخيل معقود في نواصيها الخير، ولقد كان رزق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته تحت ظلال سيوفهم، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : **"وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ** ".

وقوله: (وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع) حمل بعض أهل العلم هذا على الاشتغال بالزرع في زمن يتعين فيه الجهاد.. وإلا فالعمل في المزارع والأخذ من الدنيا ليس ممنوعا، وإنما المحذور الانشغال بها عما أوجب الله.

وقال بعض أهل العلم في قوله: (سلط الله عليكم ذلا).. سبب هذا الذل والله أعلم أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على

كل دين عاملهم الله بنقيضه وهو إنزال الذلة بهم فصاروا يمشون خلف أذنان البقر بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعز مكان¹.

فيا أمة الإسلام اعلموا أن عزكم بالجهاد في سبيل الله، فكيف تركتم سبب عزكم ومادة نصركم؟ فإذا تركتموه تسلط الأعداء عليكم، ثم اعلموا أن الكفار لن يتركوكم ولن يقفوا عند حدهم إلا بجهادهم، قال الله: **{ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ }** [سورة الأنفال : 60]

ولابد من الإعداد الديني قبل الإعداد العسكري، وهو التمسك بالكتاب والسنة وتحقيق الإيمان بالله وتوحيد الله، والأعمال الصالحة هذه هي أعظم أسباب النصر.

ثم اعلموا يا عباد الله أن اليهود لن يخرجوا من فلسطين إلا بالقوة، ولن يسلموا الأقصى إلا بالجهاد في سبيل الله، لن يخرجوا إلا كما خرج أسلافهم، وهم يهود بني النضير حيث أخرجهم النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة ثم من خيبر، واعلموا أنهم لن يتركوا إخواننا في غزة حتى نقتلهم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بأسلافهم، وهم يهود بني قريظة، حيث غدروا به ونقضوا العهد بينهم وبينه، فقتل رجالهم وغنم أموالهم وسبى نساءهم، كما أخبر الله في كتابه الكريم: **{ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَنْطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (27) }** [سورة الأحزاب : 26 إلى 27]

فهذا هو الحل مع أعداء هذه الملة من الصهاينة الغاصبين والنصارى المعتدين وحلفائهم من الزنادقة والمنافقين، والملاحدة المشركين، فإن جهادهم من أعظم شعائر الدين، فقد روى الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ ؟** " **قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : " رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ "**

أي أن الجهاد أعلى شيء فيه، فلن يقوم الدين إلا بالجهاد، فقد بدأ الدين غريبا فأقامه الله بالجهاد، وسيعود غريبا، ولن يقوم إلا بالجهاد، والجهاد ماضٍ إلى

قيام الساعة، قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة : 29]

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة التوبة : 123]

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ ۖ فَمَا مَنَّا بَعْدَ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [سورة محمد : 4]

فالجهد له فوائد كثيرة منها: العز لأهل الإسلام، وفيه أجور عظيمة وهي جنة عرضها السماوات والأرض، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبَشِّرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة التوبة : 111]

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، "

والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، كما أخبر الله في كتابه الكريم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (170) ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (171) [سورة آل عمران : 169 إلى 171]

وللشهيد خصال ليست لغيره، كما عند الترمذي عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ، رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ : يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَافُوتَةُ مِنْهَا خَيْرُ

مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوِّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ، وَيُشَقِّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ."

والفضائل والأجور المترتبة على الشهادة كثيرة، ولكن زهد فيها كثير من المسلمين، فلقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسابقون على الشهادة كما يتسابق الناس اليوم على المناصب، فقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: "لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ". فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ". قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: بَخ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخِ بَخِ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: "فَأَتَكَ مِنْ أَهْلِهَا". فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِّيتُ حَتَّى أَكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ، حَتَّى قُتِلَ.

وروى الإمام أحمد عن شداد بن الهادي، أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك. فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبيًا، فقسّم وقسّم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يزعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم. فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما هذا؟ قال: "قسمته لك". قال: ما على هذا أتبعتك، ولكني أتبعك على أن أرمي إلى هاهنا - وأشار إلى خلفه - بسهم فأموت فأدخل الجنة. فقال: "إن تصدق الله يصدقك". فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل، قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أهو هو؟" قالوا: نعم. قال: "صدق الله فصدقته". ثم كفّنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: "اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك، فقتل شهيداً، أنا شهيدٌ على ذلك".

"صدق الله فصدقته" {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [سورة الأحزاب: 23]

ومن هؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه: أنس بن النضر رضي الله عنه، كما عند البخاري عن أنس رضي الله عنه، قال: غاب عمي أنس بن النضر

عَنْ قِتَالِ بَدْرِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، غِيبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتُ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيْنَّ اللَّهَ مَا أَصْنَعُ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ : يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، الْجَنَّةُ وَرَبِّ النَّصْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ. قَالَ سَعْدُ : فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ. قَالَ أَنَسُ : فَوَجَدْنَا بِهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمَحٍ، أَوْ رَمِيَّةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ، وَقَدْ مَثَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتَهُ بِنَانَهُ. قَالَ أَنَسُ : كُنَّا نُرَى - أَوْ نَظُنُّ - أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ : **{ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ }** إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

والأمثلة في ذلك كثير، والجهاد يكون بالسيف والسنان ،وبالحجة والبيان،ويكون بالنفس والمال،ويكون بالنية الصادقة،فيكتب للعبد الأجر بنيته الصالحة ولو لم يجاهد، إنما الأعمال بالنيات،فقد روى مسلم عن سهل بن حنيف رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاسِهِ** "

فيجب على المسلمين أن يوحدوا صفوفهم ويتمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم ثم يصححوا معتقدهم ويوحدوا منهجهم وينبذوا التحزبات والفرقة بينهم ثم يعلنوا الجهاد ضد أعدائهم وإلا فالدمار عليهم،فقد روى الإمام مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ** "

وهنا تنبيه:لا يكون الجهاد ناجحاً،إلا أن يكون شرعياً، وهو أن يكون تحت راية شرعية، وبقيادة إمام مسلم، وبفتاوى شرعية من علماء ربانيين راسخين في العلم متجردين للحق والدليل،يقدرّون المصالح والمفاسد، ويعرفون العواقب الحميدة، ويتوقعون النتائج الإيجابية، ليسوا حماسيين متهورين، ولا أصحاب فوضى طائشين، كما قال الله في كتابه الكريم: **{ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا }** [سورة النساء : 83]

وأولو الأمر هم أصحاب الرأي والعلم من العلماء والنصحاء، فهم الذين مدحهم الله ورفع قدرهم وأعلى مكانتهم؛ لأنهم أخشى الناس لربهم وأعرف الناس بمولاهم وأسبق الناس إلى طاعته، وأعرف الناس بدينه، فإنهم هم الذين

يعرفون الفتنة قبل مجيئها، وهم الذين أشهدهم على توحيدهم، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران : 18]

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر : 9] فيجب الرجوع إلى العلماء في المعضلات، وعدم مخالفتهم عند المهمات، وانظروا إلى مخالفة الرماة لأمرهم في غزوة أحد، وهو عبد الله بن جبير رضي الله عنه حيث نهاهم عن مغادرة الجبل فعصوا أمره، وقبل ذلك نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم فخالفوا أمره، فماذا نتج عن هذه المخالفة؟ فقد تحول النصر إلى هزيمة شنيعة، وقُتل سبعون من خيار الصحابة، على رأسهم حمزة أسد الله وأسد رسوله، بل كاد النبي صلى الله عليه وسلم أن يُقتل فسلمه الله عزو وجل، وكل ذلك بسبب مخالفة الرماة لرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفتهم لأمرهم .

فلو أن الناس رجعوا إلى علمائهم في هذا الزمان لما حصلت هذه الفتن، فإنه لما خرجت الشعوب على حكامهم صاح العلماء وحذروا من الخروج حتى بحت أصواتهم، فحصلت فتن عظيمة وأزمات شديدة أهلكت الحرث والنسل، ولا يزال المسلمون يعانون منها إلى اليوم، وندم كثير ممن شارك فيها، وتمنوا لو أنهم أخذوا بتوجيهات علمائهم والله المستعان.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وسيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد:

فلا زلنا حول حديث **ابن عمر** رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِذَا تَبَايَعْتُمْ **بِالْعَيْنَةِ** ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ " . رواه أبو داود وصححه الإمام الألباني رحمه الله.

وتكلمنا عما يسر الله من معانيه، وعرفنا كثيرا من فوائده، ونتكلم الآن حول ما يتعلق بقوله صلى الله عليه وسلم: "سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ" أي أنه إذا ارتكب المسلمون المعاصي ومنها الربا وانهمكوا في الدنيا وتركوا الجهاد في سبيل الله سلط الله عليهم الذلة والهوان إلى أن يتركوا هذه الأمور ويراجعوا دينهم، ومراجعة الدين هي أن يتمسكوا به فيمتثلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه، ويعملوا بأحكامه، ويقفوا عند حدوده.

فيستفاد من الحديث أن المعاصي سبب للذل وتسلط الأعداء، وأن التمسك بالدين وإقامة شعيرة الجهاد سبب للعز والنصر على الكافرين.

ويستفاد من قوله: "سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ" أن الأعداء من الكفار والمشركين سيتسلطون على المسلمين في حال ضعفهم وبعدهم عن دينهم، وعلى هذا فلا قوة لهم إلا بالله وبطاعة الله والرجوع إلى دين الله والتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال: «تركت فيكم شيئين لن تصلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» .

فمن تمسك بهذين الأصلين فلن يضل في الدنيا، ولن يضل أيضا في الدين، ولن يشقى في الآخرة، فالتمسك بهما نجاة، والإعراض عنهما هلاك، قال الإمام مالك رحمه الله: " السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق".

وروى الإمام مسلم عن عُمَر رضي الله عنه قال: أَمَّا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ ".أي: أن الله يرفع أهل القرآن الحافظين له، العاملين به، الداعين إليه، وينصرهم على أعدائهم، ويؤيدهم في الدنيا والآخرة، ويضع من نبذ القرآن وراءه، وخالفه ولم يهتم به.

فالنصر والعز -ياعباد الله - منوط بالعمل بالقرآن، وبالطاعات والإيمان، لا بالأغاني والعصيان، العز يكون بتوحيد الواحد الديان، لا بالشرك وعبادة القبور والأوثان، العز باتباع النبي العدنان، لا بالبدع واتباع حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام، "يَرْفَعُ اللَّهُ بِالْقُرْآنِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ"، فقد ترك لنا النبي صلى الله عليه وسلم شيئين لن نضل ولن نشقى ما إن تمسكنا بهما.

-ومن أسباب ذل المسلمين وجود الغثائية في صفوفهم، وهم الذين لا همَّ لهم إلا بطونهم وفروجهم وشهواتهم، وهم أناس متفرقون متحزبون، يتابعون الموضات الغربية، وملاعب الكرة، والنوادي والمسلسلات، وأصحاب الشبهات والشهوات، الذين تركوا المساجد وضيعوا الصلوات، لايهمهم نصر دين الله ولا إعلاء كلمة الله، الكثير منهم حول البدع والمحدثات، والمظاهرات والاعتصامات، التي هي تشبه بالكفار، وإحياء لعاداتهم، فهذه العادات ما زادت الطين إلا بلة، ولا زادت المسلمين إلا ذلة، فهذا هو الغالب على الشعوب الإسلامية إلا من رحم الله، ولذلك تكالب عليهم الأعداء وتداعوا عليهم، واستذلّوهم ولم يهابوهم كما كانوا يهابون من كان قبلهم، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بحال هذه الأمة التي ستكون هذه صفاتهم قبل أربعة عشر قرنا، حيث شبههم بغثاء السيل الذي يأتي في مقدمة السيل من القمام والأعواد والزبد والخرق التي لا ينتفع بها الناس، وإنما يرمي بها

السيل يسرة ويمنة، هؤلاء هم الغثنائية الذين لا يُرجى منهم نصره لدين الله، بل هم السبب في انهزام المسلمين وذلهم أمام أعدائهم، وكذلك شبههم الله تعالى بالغناء والخبث الذي يخرج من الذهب والفضة عند تصفيته في النار، فالسيل والذهب والفضة هو الذي ينتفع به الناس، وهذا مثل لأهل الحق، والزبد والغناء والصدأ لا ينتفع به الناس، بل يتضررون منه، وهذا مثل لأهل الباطل، قال تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ ۚ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [سورة الرعد : 17]

وروى أبو داود وأحمد عن ثوبان رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ". فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : " بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ ". فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : " حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ". وفي رواية عند أحمد : " قَالُوا : وَمَا الْوَهْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " حُبُّكُمْ الدُّنْيَا ، وَكَرَاهِيَتُكُمْ الْقِتَالَ "

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم رد المسلمين إلى دينك ردا جميلا، اللهم ردنا إلى دينك ردا جميلا، اللهم خذ بأيدينا إلى كل خير، وادفع عنا كل شر وضير، اللهم انصر الإسلام والمسلمين، اللهم عليك باليهود والنصارى والصليبيين، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللهم رد كيدهم في نحورهم واجعل الدائرة تدور عليهم، وزلزلهم واقذف الرعب في قلوبهم، وأفشل خططهم، وبور مكرهم، واجعل بأسهم بينهم، وفرق جمعهم وأوهن شوكتهم وشتت شملهم ياقوي يامتين.

خطبة بعنوان

[(أسباب نصر المسلمين على أعدائهم)]

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أيها الناس: (إنما توعدوننا لآت وما أنتم بمعجزين)

فإنه لا يخفى على مسلم عداوة اليهود والنصارى للمسلمين، وخبثهم عليهم، ومكرهم بهم في الليل والنهار، فمن ظن أنهم ليسوا أعداء للمسلمين فإنه مغفل، ومن ظن أنهم سيرضون عن المسلمين فإنه ضعيف الرأي والعقل، بل إنه ضعيف الإيمان، وبعيد عن القرآن، فقد ذكر الله في كتابه ونبيه صلى الله عليه وسلم في سنته أنهم أعداء الله ورسوله والمسلمين، وأنهم يكيدون للإسلام والمسلمين ليل نهار، ولن يرضوا عن المسلمين حتى يرتدوا عن دينهم فيصيروا مثلهم، فيجب على المسلمين أن يحذروهم وأن يحذروا من عاداتهم وتقاليدهم وأنظمتهم، وأن يكونوا صفا واحدا أمامهم، بل يجب على المسلمين أن يعلنوا الجهاد ضدهم، إلا أن يسلموا أو يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون، قال تعالى: **{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }** [سورة التوبة : 29]

وقال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }** [سورة التوبة : 123]

وسياتي الله بقوم خير منا يقاتلون أعداء الله ويكسرون شوكتهم، فقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَخْرُجُ مِنْ عَدَنِ أَبِينِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ"

فإنه لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ويستبيحون بيضتهم، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ

أَوِ الشَّجَرُ : يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ.
إِلَّا الْعَرْقَدَ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ "

فنحن مؤمنون بأنه سيأتي اليوم الذي يشفي الله صدور المسلمين من اليهود، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: متى يكون هذا ومتى سيأتي هذا اليوم؟
الجواب: سيكون هذا النصر إذا توفرت أسبابه، ووجدت رجاله، وفي هذا المقام نذكر لكم أهم أسباب النصر، فإن الله تعالى جعل لكل شيء سبباً، وربط المسببات بأسبابها، فالذي يريد النصر بدون أسباب كالذي يريد من السفينة أن تجري على اليابسة، كما قال القائل:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها :::: إن السفينة لا تجري على اليبس

ثم اعلموا أن أهم سبب، وأول سبب لنصر الإسلام والمسلمين، ولن يتحقق النصر إلا به، هو تحقيق توحيد الله عز وجل والدعوة إليه ومحاربة الشرك والمشركين، فلن ينتصر المسلمون وفي أوساطهم من يعبد غير الله من أصحاب القبور وغيرها، ولن ينتصر المسلمون وكثير منهم يذبحون وينذرون لغير الله، ويحلفون بغير الله، لن ينتصر المسلمون وفي أوساطهم السحرة والمنجمون، والمشعوذون، لن ينتصر المسلمون وفيهم التشاؤم وتعليق التمام وغيرها من الشركيات، فلقد كان من أسباب سقوط الدولة العثمانية العظمى تشييد القباب ثم الشرك وعبادة القبور، فإن الله سبحانه وتعالى وعد عباده بالنصر والتمكين إذا هم وحدوه، وآمنوا به وأطاعوه، قال سبحانه: **{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }** [سورة النور : 55]

ففي هذه الآية شرط ومشروط، فإذا تحقق الشرط تحقق المشروط، فالشرط هو التوحيد، وهو قوله تعالى: **{ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا }**

والمشروط هو النصر والأمن والتمكين في الأرض.

-ومن أسباب النصر يا عباد الله التوكل على الله والاعتماد عليه والثقة به، ولا ينافي ذلك العمل بالأسباب دون الاعتماد عليها، قال تعالى: **{ قَالَ**

رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْتُكُمُ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [المائدة ٢٣]

قال ابن كثير في تفسيره: "أي : متى توكلتم على الله واتبعتم أمره ، ووافقتم رسوله ، نصركم الله على أعدائكم وأيدكم وظفركم بهم ، ودخلتم البلدة التي كتبها الله لكم" اهـ

وقال تعالى: **{ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) }** [سورة آل عمران : 173 إلى 174]

وكان سبب نزول هذه الآية أن المشركين أرادوا أن يعيدوا الكرة على المسلمين عقب غزوة أحد فيستأصلوهم فلما بلغ الخبر المسلمين قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، ثم تجهزوا واستعدوا لقتالهم بعد ما أصابهم من القتل والجراحة بل تبعوهم إلى حمراء الأسد متوكلين على الله واثقين بنصره وأنه لن يضيعهم، فخاف المشركون من لقائهم مرة أخرى فسميت بغزوة حمراء الأسد ورجع المسلمون منتصرين بدون قتال؛ لأن المشركين جبنوا عن قتالهم مرة أخرى.

ولما تبع فرعون موسى وقومه ليستأصلوهم حتى إذا صار البحر أمامهم والعدو خلفهم، أيقن أصحاب موسى عليه السلام بالهلاك، فأخبر موسى قومه بوعد الله، وأن الله لن يضيعهم ولن يسلط عليهم عدوهم، قال تعالى: **{ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ (66) }** [سورة الشعراء : 61 إلى 66]

وقال الله عن هود عليه السلام متحديا لقومه المشركين ومتوكلا على الله بعد أن توعدوه وسفهوه: **{ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (54) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56) }** [سورة هود : 54 إلى

[56]

الشاهد أن المؤمن يعمل بالأسباب في جهاد الأعداء ويتوكل على الله في تحقيق النصر.

-ومن أسباب انتصار المسلمين على أعدائهم الدعاء والإلحاح على الله بقلوب متضرعة ومنكسرة بين يديه، لاسيما في أوقات الإجابة، مع العمل بأسباب الإجابة واجتناب موانعها، فإن من أهم أسباب انتصار المسلمين في غزوة بدر لهو الدعاء، تلك الوقعة العظيمة التي أعز الله بها دينه وأعلى كلمته وأعز الإسلام والمسلمين، وكسر شوكة المشركين، قال تعالى : **{ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) }** [سورة الأنفال : 9 إلى 10]

فقد بات النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة بدر يناشد ربه ويستنصره فأنجز له ما وعده، فقد روى الإمام مسلم عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ : " اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكُ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تَعْبُدْ فِي الْأَرْضِ ". فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ مَا دَا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْفَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، **كَفَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبَّكَ** ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : **{ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ }** ، فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ. قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ : فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ ، قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَنْثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ : أَقْدِمْ حَيْزُومُ . فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ، فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَأَخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : " صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ". فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسْرُوا سَبْعِينَ."

فأكثرُوا من الدعاء يا عباد الله ،ادعوا لإخوانكم المستضعفين في كل مكان،لعل الله ينصرهم ويفرج عنهم بدعوة رجل صالح منكم،عليكم بالدعاء في الثلث الأخير من الليل وفي السجود فإنهما من أعظم أسباب الإجابة.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ : **مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ** ".

وروى مسلم عن أبي هريرة أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، **فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ** ".

ومن أسباب الإجابة الدعاء عند القتال،فقد روى الإمام أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ثِنْتَانِ لَا تُرْدَانِ، أَوْ قَلَمَا تُرْدَانِ : الدُّعَاءُ عِنْدَ النَّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا".

وقال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }** [سورة الأنفال : 45]

قال المفسر الطبري والبعوي في تفسير قول الله **{وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا}** : "أي ادعوا الله بالنصر والظفر بهم" اهـ.

وقال الله عن طالوت وجنوده وهم يدعون الله ويستغيثون به على عدوهم: **{ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ } وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) }** [سورة البقرة : 250 إلى 251]

فلا تستهينوا بالدعاء يا عباد الله فإن شأنه عظيم،فقد دمر الله به دولا وشعوبا وجيوشا كانت تصول وتجول في الأرض،ولقد أحسن من قال:

أنهزاً بالدعاء وتزدرية***وما يدريك ما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطئ ولكن*** لها أمد ولأمد انقضاء

-ومن أسباب النصر الرجوع إلى الكتاب والسنة والعمل بهما وفهمهما على فهم السلف الصالح: فقد روى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ "

فمن تمسك بالكتاب والسنة فلن يضل ولن يشقى ولن يهزم ولن يكسر بإذن الله تبارك وتعالى ، فقد أعز الله الصحابة رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم بإيمانهم وتوحيدهم وبتمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، ففتح الله بهم مشارق الأرض ومغاربها ودانت لهم العرب والعجم، قال عز م من قائل: **{وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41) }** [سورة الحج : 40 إلى 41]

فيا عباد الله إننا لن ننتصر على أعدائنا ونحن بعيدون عن ديننا ، هاجرون لكتاب ربنا، مخالفون لسنة نبينا، لن ننتصر على أعدائنا ونحن نجاهر ربنا بالذنوب والمعاصي، فإن كثيرا من المسلمين يتحمسون لقتال اليهود وما استطاعوا أن يجاهدوا أنفسهم بترك المعاصي، ولا استطاعوا أن يجاهدوا أنفسهم على أداء الصلاة، ما استطاعوا أن يتغلبوا على النوم وعلى البرد لأداء صلاة الفجر، فكيف سيثبت هذا الصنف أمام المدافع والدبابات؟، إنما يثبت الله المؤمنين بطاعته، ويذل من يشاء بمعصيته، فلا بد أن يكون جهاد النفس قبل جهاد الأعداء، هزم المسلمون في غزوة أحد بسبب معصية يسيرة، وهي مخالفة الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وهزموا في غزوة حنين بسبب إعجابهم بكثرتهم، فكيف بالمعاصي والشركيات والبدع والمحدثات في هذا الزمان؟! فقد انتشرت انتشار النار في الهشيم، يقول الله في كتابه الكريم: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَصَرُّوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }** [سورة محمد : 7]

قال المفسر السعدي رحمه الله: هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، ..".

-ومن أسباب انتصار المسلمين على اليهود والنصارى والمشركين، تحقيق الولاء والبراء الشرعي، وهو الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والمعاداة للكفار والمشركين والمنافقين وبغضهم والتحذير منهم ومن عاداتهم وتقاليدهم وأنظمتهم، والاعتصام بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة وعدم التفرق والتحزب في الدين، وعدم الولاء والبراء من أجل أشخاص، أو من مصالح خاصة، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المائدة : 51]

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ﴾ [سورة التوبة : 71]

فيجب على المؤمنين أن يتولى بعضهم بعضاً، وأن ينصر بعضهم بعضاً، وأن يقوم بعضهم على بعض، وأن يتألم بعضهم على بعض.

ولنا عبرة بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته حيث كانوا أشداء على الكفار متبرئون منهم، رحماء فيما بينهم متحابون في في الله ومن أجل الله، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح : 29]

فيجب على المسلمين أن يكونوا كتلة واحدة أمام أعدائهم، وأن تكون كلمتهم واحدة، وعلى منهج واحد مستمد من كتاب وسنة، فلا تفرقهم قومية ولا طائفية ولا حزبية ولا مصالح دنيوية، فقد أمر الله تعالى بالاعتصام، ونهى عن التفرق والتحزب في الدين، فقال سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران : 103]

وبين عز وجل أن التفرق سبب للفشل والانهازام أمام الأعداء، فقال في كتابه الكريم: **{ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }** [سورة الأنفال : 46]

وقال سبحانه: **{ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ۚ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32) }** [سورة الروم : 31 إلى 32]

فلن ينتصر المسلمون على أعدائهم وهم فرق وأحزاب متناحرة حتى يتوحدوا على المنهج الذي كان عليه نبيهم وصحابته، فلقد كانوا حزبا واحدا لا ثاني له، ولقد كانوا على قلب رجل واحد ولذلك أعزهم الله ونصرهم على عدوهم.

تأبى العصي إذا اجتمعت تكسرا *** وإذا افتترقت تكسرت أحادا.

لم يأت هذا الذل والانهازام للمسلمين إلا بعد أن فرقهم اليهود والنصارى إلى دويلات متناثرة، وإلى أحزاب متناحرة، فضربوا بعضهم ببعض فصاروا منشغلين بأنفسهم، ليسوا مستعدين لعدوهم والله المستعان.

-ومن أسباب النصر على الأعداء: طاعة أولياء أمور المسلمين من العلماء والأمراء: قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۚ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا }** [سورة النساء : 59]

فطاعة العلماء تكون بالرجوع إليهم وعدم الصدور إلا عن رأيهم، فإنهم يعلمون ما لا يعلم غيرهم، وهم الذين يعلمون الفتن قبل مجيئها، وهم الذين يقدرّون النوازل، وهم الذين يميزون المصالح من المفسد، ويعرفون الواقع من صميمه، ويدركون العواقب بما أعطاهم الله من نور العلم والعرفان، فلا يرجع في القضايا الكبيرة كمسائل الحرب والجهاد إلى الجهال والحماسيين، ولا إلى أهل البدع الزائغين، وإنما ترد هذه القضايا إلى العلماء الراسخين، قال تعالى: **{ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }** [سورة النحل : 43]

وقال تعالى: **{ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا }** [سورة النساء : 83]

قوله : **{ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ }** أي إلى سنته، وقوله: **{ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ }** هم أهل العلم.

قال المفسر السعدي: "...وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي: والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها.."

فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، فيحتاج إليهم جميع الناس على مختلف وظائفهم ومراتبهم وأعمالهم فيجب الرجوع إليهم عند النوازل والمعضلات، لا سيما في أوقات الجهاد والحروب فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يتشاور مع كبار الصحابة في مسائل الجهاد، ولقد كان أهل بدر وهم كبار الصحابة وعلمائهم كانوا أهل مجلس عمر بن الخطاب وأهل مشاورته.

وهكذا يجب طاعة الأمراء والقادة وعدم مخالفتهم، فقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي"** وقد كان من أسباب هزيمة المسلمين في غزوة أحد أن الرماة الذين جعلهم على جبل أحد خالفوا أميرهم وهو عبدالله بن جبير رضي الله عنه، وقبل ذلك خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم فنزلوا من الجبل فالتف المشركون على المسلمين من خلف الجبل فقتلوا سبعين من خيار الصحابة رضوان الله عليهم، منهم حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه أسد الله وأسد رسوله، وكاد النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل لولا أن سلمه الله، فقد شج وجهه وكسرت رباعيته بأبي وأمي هو صلى الله عليه وسلم.

فقد روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: **جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّجَالِ يَوْمَ أُحُدٍ - وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: "إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطِفْنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ"**. فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ قَدْ بَدَتْ خَلَائِفُهُنَّ وَأَسَوَّقُهُنَّ، رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الْغَنِيْمَةُ، أَيُّ قَوْمٍ، الْغَنِيْمَةُ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنْسَيْتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ فَلَنُصِيبَنَّ

مِنَ الْغَنِيمَةِ. فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمْ
الرَّسُولُ فِي أَخْرَاهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ
رَجُلًا، فَأَصَابُوا مِثْلًا سَبْعِينَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ أَصَابَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً ؛ سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا"

فانظروا يا عباد الله، إذا كانت هذه المخالفة سببا لانهزام المسلمين، وقد
كانت عن اجتهاد منهم بعدما تيقنوا النصر للمسلمين وانهزام
المشركين، فكيف بالمخالفات في هذا الزمان من الشرك والسحر والزنا
واللواط والسرقة والربا والرشا وقتل النفس التي حرم الله بغير حق، وارتكاب
البدع والمحدثات في أوساط المسلمين فهذه المعاصي نذير شر، فإن واحدة
منها كفيلة بأن تكون سببا لانهزام المسلمين نسأل الله العافية والسلامة.

الخطبة الثانية

الحمد لله معز المؤمنين ،ومذل المشركين،ومعلي كلمته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن شعيرة الجهاد من أعظم العبادات، فيجب إقامتها لإعلاء كلمة الله وقمع الشرك والمشركين، فيجب على المجاهدين أن يجاهدوا الكفار، فهذا من أهم أسباب النصر والتمكين،إذا كان الجهاد من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا،لا من أجل مناصب ودنيا،ولا من أجل قومية عربية،ولا من أجل أراضي فلسطينية فحسب،فإن العداء بيننا وبين اليهود ليس من أجل الأراضي فقط، ولكن العداء بيننا وبينهم من أجل الدين والعقيدة،نقاتلهم من أجل اعتدائهم على بلاد إسلامية،ومن أجل اعتدائهم على الإسلام والمسلمين، وإن خرجوا من أراضي فلسطين فإنهم لا يزالون أعداءنا، يجب قتالهم حتى يوحدها الله تعالى أو يدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون،فقد روى البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ : " مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " .

فلا تقاتل من أجل العروبة يامسلم،ولكن قاتل قوما أشركوا بالله،ونسبوا إليه الولد،وقالوا إنه فقير،وعادوا خير الملائكة وهو جبريل عليه السلام، وطعنوا في نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم،بل قتلوا أنبياءهم ومكروا بصالحهم وحرفوا كتبهم واحتالوا في دينهم،فعليهم لعائن الله المتوالية إلى يوم القيامة إخوان القردة والخنازير.

-ومن أسباب النصر على أعداء الإسلام والمسلمين تصفية الجيش المسلم من المنافقين والمستشرقين والماسونيين والمخذلين،وأصحاب الأطماع الدنيوية،ويؤتى برجال صادقين صالحين أولي عزائم قوية هدفهم الدار

الآخرة، قلوبهم غير معلقة بالدنيا أو بالمناصب والشهرة ونحو ذلك، فإن الهزيمة تأتي من قبلهم فقد رجع عبدالله بن أبي بن سلول المناق بثلاث الجيش في غزوة أحد وحصل ما حصل مما سمعتم.

فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم نبيا من الأنبياء - عليهم السلام - بدأ بتصفية الجيش قبل الخوض في المعركة، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ : لَا يَتَّبِعَنِي رَجُلٌ قَدْ بَضَعَ امْرَأَةً وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا بَيْنَ، وَلَا آخِرٌ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا وَلَمَّا يَرْفَعُ سُقْفَهَا، وَلَا آخِرٌ قَدْ اشْتَرَى غَنَمًا، أَوْ خِلْفَاتٍ وَهُوَ مُنْتَظَرٌ وَلَادَهَا ".

فانظر يا مسلم إلى هذا النبي الكريم، كيف نهى أن يتبعه رجل قلبه مشغول بأمر دنيوي حتى لا ينهزموا بسببه، فكيف لو كان في أوساط الجيش مفسدون، وعملاء خائنون، فينبغي تصفية الجيش منهم من باب أولى ليأمن المسلمون مكرهم ويكفيهم الله شرهم.

-ومن أسباب النصر على الأعداء أن يكون الجهاد تحت راية شرعية واضحة لا غبار عليها، بأمر من الإمام الأعظم للمسلمين أو من ينوبه من الأمراء والوزراء، وأن يكون الجيش مرتبا ترتيبا عسكريا لا عشوائيا بعد إعداد العدة من الرجال الصادقين والعدة من السلاح ومستلزمات الحرب، لقوله تعالى: **{ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ }** [سورة الأنفال : 60]

أما إذا كان المسلمون غير مستعدين للقتال وهم في حالة ضعف، فلا يلقوا بأيديهم إلى التهلكة، فإن الله تعالى لم يأذن لنبيه صلى الله عليه وسلم بالقتال في مكة؛ لأنهم كانوا في حالة ضعف، وإنما أمره أن يجاهد المشركين بالقرآن وهو الجهاد بالحجة والبرهان كما قال تعالى: **{ فَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا }** [سورة الفرقان : 52]

فلما هاجر إلى مكة وقويت شوكة المسلمين أذن الله لهم بالقتال كما قال تعالى:
{ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ۖ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } [سورة
الحج : 39]

هذه أهم أسباب النصر على الأعداء وبقي أسباب انهزام المسلمين أمام
أعدائهم لايسع المقام لذكرها، لعل الله ييسر ذكرها في الخطب القادمة إن شاء
الله تعالى.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك
والمشركين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، اللهم عليك باليهود
الغاصبين، اللهم عليك بالنصارى المعتدين، اللهم دمرهم تدميرا ، ولا تبق منهم
صغيرا ولا كبيرا، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللهم أنزل عليهم بأسك
الشديد الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب
وهازم الأحزاب ، اهزم اليهود شر هزيمة واجعلهم للإسلام والمسلمين
غنيمة، اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تبق منهم أحدا ، اللهم لقهم
الردى، اللهم أرنا فيهم يوما أسودَ، اللهم الطف بإخواننا المستضعفين في شتى
بقاع العالم، اللهم انصر إخواننا في فلسطين، اللهم قو شوكتهم، وثبت الأرض
من تحت أقدامهم، اللهم تقبل شهداءهم ، وداو جراحهم، اللهم أمددهم بمدد من
السماء وأيدهم بجنودٍ من جنودك، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أسباب انهزام المسلمين أمام أعدائهم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة د.

أما بعد:

فيقول رب العزة والجلال في محكم التنزيل: **{ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا**

كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } [سورة الشورى : 30]

يخبر تعالى عن أسباب المصائب التي تنزل بالمسلمين من شدة وقحط وأزمات ونكبات، ومن تسلط الأعداء عليهم كل هذا ونحوه بسبب ذنوبهم، قال تعالى: **{ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }** [سورة آل عمران : 165]

وذلك أن المسلمين هُزموا في غزوة أحد بسبب مخالفة الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا كيف نهزم ونحن مسلمون وفينا نبي الله صلى الله عليه وسلم، فكيف تسلط علينا المشركون وانتصروا علينا؟! قال الله ردًا عليهم: **{ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ }**، قال ابن كثير رحمه الله: "أي بسبب عصيانكم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فعصيتهم ، يعني بذلك الرماة"

فانظر يا عبد الله كيف تحول النصر إلى هزيمة للمسلمين بسبب معصية واحدة، فقل لي بربك كم من المعاصي في زماننا؟ فالشرك منتشر، والسحر موجود، والسحرة متوافرون على مسمع ومرأى من الناس بلا نكير، وانتشر الزنا والخنا واللواط والربا والرشا، والقتل والقتال بين المسلمين وغير ذلك من المعاصي التي لا يسع المقام لسردها هنا، كل هذه المعاصي ، بل واحدة منها كفيلة بأن يسلط الله علينا أعداءنا عقوبة لنا، وإذا نزلت المصائب فإنها تعم الصالحين والفاستدين.

إذن فإن من أعظم أسباب الذل والانهازم وتسلط الأعداء على المسلمين لهي ذنوبهم، قال تعالى: **{ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }** [سورة يونس : 27]

وروى ابن ماجه عن عبد الله بن عمر قال : أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : " يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلَنُوا بِهَا إِلَّا فِشًا فِيهِمُ الطَّاعُونَ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُتُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ

غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أُنْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ".

الشاهد قوله صلى الله عليه وسلم: "وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ.."

فالذين ينقضون عهد الله وعهد رسوله خاسرون بنص قوله تعالى: { الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [سورة البقرة : 27]

قال المفسر السعدي رحمه الله: " وهذا يعم العهد الذي بينهم وبينه والذي بينهم وبين عباده الذي أكدّه عليهم بالمواثيق الثقيلة والإلزامات، فلا يبالون بتلك المواثيق؛ بل ينقضونها ويتركون أوامره ويرتكبون نواهيه؛ وينقضون العهود التي بينهم وبين الخلق. { وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ } وهذا يدخل فيه أشياء كثيرة، فإن الله أمرنا أن نصل ما بيننا وبينه بالإيمان به والقيام بعبوديته، وما بيننا وبين رسوله بالإيمان به ومحبته وتعزيره والقيام بحقوقه، وما بيننا وبين الوالدين والأقارب والأصحاب؛ وسائر الخلق بالقيام بتلك الحقوق التي أمر الله أن نصلها".

الشاهد أن نقض عهد الله وعهد رسوله بارتكاب المعاصي سبب لتسلط الأعداء على المسلمين وعلى أموالهم وثرواتهم، إنما ينصر الله المؤمنين على الكافرين بطاعتهم له، فإذا عصوا الله صاروا مثلهم فيسلطهم عليهم عقوبة لهم، فإن المعاصي وأصحابها سبب لانهزام المسلمين، ولقد قال قائلهم: ((كأسٌ وغانية يفعلان في المسلمين ما لا يفعله رشاشٌ ومدفع)) يعني -قبحه الله - الخمر والزنا يفسدان في المسلمين أكثر من إفساد الرشاش والمدفع.

ولقد علمتم أن سبب انهزام المسلمين في غزوة أحد لهو مخالفة الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، فتحول النصر إلى هزيمة، فكيف ما فوق ذلك من المخالفات والمنكرات؟!

فقد روى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكَتُمُ الْجِهَادَ ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ "

والعينة: هي نوع من أنواع الربا، وهو سبب من أسباب ذل المسلمين وانتكاستهم، وقد كثر الربا في بلاد المسلمين، فحدث ولا حرج لكثرتة، فما من بلاد من بلدان المسلمين إلا وفيه الربا بجميع أصنافه وأنواعه، فقد روى البخاري ومسلم واللفظ له عن جابر رضي الله عنه ، قَالَ : "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْلَ الرِّبَا، وَمُؤْكَلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدِيهِ. وَقَالَ : " هُمْ سَوَاءٌ " .

فالمرابي يا عباد الله ملعون، أي مطرود من رحمة الله، ومن طرده الله من رحمته فلن تجد له نصيرا.

-ومن أسباب انهزام المسلمين أمام أعدائهم مخالفة السنة وارتكاب البدع والمحدثات، فقد روى الإمام أحمد رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ " .

وتقدم حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ " ويدخل في عهد رسول الله سنته، فمن نبذ سنته ولم يعمل بها فقد نقض عهده عليه الصلاة والسلام، فإن مخالفة السنة سبب لتسلط الأعداء على المسلمين وأخذ ما في أيديهم، وامتصاص ثرواتهم، بل وأخذ بعض أراضيهم بل مضايقتهم في دينهم وفرض عاداتهم وتقاليدهم عليهم، كما أخبر عليه الصلاة والسلام: " وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ "

فيا عباد الله: إذا كانت المعاصي سببا لانهزام المسلمين، فمن باب أولى البدع والمحدثات، فإن البدعة شر من المعصية، قال سفيان بن عيينة رحمه الله: "البدعة أحب إلى إبليس من المعصية"

وما أوتي المسلمون إلا من قبل أهل البدع قديما وحديثا، ولقد كان سبب الفتنة بين الصحابة رضوان الله عليهم هم أهل البدع من الخوارج وغيرهم، إذ قتلوا عثمان ثم قتلوا عليا رضي الله عنهما، فحصلت ملاحم عظيمة بين الصحابة، ولا يزال المسلمون يعانون من عواقب تلك الفتنة إلى اليوم.

ومن أسباب ضعف المسلمين في هذا الزمان خروج المسلمين على حكامهم بإقامة المظاهرات ضدهم، وهكذا بدع الحزبية التي فرقت المسلمين إلى فرق وأحزاب متناحرة، فقد جعلت المسلمين لقمة سائغة أمام أعدائهم، حتى شغل المسلمون اليوم بأنفسهم، يقتل بعضهم بعضا ويعادي بعضهم بعضا، الأمر الذي جعل الكفار يرمونهم بقوس واحدة، ويتمالنئون عليهم ويتجمعون.

-ومن أسباب انهزام المسلمين أمام أعدائهم: حب الدنيا وكرهة الموت:

اعلموا يا عباد الله أن من أعظم فشل المسلمين وانهزامهم أمام أعدائهم من اليهود والنصارى وغيرهم من ملل الكفر لهو تعلق قلوبهم بالدنيا، حيث ألهمتهم عن دينهم وشغلتهم عن جهاد أعدائهم، بل صار كثير من المسلمين حكاما ومحكومين يداهنون الكفار ويتنازلون عن أشياء من دينهم خوفا على مصالحهم الدنيوية، حتى وصل بهم الحد إلى ترك قول الحق خوفا على

مناصبهم، فأين العزة يا أيها المسلمون ؟ { **أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ**

جَمِيعًا } [سورة النساء : 139]

فقد صار كثير من المسلمين يقدمون مصالحهم الدنيوية على المصالح الدينية، بل شغلتهم دنياهم عن كثير من العبادات، حتى تركوا كثيرا من الواجبات ، بل تركوا الصلوات وأقبلوا على الشهوات، وغفلوا عن هاذم اللذات ، وكرهوا الشهادة في سبيل الله، وهي أفضل من الدنيا وما فيها، فإن الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة، فمن المؤسف أن كثيرا من المسلمين صاروا يعملون للدنيا وكأنهم لا يموتون أبدا، ولا يعملون للدين إلا ما تيسر منه، وهذا هو سبب ضعف المسلمين وانهزامهم وتسلب الكفار عليهم، مما جعلهم يتجرأون على المسلمين ويتداعون عليهم وهم في حالة تفرق وضعف، ولا يهابونهم مع كثرتهم ، فقد روى أبو داود عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا** " . فَقَالَ قَائِلٌ : وَمَنْ قَلَّةٌ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : " **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكُمْ غَنَاءٌ كَغَنَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ** " . فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : " **حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ** " .

فإن الكثرة بلا إيمان ولا عمل لا تغني أصحابها شيئا ، إنما ينفع الله بالإيمان والتوحيد ولو كان أهله قلة، فقد هزم المسلمون المشركين في غزوة بدر وهم قلة بإيمانهم وتوحيدهم ، وكان المشركون أضعاف أضعافهم بعدتهم وعتادهم، بينما المؤمنون ليسوا مستعدين للحرب، ولم يخرجوا لقتال، لكنهم لم يكن فيهم غثائية كما في زماننا، فإن كثيرا من شباب المسلمين في هذا الزمان - إلا من رحم الله - همهم بطونهم وشهواتهم، بعيدون عن دينهم ، غير متمسكين بكتاب ربهم وسنة نبيهم ، فمثل هؤلاء لا يُرْكَنُ إليهم في قتال الكافرين، ولا في نصرة هذا الدين، ولا سيحربون الأقصى والحال ما ذكر، لن يحرر الأقصى أصحاب البناطيل ولا أصحاب المسلسلات والأغاني، ولا أصحاب البدع والمظاهرات، إنما يحرره رجال صادقون موحدون، ولربهم طائعون وبسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم متمسكون، لا يبالون بالدنيا وإنما

همهم الدار الآخرة ، أما هذه المظاهرات فإنها لاتدل على قوة أصحابها إنما تدل على ضعفهم، وتبرهن لليهود ضعف المسلمين، فإنها لا تزيد الطين إلا بلة ، ولا تزيد الأمر إلا سوءاً، إنما يرهّب الأعداء رجال صادقون يجاهدون في سبيل الله، ويقاتلون من كفر بالله، يحبون الموت كما يحبون الحياة.

فقد روى أبو داود من طريق أسلم أبي عمران قال : غَزَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ نُرِيدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَالرُّومُ مُلْصِقُونَ ظُهُورَهُمْ بِحَايِطِ الْمَدِينَةِ، فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى الْعَدُوِّ، فَقَالَ النَّاسُ : مَهْ، مَهْ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ. فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ : إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيْنَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ : لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، قُلْنَا : هَلُمَّ نُقِيمْ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحْهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } فَأِلْقَاءُ بِالْأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ : أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحْهَا، وَنَدَعَ الْجِهَادَ. قَالَ أَبُو عِمْرَانَ : فَلَمْ يَزَلْ أَبُو أَيُّوبَ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ.

فانظروا يا عباد الله كيف سمى الله تعالى الرجوع إلى الدنيا تهلكة، فهكذا إذا ترك المسلمون الجهاد في سبيل الله وانشغلوا بالدنيا هلكوا ،ومن أعظم هذا الهلاك تسلط الكفار عليهم، فخير للمسلمين أن يموتوا ولا يتسلط عليهم الكفار يهينونهم ويفتنونهم في دينهم.

-ومن أسباب انهزام المسلمين وتسلط الأعداء عليهم يا عباد الله: ترك الجهاد، فقد ترك المسلمون الجهاد الذي فيه عزهم وإذلال أعدائهم، وإن كان فيه مشقة على النفوس لكنه يترتب عليه مصالح كثيرة، منها دينية ومنها دنيوية، قال تعالى: { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [سورة البقرة : 216]

فإن الكفار لن يتركوا المسلمين حتى يعلنوا هذه الشعيرة التي ضيعوها في هذه الأزمنة، فإن الجهاد من الأسباب التي يكسر الله به شوكة الكافرين والمشركين، ولقد أذن الله بالجهاد لنبينا صلى الله عليه وسلم فقام به ضد المشركين والمسلمون قلة قليلة فكسر الله شوكة المشركين وأعز الله به

الإسلام والمسلمين، قال تعالى: **{ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ۖ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ }** [سورة الحج : 39]

قال ابن كثير: "وقال غير واحد من السلف هذه أول آية نزلت في الجهاد".^١ ولقد كسر الله شوكة المشركين في غزوة بدر وهم أضعاف أضعاف المسلمين، ولو أن المسلمين صالحوا المشركين وداهنوهم كما يفعل المسلمون في هذا الزمان لما حصل ذلك النصر، بل لو تركوا جهادهم وقتالهم لأصبحوا في ذلة، وصاروا إلى قلة، وإن كان الله عز وجل قادرا على نصرهم، لكن الله تعالى أمر بفعل الأسباب، وقد تقدم حديث ابن عمر، رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ" رواه أبو داود.

ولقد أصاب المسلمين من الذلة ما الله به عليم، وذلك بسبب تركهم للجهاد، فإذا أرادوا العزة فليراجعوا دينهم، ويوحدوا صفوفهم، ويتبرأوا من اليهود والنصارى ثم يعلنوا الجهاد ضد هم، وإلا فلا يلوموا إلا أنفسهم.

فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث رسله إلى الملوك والعظماء يدعوهم إلى الإسلام ويتوعددهم بالقتال إلم يسلموا، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سفيان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ؛ أَسْلِمْ تَسْلِمًا، وَأَسْلِمْ يُوْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ"،

وكان من أقول هرقل لأبي سفيان: "فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمْتُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ، لَنَجَسَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ،.. قال أبو سفيان: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ (أي: لقد عظم أمر محمد)، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيُظْهِرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ، الحديث

وكتب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أمراء كسرى كما في البداية والنهاية لابن كثير: "أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا جَاءَكُمْ كِتَابِي فَأَبْعَثُوا إِلَيَّ بِالرَّهْنِ وَاعْتَقِدُوا مِنِّي

الذِّمَّة، وَإِلَّا فَوَ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لِأُبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ قَوْمًا يَحْبُونَ الْمَوْتَ كَمَا تَحْبُونَ أَنْتُمْ الْحَيَاةَ. ١٥

وجاء في مختصر السيرة أن خالدا كتب إلى كسرى: " أما بعد، فأسلموا تسلموا، وإلا فادوا الجزية وإلا فقد جننكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة " فصالحوه.

-ومن أسباب تسلط الكفار على المسلمين موالاتهم والتودد إليهم والمصارعة إليهم وتقليدهم في عاداتهم وتقاليدهم والتشبه بهم والعمل بأنظمتهم كالديموقراطية والحزبية التي فرقت المسلمين وشنت شملهم، والله عز وجل قد حذر عباده من هذا كله، فقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } [سورة الممتحنة : 1]

وقال تعالى: { ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [سورة المائدة : 51]

وقال الله: { فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ } [سورة المائدة : 52]

وهذا هو الحاصل من كثير من المسلمين، أنهم يوالون اليهود والنصارى ويتركون قتالهم خوفا أن تكون الدائرة عليهم، وهذا سوء ظن بالله تعالى، فإن الله وعد بالنصر والغلبة لعباده الصالحين، كما قال سبحانه: { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173) } [سورة الصافات : 171 إلى 173]

وإن حصل شيء من النصر للكافرين فهو بقدر الله قدره كونا حسب ما تقتضيه حكمته ليبتلي عباده فيتبين الصادق من الكاذب، ويتخذ شهداء، كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله: { إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ

وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۚ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } [سورة آل عمران : 140]

فإن النصر والعز والذل بيد الله تعالى ليس بأيدي الناس، فلا تتخذوا الكافرين
أولياء يا عباد الله، { الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ }
أَيَّبَتُّونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا } [سورة النساء : 139]

وقال الله: { وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ
} [سورة المائدة : 56]

فمن أين لنا النصر وقد صار كثير من المسلمين يفتخرون بالحضارات
الغربية ،ويقلدونهم في لباسهم وعاداتهم، فما إن تأتي عادة أو لباس أو حلاقة
من عند الكفار إلا ويسارعون إليها، ويعتبرون ذلك تطورا، قال عمر الفاروق
رضي الله عنه : "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره
أذلنا الله"

فقد صار كثير من المسلمين يلهثون وراء اليهود
والنصارى، يوالونهم، ويتجنسون بجنسياتهم، وصار الكثير يعملون في
منظماتهم، بل صار كثير من المغفلين يثنون عليهم ويفضلونهم على
المسلمين، وهؤلاء على خطر عظيم يخشى عليهم من الردة إذا فضلوا دينهم
على دين الإسلام أو صححوا منهجهم، انتبه أيها المسلم، لمسلم واحد -ولو كان
عاصيا فاسقا- خير من ملء الأرض كفار؛ لأنه مسلم يعبد الله، ويقول: لا إله
إلا الله، ويقيم الصلاة وأولئك مشركون كفار، يعبدون عزيزا وعيسى عليه
السلام، فأياك والتنازل عن دينك يا مسلم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم
وصحابته رضوان الله عليهم لم يتنازلوا عن شيء من دينهم وهم في حالة
ضعف، وقد عذبوا وأخرجوا من ديارهم، وأوذوا في الله فصبروا، وقد طلب
منهم أن يسكتوا عن سب آلهتهم فأبوا إلا أن يسبوا آلهتهم ويسفهاوا أحلامهم
ويدعوا إلى دين رب العالمين سبحانه وتعالى، فأعزهم الله ونصرهم، وكبت
أعداءهم.

أولئك آبائي فجنني بمثلهم &&& إذا جمعتنا يا جرير المجامع
وقال آخر: فتشبهوا إلم تكونوا مثلهم &&& إن التشبه بالكرام فلاح.

اعلموا يا عباد الله أنه لن يحرر الأقصى ولن يقاتل الكفار إلا الرجال الصادقون المتمسكون بالكتاب والسنة على منهج سلف الأمة، أما أصحاب المعاصي والمخالفات لن يصنعوا شيئاً، ولن يخاف منهم اليهود والنصارى، إن الكفار لا يخافون من أصحاب المظاهرات لأنهم غثائية، أصحاب بدع ومخالفات، إي وربي، ربما أكثرهم قطاع صلاة، بل ربما ظاهروا وقت الصلاة وضيعوا فريضة عظيمة في سبيل إقامة بدعة منكرة، ونبيناً صلى الله عليه وسلم لم تفتُ الصلاة في أرض المعركة، بل صلاها جماعة صلاة خوف، فلا تتعبوا أنفسكم يا أصحاب المظاهرات فإن الله لا ينصر الدين بالبدع والمعاصي والمخالفات، إنما ينصره بالطاعات، واعلموا أن الكفار يخافون من المتمسكين بدينهم، الذين تمسكوا بالكتاب والسنة، الكفار يخافون من أصحاب اللحى والعمائم والفُصم الذين يعملون بالسنة، ولذلك يحاربونهم ويسلطون عليهم عملاءهم، ويرمونهم بكل بلية؛ لأنهم يعلمون أن الخطر عليهم من قبَلهم، فأففقوا من غفلتكم يا أيها المسلمون وراجعوا دينكم وارجعوا إلى ربكم.

-ومن أسباب الهزيمة الاعتماد على العدد والعتاد والافتخار بالعروبة والقومية، وعدم الاعتماد على الله، فإن النصر من عند الله تعالى يا عباد الله، ينصر عباده المؤمنين الموحدين، الطائعين، المتوكلين عليه، فلقد نصر المسلمين في غزوة بدر مع قلة عددهم وعدتهم، وهزم المشركين مع كثرة عددهم وعتادهم: قال تعالى: **{ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }** [سورة الأنفال : 10]

ولقد كان من أسباب انهزام المسلمين في غزوة حنين إعجاب بعضهم بكثرتهم، حيث قالوا لن نغلب اليوم من قلة، كما أخبر الله عنهم بقوله: **{ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ }** [سورة التوبة : 25]

وروى الإمام أحمد عن صُهَيْبٍ، رضي الله عنه قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى هَمَسَ شَيْئًا لَا نَفْهَمُهُ، وَلَا يُحَدِّثُنَا بِهِ. قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فُطِنْتُمْ لِي ؟ " قَالَ قَائِلٌ : نَعَمْ. قَالَ : "

فَإِنِّي قَدْ ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِّنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ : مَنْ يُكَافِي هَؤُلَاءِ، أَوْ مَنْ يَقُومُ لَهُؤُلَاءِ ؟ " أَوْ كَلِمَةً شَبِيهَةً بِهَذِهِ - شَكَ سُلَيْمَانُ - قَالَ : " فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِّنْ غَيْرِهِمْ، أَوْ الْجُوعَ، أَوْ الْمَوْتَ. قَالَ : فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا : أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ، نَكِلُ ذَلِكَ إِلَيْكَ، فَخَرْنَا. قَالَ : فَقَامَ إِلَى صَلَاتِهِ، قَالَ : وَكَانُوا يَفْرَعُونَ إِذَا فَرَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ. قَالَ : فَصَلَّى، قَالَ : أَمَّا عَدُوٌّ مِّنْ غَيْرِهِمْ فَلَا، أَوْ الْجُوعُ فَلَا، وَلَكِنَّ الْمَوْتَ. قَالَ : فَسَلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَهَمْسِي الَّذِي تَرَوْنَ أَنِّي أَقُولُ : اللَّهُمَّ يَا رَبِّ، بِكَ أَقَاتِلُ، وَبِكَ أَصَاوِلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ".

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وإخوانه.

أما بعد:

فاعلموا يا عباد الله أن من أعظم انهزام المسلمين وضعفهم أمام أعدائهم هو تفرقهم إلى فرق مختلفة وأحزاب متناحرة، ولقد نجح اليهود والنصارى في تفريق المسلمين إلى أحزاب متفرقة عن طريق الديمقراطية الخبيثة لينشغلوا بها عن أعدائهم، وهذا من خططهم الماكرة، وسياستهم الخبيثة في تدمير المسلمين، فمن المؤسف أن المسلمين قبلوا الديمقراطية والحزبية وأدخلوها إلى بلادهم فأهلكت الحرث والنسل، فصاروا لقمة سائغة لأعدائهم، مما جعل الكفار يتداعون على المسلمين كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، فتكالبوا عليهم ورموهم بقوس واحدة، والمسلمون في سبات عميق إلا من رحم الله، وكما أمر الله ورسوله بالاعتصام والاجتماع وعدم التفرق، فقال تعالى: **وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** [سورة آل

عمران : 103]

فلقد حذر الله من الفرقة، وبيّن أنها من أسباب الهزيمة فقال سبحانه: **{ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }** [سورة الأنفال : 46]

وقال الله ممتنًا على رسوله صلى الله عليه وسلم أنه ألف بين قلوب أصحابه فصاروا كالجسد الواحد بعد أن كانوا متفرقين ومتناحرين قبل بعثته، فنصر الله بهم الدين، قال عز من قائل: **{ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }** [سورة الأنفال : 63]

-ومن أسباب انهزام المسلمين أمام أعدائهم متابعة قنواتهم وموضاتهم حيث صاروا يعملون بعباداتهم وتقاليدهم ويستمعون لشبهاتهم حتى مُسَخَّ الكثیر منهم، وانسلخ بعضهم عن دينهم والعياذ بالله، وقد قال أحد اليهود: ((لن ينتصر المسلمون علينا حتى يخرج المصلون من صلاة الفجر كما يخرجون من صلاة الجمعة)) وصدق وهو كذوب، فلقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يملأون المساجد في صلاة الفجر كما يملأونها في صلاة الجمعة، ففتح الله بهم مشارق الأرض ومغاربها، ودانت لهم العرب والعجم، وذكر عن صلاح الدين الأيوبي رحمه الله أنه كان يتفقد الخيام في المعسكر ليلاً فإذا رأى بخيام يقومون الليل ويتلون القرآن قال: من هنا يأتي النصر، وإذا مر ببعض الخيام نيام أصحابها قال من هنا تأتي الهزيمة، ونحن نقول: لن يحرر الأقصى إلا الرجال المخلصون ، رجال التوحيد والسنة، رجال الفجر المتمسكون بدينهم، كما أخبر الله في كتابه: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }** [سورة محمد : 7]

-ومن أسباب الهزيمة اتخاذ البطانة السيئة، فقد قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ }** [سورة آل عمران : 118]

قال ابن كثير رحمه في تفسيره: "ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يتخذوا بطانة من المنافقين من أهل الكتاب وغيرهم يظهر ونهم على سرائرهم أو يولونهم بعض الأعمال الإسلامية وذلك أنهم هم الأعداء الذين امتلأت قلوبهم من العداوة والبغضاء فظهرت على أفواههم **{ وما تخفي صدورهم أكبر }** مما يسمع منهم فهذا **{ لا يألونكم خبالا }** أي: لا يقصرون في حصول الضرر عليكم والمشقة وعمل الأسباب التي فيها ضرركم ومساعدة الأعداء عليكم" اهـ.

ويكفينا عبرة بما حصل للمسلمين في بغداد من قتل وتشريد من قبل التتار، وكان سبب ذلك بطانة الخليفة السيئة الذين خذلوه ومهدوا للتار، فقد كان للخليفة بطانة خبيثة حيث سعوا بفعل الأسباب التي أوهنت المسلمين ثم كاتبوا التتار وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهلوا عليهم ذلك، وحكوا لهم حقيقة الحال، وكشفوا لهم ضعف الرجال، حتى صاروا لقمة سائغة أمام أعدائهم فتجروا عليهم إذ لم يتمكنوا من مقاومتهم، فبدأوا بقتل الخليفة رفسا وقيل خنقا وقيل غرقا ثم قتلوا العلماء والقضاة ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش، وفني الوسخ، وكمنوا كذلك أياما لا يظهرن، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويعلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، وكذلك في المساجد والجوامع والرُّبَط، فقتلوا الملايين من المسلمين ولم ينبج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم، فحصلت مجازر من المسلمين ليس لها مثل في تاريخ البشر. وعادت بغداد بعد ما كانت أنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة، فإننا لله وإننا إليه راجعون. والقصة بتمامها في البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله تعالى.

اللهم من أراد بالإسلام والمسلمين كيذا فاجعل كيده في نحره، واجعل تدبيره تدميرا عليه، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل الدين، يا قوي يا متين.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، اللهم عليك باليهود الغاصبين، اللهم عليك بالنصارى المعتدين، اللهم دمرهم تدميرا، ولا تبق منهم صغيرا ولا

كبيراً، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللهم أنزل عليهم بأسك الشديد الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزم اليهود شر هزيمة واجعلهم للإسلام والمسلمين غنيمة، اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً، اللهم لقهم الردى، اللهم أرنا فيهم يوماً أسوداً، اللهم الطف بإخواننا المستضعفين في شتى بقاع العالم، اللهم انصر إخواننا في فلسطين، اللهم قو شوكتهم، وثبت الأرض من تحت أقدامهم، اللهم تقبل شهداءهم، وداو جراحهم، اللهم أمددهم بمدد من السماء وأيدهم بجندٍ من جنودك، برحمتك يا أرحم الراحمين.

خطبة بعنوان

[[إرشاد أولي الفطر والعزيمة إلى أهم أسباب النصر أو الهزيمة]]⁽²⁾

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكَمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }

أما بعد:

⁽²⁾- هذه الخطبة مختصرة من الخطبتين السابقتين، أسباب النصر، وأسباب الهزيمة. مع تصرف يسير

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أيها الناس: (إنما توعدوننا لآت وما أنتم بمُعجزين)

فإنه لا يخفى على مسلم عداوة اليهود والنصارى للمسلمين، وخبثهم عليهم، ومكرهم بهم في الليل والنهار ، فقد ذكر الله في كتابه، وذكر نبيه صلى الله عليه وسلم في سنته أنهم أعداء الله ورسوله والمسلمين، وأنهم يكيدون للإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان ، وإنهم لن يرضوا عن المسلمين حتى يرتدوا عن دينهم فيصيروا مثلهم، فيجب على المسلمين أن يحذروهم، وأن يرفضوا عاداتهم وتقاليدهم، وأن يردوا أنظمتهم، وأن يحاربوا أفكارهم، وأن يكونوا صفا واحدا أمامهم، بل يجب على المسلمين أن يعلنوا الجهاد ضدهم، وأن يدعوهم إلى الإسلام، قال تعالى: **{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }** [سورة التوبة : 29]

وسياتي الله بقومٍ خيرٍ منا، هم خير ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقاتلون أعداء الله ويكسرون شوكتهم، فقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَخْرُجُ مِنْ عَدَنَ أَبَيْنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ "

وهم الموحدون المتمسكون بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وعليه وسلم بوجود أهل الحق في كل زمان: ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ " رواه مسلم ، عن ثوبان رضي الله عنه.

وعند أبي داود عن عَمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَرَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ " .

وهذه بشارة من نبينا صلى الله عليه وسلم أنه لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ويستبشعون ببيضتهم، كما عند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ : يَا مُسْلِمُ ، يَا عَبْدَ اللَّهِ ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي ، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ . إِلَّا الْغُرْقَدَ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ " .

فسيأتي هذا اليوم الذي يشفي الله فيه صدور المسلمين من اليهود، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: متى هذا النصر؟ ومتى سيأتي هذا اليوم؟ وعلى أيدي من؟
الجواب: سيكون هذا النصر إذا توفرت أسبابه، ووجدت رجاله، وفي هذا المقام نذكر لكم أهم أسباب النصر، وأهم أسباب الهزيمة، لعل الله ينصرنا بفعل أسباب النصر واجتناب أسباب الهزيمة، فإن الله تعالى جعل لكل شيء سببا، وربط المسببات بأسبابها.

ثم اعلّموا أن أهم سبب، وأول سبب لنصر الإسلام والمسلمين، ولن يتحقق النصر إلا به، ألا وهو تحقيق توحيد الله عز وجل والدعوة إليه ومحاربة الشرك والمشرّكين، فلن ينتصر المسلمون وفي أوساطهم من يعبد غير الله من أصحاب القبور وغيرها، ولن ينتصر المسلمون وكثير منهم من يذبح وينذر لغير الله، أو يحلف بغير الله، لن ينتصر المسلمون وفي أوساطهم السحرة والمنجمون، والمشعوذون، لن ينتصر المسلمون وفيهم الطيرة وتعليق التمام وغيرها من الشركيات، فلقد كان من أسباب سقوط الدولة العثمانية العظمى الشرك وتشديد القباب على القبور، فإن الله سبحانه وتعالى وعد عباده المؤمنين بالنصر والتمكين إن هم وحدوا رب العالمين، كما في قوله سبحانه:

{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [سورة النور : 55]

فإذا تحقق الشرط تحقق المشروط، المشروط هو النصر والأمن والتمكين في الأرض، والشرط هو قوله تعالى: **{يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا}**

-ومن أسباب النصر -يا عباد الله- التوكل على الله والاعتماد عليه والثقة به، ولا ينافي التوكل العمل بالأسباب دون الاعتماد عليها، قال تعالى في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مخبرا عن توكلهم وصدق اعتمادهم على ربهم: **{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) }** [سورة آل عمران : 173 إلى 174]

وكان سبب نزول هذه الآية أن المشركين أرادوا أن يعيدوا الكرة على المسلمين عقب غزوة أحد فيستأصلوهم فلما بلغ الخبر المسلمين قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، ثم تجهزوا واستعدوا لقتالهم بعد ما أصابهم من القتل والجراحة بل تبعوهم إلى حمراء الأسد متوكلين على الله واثقين بنصره وأنه لن يضيعهم، فخاف المشركون من لقائهم مرة أخرى فسميت بغزوة حمراء الأسد، ورجع المسلمون منتصرين بدون قتال؛ لأن المشركين جبنوا عن قتالهم مرة أخرى.

وقال الله عن موسى عليه السلام وقومه: **{ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) }** [سورة الشعراء : 61 إلى 66]

وقال الله عن هود عليه السلام: **{ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (54) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56) }** [سورة هود : 54 إلى 56]

-ومن أسباب انتصار المسلمين على أعدائهم الدعاء والإلحاح على الله، لاسيما في أوقات الإجابة، مع العمل بأسباب الإجابة واجتناب موانعها، فإن من أهم أسباب انتصار المسلمين في غزوة بدر لهو الدعاء، ففي تلك الواقعة العظيمة أعز الله بها دينه وأعلى كلمته وأعز الإسلام والمسلمين، وكسر شوكة المشركين، قال تعالى: **{ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُّمَدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) }** [سورة الأنفال: 9 إلى 10]

فقد بات النبي صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ويستنصره حتى أنجز الله له ما وعده، فقد روى الإمام مسلم عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: "اللَّهُمَّ أَنْجِرْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكُ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَذْ فِي الْأَرْضِ". فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَاذَا يَدِيهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْفَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، **كَفَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبَّكَ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**: **{ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُّمَدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ }**، فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ. الحديث

فشاركت الملائكة مع المسلمين في قتال المشركين في وقعت بدر، فكان المشرك يُضرب أو يُقتل قبل أن يضربه المسلم، فقتل الله سبعين من صناديدهم، وأسروا سبعين آخرين، وهم مدججون بالسلاح والعدة والعتاد، بينما المسلمون غير مستعدين للحرب؛ لأنهم لم يخرجوا لقتال، وإنما خرجوا لأخذ غير قريش القادمة من الشام، لكنه التوحيد والتوكل على الله والدعاء.

فأكثروا من الدعاء يا عباد الله، ادعوا لإخوانكم المستضعفين في كل مكان، لعل الله ينصرهم ويفرج عنهم بدعوة رجل صالح منكم، عليكم بالدعاء في الثلث الأخير من الليل وفي السجود فإنهما من أعظم أسباب الإجابة.

قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }** [سورة الأنفال : 45]

قال المفسر الطبري والبغوي في تفسير قول الله **{ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا }** : "أي ادعوا الله بالنصر والظفر بهم" اهـ.

فلا تستهينوا بالدعاء يا عباد الله فإن شأنه عظيم، فقد دمر الله به دولا وشعوبا وجيوشا كانت تصول وتجول في الأرض، ولقد أحسن من قال:

أنهزاً بالدعاء وتزدرية*** وما يدريك ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطئ ولكن*** لها أمد وللأمد انقضاء

-ومن أسباب النصر الرجوع إلى الكتاب والسنة والعمل بهما وفهمهما على فهم السلف الصالح:

قال تعالى: **{ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }** [سورة الأنبياء : 10]

وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ "

فمن تمسك بالكتاب والسنة فلن يضل ولن يشقى، ولن يهزم ولن يكسر بإذن الله تبارك وتعالى، فقد أعز الله الصحابة رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم بإيمانهم وتوحيدهم وبتمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، ففتح الله بهم مشارق الأرض ومغاربها ودانت لهم العرب والعجم، قال عز م من قائل: **{ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41) }** [سورة الحج : 40 إلى 41]

فيا عباد الله إننا لن ننتصر على أعدائنا ونحن بعيدون عن ديننا، هاجرون لكتاب ربنا، مخالفون لسنة نبينا، لن ننتصر على أعدائنا ونحن نجاهر ربنا بالذنوب والمعاصي، فإن كثيراً من المسلمين يتحمسون لجهاد اليهود وما استطاعوا أن يجاهدوا أنفسهم على أداء الصلاة ولا استطاعوا أن يتغلبوا

على النوم وعلى البرد لأداء صلاة الفجر، فكيف سيثبت هذا الصنف أمام المدافع والدبابات؟ إنما يثبت الله المؤمنين بطاعته، ويذل من يشاء بمعصيته، قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }** [سورة محمد : 7]

قال المفسر السعدي رحمه الله: هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم،.. "هـ

-ومن أسباب انتصار المسلمين على اليهود والنصارى والمشركين، تحقيق الولاء والبراء الشرعي، وهو الولاء لله ولرسوله والمؤمنين، فيتولى المسلمون بعضهم بعضا، وينصر بعضهم بعضا، ويحب بعضهم بعضا، وأن يعتصموا بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وألا يتباغضوا أو يتهاجروا، وألا يتفرقوا أو يتحزبوا في الدين، وألا يكون الولاء والبراء من أجل أشخاص، أو من أجل مصالح خاصة، فإن الله تعالى يقول: **{ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ }**

وقال تعالى: **{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ }** [سورة التوبة : 71]

ويقول تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }** [سورة المائدة : 51]

فيجب على المؤمنين أن يتولى بعضهم بعضا، وأن ينصر بعضهم بعضا، وأن يقوم بعضهم على بعض، وأن يتألم بعضهم على بعض.

كما يجب على المسلمين أن يعلنوا العداء للكفار والمشركين والمنافقين وأن يبغضوهم ويحذروا منهم ويتبرأوا منهم، وأن يحاربوا عاداتهم وتقاليديهم، وألا يقبلوا قوانينهم وأنظمتهم، وألا يقلدوهم، فهذا من النصر العظيم يا عباد الله، وهو نبذ عادات اليهود والنصارى ومحاربة أفكارهم، لكن من المؤسف أن كثيرا من المسلمين صاروا يفتخرون بالحضارات الغربية، ويدافعون عنهم، ويقلدونهم في لباسهم وعاداتهم، ما تأتي عادة أو لباس من الغرب إلا

وسارعوا إليها وتشبهوا بالكفار، ويعتبرون ذلك تطورا، فمن أين لنا النصر والعز وكثير من المسلمين يسارعون في موالاته الكافرين والتشبه بهم؟!

قال عمر الفاروق رضي الله عنه : "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أدلنا الله"

ولنا عبرة بالنبى صلى الله عليه وسلم وصحابته حيث كانوا أشداء على الكفار أعزاء عليهم، رحماء بينهم متحابون في في الله ومن أجل الله، كما وصفهم الله بقوله: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [سورة الفتح : 29]

-ومن أسباب العز والتمكين والنصر على الأعداء أن يكون المسلمون صفا واحدا، وعلى منهج واحد، وعلى كلمة واحدة ، وأن يكونوا كتلة واحدة أمام أعدائهم، كما قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ } [سورة الصف : 4]

فلا تفرقكم - يا أيها المسلمون - قومية ولا طائفية ولا حزبية ولا مصالح دنيوية، فقد أمر الله تعالى بالاعتصام، وحذر من التفرق فقال سبحانه: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [سورة آل عمران : 103]

وبين عز وجل أن التفرق سبب للفشل والانهازم أمام الأعداء، فقال في كتابه الكريم: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [سورة الأنفال : 46]

فلن ينتصر المسلمون على أعدائهم وهم متفرقون إلى أحزاب متناحرة حتى يتوحدوا على المنهج الذي كان عليه نبيهم وصحابته، فلقد كانوا حزبا واحدا

لا ثاني له، وكانوا على قلب رجل واحد ليس بينهم شحناء ولا بغضاء ولا أحقاد، ولذلك أعزهم الله ونصرهم على عدوهم.

تأبى العصي إذا اجتمعت تكسرا *** وإذا افتترقت تكسرت أحادا.

فإنه لم يأت هذا الذل والانهازم للمسلمين وتسلط الأعداء إلا بعد أن فرقه اليهود والنصارى إلى أحزاب متناحرة ودويلات متناثرة، فضربوا بعضهم ببعض فصاروا منشغلين بأنفسهم، ليسوا مستعدين لمواجهة عدوهم فإلى الله المشتكى.

-ومن أسباب النصر على الأعداء طاعة أولياء أمور المسلمين من العلماء والأمراء، وعدم الخروج عليهم فإن هذه الثورات والانقلابات أوهنت المسلمين وأضعفتهم حكما ومحكومين، وهي مصادمة للنصوص من الكتاب والسنة، قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا }** [سورة النساء : 59]

فطاعة العلماء تكون باحترامهم وإجلالهم، والرجوع إليهم عند المعضلات، وسؤالهم عن أمور دينهم ودنياهم فإنهم يعلمون ما لا يعلم غيرهم، وهم الذين يعلمون الفتن قبل مجيئها، وهم الذين يقدرون النوازل، ويميزون المصالح من المفساد، ويعرفون الواقع من صميمه، ويدركون العواقب بما أعطاهم الله من نور العلم والعرفان، فلا يرجع في القضايا الكبيرة كمسائل الحرب والجهاد إلى الجاهل والحماسيين، ولا إلى أهل البدع الزائغين، وإنما ترد هذه القضايا إلى العلماء الراسخين، قال تعالى: **{ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }** [سورة النحل : 43]

وقال تعالى: **{ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۚ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا }** [سورة النساء : 83]

قوله: **{ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ }** أي إلى سنته، وقوله: **{ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ }** لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ هم أهل العلم.

قال المفسر السعدي: "...والى أولي الأمر منهم، أهل الرأي: والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها.." ١٥

فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، فيحتاج إليهم جميع الناس على مختلف وظائفهم ومراتبهم وأعمالهم فيجب الرجوع إليهم عند النوازل والمعضلات، لا سيما في أوقات الجهاد والحروب فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يتشاور مع كبار الصحابة في مسائل الجهاد.

وهكذا يجب طاعة الأمراء والقادة وعدم مخالفتهم، فقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وَمَنْ عَصَى **الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**" وقد كان من أسباب هزيمة المسلمين في غزوة أحد مخالفة الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال لهم: "إِنْ رَأَيْتُمُونَا **تَخَطَّفْنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ** هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ". فَهَرَمُوهُمْ، ثم نزل الرماة من الجبل لجمع الغنائم، فالتف المشركون على المسلمين من خلف الجبل فقتلوا سبعين من خيار الصحابة رضوان الله عليهم، منهم حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه أسد الله وأسد رسوله، وكاد النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل لولا أن سلمه الله، فقد شُجَّ وجهه وكسرت رباعيته بأبي هو وأمى صلى الله عليه وسلم. والقصة في البخاري عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فانظروا يا عباد الله كيف كانت هذه المخالفة سببا لانهزام المسلمين، وكانت عن اجتهاد منهم بعدما تيقنوا النصر للمسلمين وانهزام المشركين، فكيف بالمخالفات في هذا الزمان من الشرك والسحر، وارتكاب البدع والمحدثات في أوساط المسلمين، والزنا واللواط والسرقة والربا والرشا، والقتل والقتال بين المسلمين، فصارت النفس المعصومة التي حرم الله تقتل بغير حق، وليس لها قدر ولا قيمة، فهذه المعاصي نذير شر وواحدة منها كفيلة بأن تكون سببا لانهزام المسلمين نسأل الله العافية والسلامة.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مزيدا.

أما بعد:

فيقول رب العزة والجلال في محكم التنزيل: **{ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ }** [سورة الشورى : 30]

يخبر تعالى عن أسباب المصائب التي تنزل بالمسلمين من شدة وقحط وأزمات ونكبات، ومن تسلط الأعداء عليهم كل هذا ونحوه ما هو إلا بسبب

ذنوبهم، قال تعالى ردا على الرماة الذين خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد وحصلت الهزيمة بسببهم: **{ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }** [سورة آل عمران : 165]

فقد هُزم المسلمون في غزوة أحد بسبب تلك المخالفة، وهزموا في غزوة حنين بسبب إعجابهم بكثرتهم، فكيف بالمعاصي والشركيات والبدع والمحدثات في هذا الزمان؟! فقد انتشرت انتشار النار في الهشيم، يستفاد من هذا أن من أعظم أسباب الذل والانهزام وتسلط الأعداء على المسلمين لهي ذنوبهم، فقد روى ابن ماجه عن عبد الله بن عمر قال: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فُشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُنُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ .."

الشاهد قوله صلى الله عليه وسلم: " وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ.."

فالذين ينقضون عهد الله وعهد رسوله ويخالفون أوامرهما خاسرون بنص قوله تعالى: **{ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }** [سورة البقرة: ٢٧]

الشاهد أن نقض عهد الله وعهد رسوله بارتكاب المعاصي سبب لتسلط الأعداء على المسلمين وعلى أموالهم وثوراتهم، إنما ينصر الله المؤمنين على الكافرين بطاعتهم له، فإذا عصوا الله سلطهم عليهم عقوبة لهم، فإن المعاصي

وأصحابها سبب لانهازم المسلمين، ولقد قال قائلهم: ((كأسٌ وغانية يفعلان في المسلمين ما لا يفعله رشاشٌ ومدفع)) يعني -قبحه الله - الخمر والزنا يفسدان في المسلمين أكثر من إفساد الرشاش والمدفع.

وصدق وهو كذوب فقد روى أبو داود عن ابنِ عُمَرَ ، رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ "

والعينة: هي نوع من أنواع الربا، وهو سبب من أسباب ذل المسلمين وانتكاستهم، وقد كثر الربا في بلاد المسلمين ، فحدّث ولا وجرج ، فما من بلاد من بلدان المسلمين إلا وفيه الربا بجميع أصنافه وأنواعه، فقد روى البخاري ومسلم واللفظ له عن جَابِرٍ رضي الله عنه ، قَالَ : "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكِلَ الرَّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدِيهِ. وَقَالَ : " هُمْ سَوَاءٌ " .

فالمرابي يا عباد الله ملعون، أي مطرود من رحمة الله، ومن طرده الله من رحمته فلن تجد له نصيرا.

-ومن أسباب انهزام المسلمين أمام أعدائهم مخالفة السنة وارتكاب البدع والمحدثات، فقد روى الإمام أحمد رحمه الله عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ " .

الشاهد قوله: " وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي "

وتقدم حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ " ويدخل في عهد رسول الله سنته، فإذا نبذ المسلمون السنة أو خالفوها ولم يعملوا بها فقد نقضوا عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك سبب لتسلط الأعداء عليهم وأخذ ما في أيديهم ، وامتصاص

ثرواتهم، بل وأخذ بعض أراضيتهم بل مضايقتهم في دينهم وفرض عاداتهم وتقاليدهم عليهم.

فإذا كانت المعاصي سببا لانهزام المسلمين فمن باب أولى البدع والمحدثات، فإن البدعة شر من المعصية، قال سفيان بن عيينة رحمه الله: **"البدعة أحب إلى إبليس من المعصية"** وما أوتي المسلمون إلا من قبل أهل البدع قديما وحديثا، ولقد كان سبب الفتنة بين الصحابة رضوان الله عليهم هم أهل البدع من الخوارج وغيرهم، إذ قتلوا عثمان ثم قتلوا عليا رضي الله عنهما، فحصلت ملاحم عظيمة بين الصحابة، ولا يزال المسلمون يعانون من آثار تلك الفتنة إلى اليوم، وإلى أن يشاء الله، ولا يخفى عليكم أن من أسباب ضعف المسلمين في هذا الزمان خروج المسلمين على حكامهم وإقامة المظاهرات ضدهم، وهكذا بدع الحزبية التي فرقت المسلمين إلى فرق وأحزاب متناحرة، فقد جعلت المسلمين لقمة سائغة أمام أعدائهم، حتى شغل المسلمون بأنفسهم، فصاروا يقتل بعضهم بعضا ويعادي بعضهم بعضا، وغفلوا عن العدو الحقيقي، الأمر الذي جعل الكفار يرمونهم بقوس واحدة، ويتمثلون عليهم ويتجمعون ضدهم والله المستعان.

-ومن أسباب انهزام المسلمين أمام أعدائهم: حب الدنيا وكراهة الموت وترك الجهاد في سبيل الله:

اعلموا يا عباد الله أن من أعظم فشل المسلمين وانهزامهم أمام أعدائهم من اليهود والنصارى وغيرهم من ملل الكفر لهو تعلق قلوبهم بالدنيا حيث ألهمتهم عن دينهم وشغلتهم عن جهاد أعدائهم، بل صار كثير من المسلمين حكاما

ومحكومين يداهنون الكفار ويتنازلون عن أشياء من دينهم خوفاً على مصالحهم الدنيوية، فأين العزة يا أيها المسلمون؟ **{ أَيْبَتُغُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا }** [سورة النساء : 139]

فقد صار كثير من المسلمين يقدمون مصالحهم الدنيوية على المصالح الدينية، وانشغلوا عن كثير من العبادات، حتى تركوا الكثير من الواجبات، بل ترك الكثير منهم الصلوات وأقبلوا على الشهوات، وغفلوا عن الموت، وتركوا الجهاد وكرهوا الشهادة في سبيل الله التي هي أفضل من الدنيا وما فيها، فإن الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة.

فإن إقبال المسلمين على الدنيا وإعراضهم عن الدين وعن الجهاد جعل الكفار يتجرأون على المسلمين ويتداعون عليهم وهم في حالة تفرق وضعف، ولا يهابونهم مع كثرتهم ، فقد روى

أبو داود عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا " . فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : " بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنْكُمْ عُثَاءٌ كَعُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ " . فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : " حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ " .

وعُثَاءُ السَّيْلِ هو ما يأتي أول السيل من الأعواد والأكياس والزبائل التي لا ينتفع بها الناس، شبههم بعُثَاءِ السَّيْلِ لعدم الفائدة منهم وعدم اهتمامهم بدينهم، فالغثائية لا ينصر الله بهم الدين ولو كانوا كثيرين ، إنما ينفع الله بأهل الإيمان والتوحيد والطاعات ولو كان أهله قلة، قال ربنا جلّ وعلا: **{ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ }** [سورة الرعد : 17]

فقد نصر الله المسلمين على المشركين في غزوة بدر وهم قلة قليلة بإيمانهم وتوحيدهم ، وكان المشركون أضعاف أضعافهم بعدتهم وعتادهم، بينما المؤمنون ليسوا مستعدين للحرب، ولم يخرجوا لقتال، لكن لم يكن فيهم غثائية

كما في زماننا، فإن كثيراً من شباب المسلمين في هذا الزمان - إلا من رحم الله - همهم بطونهم وشهواتهم، يرتكبون المعاصي ليل نهار، بعيدون عن كتاب ربهم وسنة نبيهم، فمثل هؤلاء لا يُرُكن إليهم في قتال الكافرين، ولا في نصره هذا الدين، لن يحرر الأقصى مثل هؤلاء، لن يحرر الأقصى أصحاب البناتيل، ولا أصحاب المسلسلات والأغاني، ولا أصحاب ملاعب كرة القدم، ولا أصحاب البدع والمظاهرات، إنما يحرره رجال صادقون موحدون، ولربهم طائعون وبسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم متمسكون، لا يبالون بالدنيا وإنما همهم الدار الآخرة، أما هذه المظاهرات فإنها لاتدل على قوة أصحابها، إنما تدل على ضعفهم، فقد برهنت لليهود أن المسلمين ضعفاء، عاجزون عن الجهاد، فأصحاب المظاهرات لا يرهبون الكفار، إنما يرهبون رجال صادقون موحدون، لا يخافون في الله لومة لائم، يجاهدون في سبيل الله، ويقاتلون من كفر بالله، يحبون الموت كما يحب الكفار الحياة.

فإن في جهاد الكفار عز للمسلمين وإذلال لأعدائهم، وإن كان فيه مشقة على النفوس لكنه يترتب عليه مصالح كثيرة، دينية ودنيوية، قال تعالى: **{ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }** [سورة البقرة : 216]

فإن الكفار لن يتركوا المسلمين، ولن يقبلوا منهم سلماً ولا صلحاً، ولن يراعوا فيهم عهداً ولا ذمة حتى يعلنوا الجهاد ضدهم، فإن الجهاد من الأسباب التي يكسر الله به شوكة الكافرين والمشركين.

ولقد كسر الله شوكة المشركين في غزوة بدر وهم أضعاف أضعاف المسلمين، ولو أن المسلمين صالحوا المشركين وداهنوهم كما يفعل المسلمون في هذا الزمان لما حصل ذلك النصر، بل لو تركوا جهادهم وقتالهم لأصبحوا في ذلة، وصاروا إلى قلة، وإن كان الله عز وجل قادراً على أن يكف الكفار عن المسلمين، لكن الله تعالى أمر بفعل الأسباب، ومنها الجهاد في سبيل الله، وقد روى أبو داود عن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ " .

ولقد أصاب المسلمين من الذلة ما الله به عليم بسبب تركهم لشعيرة الجهاد، فإذا أرادوا العزة فليراجعوا دينهم، ويوحدوا صفوفهم، ويتبرأوا من اليهود والنصارى ثم يعلنوا الجهاد ضدهم، بشروطه وضوابطه، وإلا فلا يلوموا إلا أنفسهم.

فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث رسله إلى الملوك والعظماء يدعوهم إلى الإسلام وينذرهم بالقتال ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سفيان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل : "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ؛ أَسْلِمْ تَسْلِمًا، وَأَسْلِمِ يَوْمَكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ ،"

وكتب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أمراء كسرى كما في البداية والنهاية لابن كثير: " أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا جَاءَكُمْ كِتَابِي فَأَبِغْثُوا إِلَيَّ بِالرَّهْنِ وَاعْتَقِدُوا مِنِّي الذِّمَّةَ، وَإِلَّا فَوَ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا بُعْثَ إِلَيْكُمْ قَوْمًا يَحْبُونَ الْمَوْتَ كَمَا تَحْبُونَ أَنْتُمْ الْحَيَاةَ. ا.هـ

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل الدين ، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، من اليهود الغاصبين ، والنصارى المعتدين، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك ، اللهم أنزل عليهم بأسك الشديد الذي لا يرد عن القوم المجرمين، يا قوي يا متين.

اللهم احفظ إخواننا في فلسطين، وفي شتى بقاع العالمين، وانصرهم وأيدهم، وثبت الأرض من تحت أقدامهم، وسدد رميتهم ، وتقبل شهداءهم ، واشف جريحهم ، وآو شريدهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

خطبة بعنوان

[(أهمية الدعاء في النصر على الأعداء)]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [سورة النساء : 1]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) }

سورة الأحزاب : 70 إلى 71]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فيقول المولى جل وعلا في كتابه العزيز: **{ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }** [سورة آل عمران : 126]

يخبر تعالى أن النصر الحقيقي من عنده، ليس بالعدد ولا بالعتاد، ولا بالكثر، لكن جعل له أسبابا كالإيمان والتوحيد والأعمال الصالحة، كما أن الرزق من عند الله لا ينال إلا بالأسباب الشرعية، فكذلك النصر لا يتحقق إلا بالأسباب الشرعية، ألا وإن من أعظم أسباب النصر لهو الدعاء، بل إنه من أقوى الأسلحة التي غفل عنها كثير من المسلمين، فقد نصر الله به أمما من المسلمين، ودمر الله به جيوشا وشعوبا ودولا من الكافرين، وسنذكر لكم بعض الأمثلة على ذلك من الكتاب والسنة، فلا يستهان بالدعاء فإنه سلاح المؤمنين، بل سلاح فتاك بإذن الله رب العالمين، وهو عبادة عظيمة، يترتب عليه فضائل عديدة، وأجور كثيرة، وعواقب حميدة، عاجلة أو آجلة، فقد قال ربنا في كتابه الكريم: **{ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }** [سورة غافر : 60]

وروى أبو داود وغيره عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، رضي الله عنهما عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، قَالَ رَبُّكُمْ : **{ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }** . "

وقال سبحانه: **{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }** [سورة البقرة : 186]

ذكر تعالى في الآية سببا من أسباب إجابة الدعاء وهي الاستجابة لأمر الله، وسنذكر أسباب الاستجابة في آخر الخطبة إن شاء الله تعالى: قال المفسر البغوي رحمه الله عند هذه الآية: **"فالإجابة من الله تعالى العطاء ومن العبد الطاعة"** اهـ.

فمن فضائل الدعاء- يا عباد الله- أنه يرد القضاء بإذن المولى جل وعلا، وكل هذا بتقدير الله، فلا ينافي ذلك ما خُط في اللوح المحفوظ، فقد روى الترمذي عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ "**.

والدعاء ينفع الله به نفعاً عظيماً، فيرفع به شرورا حاصلة، ويدفع أخرى متوقعة، فقد روى الترمذي أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ "**.

فينبغي على المسلمين أن يجتهدوا في الدعاء وأن يلحوا على ربهم به، وألا يستعجلوا الإجابة ولا ييئسوا منها، فإن الداعي بين ثلاث خصال كلها خير وفيها ربح عظيم، سواء تقدمت الإجابة أو تأخرت، وسواء رأى أثر الدعاء أو لم يره، والداعي في عبادة سواء استجاب الله له أو لم يستجب، فقد روى الإمام أحمد عن أَبِي سَعِيدٍ، رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ، لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ تُعْجَلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخَرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا "**. قَالُوا : إِذَنْ نُكْثِرُ. قَالَ : **" اللَّهُ أَكْثَرُ "**.

عباد الله:

إن الناظر في القرآن الكريم، يرى أن كثيرا من الأمم المكذبة لأنبيائها والمشاركة بربها أهلكها الله بدعوة الصالحين من الأنبياء وأتباعهم.

-: فهذا نوح عليه السلام دعا على قومه المكذبين فأغرقهم الله بالطوفان، إذ أتاهم الماء من فوقهم ومن تحت أرجلهم فالتقى الماء على أمر قد قدر، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (9) فدعا ربه أني مغلوب فانتصر (10) ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر

(11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ (14) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (15) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرٍ (16) { [سورة القمر : 9 إلى 16]

وقال تعالى: { وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27) } [سورة نوح : 26 إلى 27]

وقال الله: { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ } [سورة هود : 37]

-وأهلك الله قوم لوط عليه السلام، إذ كانوا يفعلون الفاحشة ما سبقهم بها من أحد من العالمين، فكانوا يأتون الذكران من العالمين، فأرادوا أضيافه بسوء، فلجأ إلى ركن شديد وهو الله تعالى على أحد قولي المفسرين، فأخذ جبريل عليه السلام قراهم فاقتلعها من الأرض بجناحه ثم رفعها إلى السماء ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، ثم أرسل الله عليهم حاصبا من حجارة فأصبحوا هلكى كأعجاز نخل خاوية، قال ربنا في كتابه الكريم: { وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهَرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۚ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (79) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (80) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ ۚ فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتَكَ ۚ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ (82) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ۚ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (83) } [سورة هود : 78 إلى 83]

-وهذا موسى عليه السلام دعا على فرعون وقومه فأغرقهم الله في البحر، كما أخبر ربنا في كتابه: { وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88) قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (89) } [سورة يونس : 88 إلى 89]

وقال تعالى: { فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (22) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (23) وَاتْرِكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ (24) كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَانْكِهِنَّ (27) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (28) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (29) } [سورة الدخان : 22 إلى 29]

-ودعا نبينا صلى الله عليه وسلم على قريش في مواطن متعددة فاستجاب الله دعاءه فيهم، فقد دعا عليهم بسنين كسني يوسف عليه السلام، سنين قحط وجذب، فحصلت عليهم شدة وجوع حتى أكلوا الجلود والميتة، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ يَقُولُ : " اللَّهُمَّ أَنْجِ عِيَّاشَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ " . وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ " .

وروى البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : .. إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا فُرَيْشًا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَبْطَنُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ : " اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَيْهِمْ بِسَبْعِ كَسْبَعِ يُوسُفَ " . فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ، فَحَصَّتْ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى أَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْجُلُودَ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ دُخَانًا مِنَ الْجُوعِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ } { يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } . قَالَ : فَدَعَوْا : { رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ } { أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ } { ثُمَّ

تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ { إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ { .
أَفَيْكُشِفُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : فَكُشِفَ ، ثُمَّ عَادُوا فِي كُفْرِهِمْ ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
يَوْمَ بَدْرٍ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : **{ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ { .**

واجتمع على نبينا صلى الله عليه وسلم سبعة من صناديد قريش وهو في
المسجد الحرام يصلي، فأذوه وتأمروا عليه، وجعلوا أحدهم يضع سلى
الجزور على رقبتة الشريفة وهو ساجد ففعلوا، ثم جعلوا يضحكون عليه
حتى تمايلوا ، ويسخرون منه ، فقام فدعا عليهم وسماهم فلم يمر عليهم إلا عام
واحد حتى هلكوا جميعا، قتلهم الله يوم بدر ورُموا في بئر في بدر، فقد روى
البخاري ومسلم عن ابن مسعود ، رضي الله عنه قال : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ
جَزُورٌ بِالْأَمْسِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَى جَزُورِ بَنِي فَلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ،
فَيَضَعُهُ فِي كَتِفِي مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ ؟ فَأَنْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ، فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ : فَاسْتَضَحَّكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ
يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ
حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ، فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَّةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ
أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ رَفَعَ
صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ وَكَانَ إِذَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ :
" **اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ** " . ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمْ
الضِّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ
سَمَّى فَقَالَ : " **اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ، وَعُثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ
بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ** " . وَذَكَرَ
السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ
الَّذِينَ سَمَّى صَرَغَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبٍ بَدْرٍ .

ودعا على كفار قريش يوم بدر فأهلكهم الله، فقد خرج نبينا صلى الله عليه وسلم
يوم بدر لا اعتراض قافلة قريش ولم يخرج للحرب، فتفاجأ بخروج قريش
بجحافلهم وخيلهم ورجلهم، يأكلون الجزور ويشربون الخمر، وتغني لهم
الجواري، خرجوا بطرا ورياء لاستئصال الإسلام والمسلمين، فلجأ نبينا صلى
الله عليه وسلم إلى ركن شديد، لجأ إلى ربه بالدعاء ، والتضرع بين يديه
معتمدا عليه، وبات ليلته يناجي ربه رافعا يديه إلى السماء مستقبلا القبلة حتى

سقط رداؤه من عاتقه إلى الأرض، فاستجاب الله له وأهلك أعداءه وقتل صناديد قريش، فأعز الله المسلمين وأذل المشركين، كما جاء في صحيح مسلم عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رضي الله عنه، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ : " اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدْ فِي الْأَرْضِ ". فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ مَا دَا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رَدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَّرَمَّهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشِدَتَكَ رَبَّكَ ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** } ، فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ. قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ : فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ ، قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ : أَقْدِمْ حَيْرُومُ . فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ، فَحَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ حُطِمَ أَنْفُهُ، وَشَقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَأَخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : " صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ". فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسْرُوا سَبْعِينَ" الحديث.

-ودعا عليهم نبينا صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق، وقد تحزب الكفار والمشركون واليهود على المسلمين ليستأصلوهم، وزد على ذلك أن المنافقين خذلوهم وخذلوا عنهم، فاستجاب الله دعاءه فأرسل الرياح على المشركين أكفأت قدورهم، وفرقت جموعهم، وقذف الرعب في قلوبهم، فرجعوا خائبين، منهزمين ذليلين، لم ينالوا خيرا، فقد روى البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ : " اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ ".

وقال الله ممتنا على المؤمنين بنصره ،ومذكرا لهم بنعمته، وإبطال كيد الكافرين، ووردهم بغيضهم خائبين :{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ**

عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9) إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12) [سورة الأحزاب : 9 إلى 12]

وقال تعالى: {مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (24) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (25) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْنُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (27) } [سورة الأحزاب : 23 إلى 27]

-ودعا عليهم نبينا صلى الله عليه وسلم أن يملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا، فملأها نارا في الدنيا قبل الآخرة، فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ : " **مَلَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى، حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ** " .

أليس الله بقادر على أن يهلك مشركي زماننا؟ الجواب : بلى، قال تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا** ﴾ [سورة محمد : 10]

{**وَاللِّكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا**} قال السعدي: "وللكافرين في كل زمان ومكان، أمثال هذه العواقب الوخيمة، والعقوبات الذميمة" .هـ

ولكن لابد من أسباب، فادعوا يا عباد الله، فإن دعوة المظلوم مستجابة ولو كان فاجرا، بل يستجيب الله دعوة المظلوم ولو كان كافرا، فكيف لو كان المظلوم مسلما؟، فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا، فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ " .

وروى أحمد أيضا عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ " . والحديثان حسنهما العلامة الألباني رحمه الله.

فيا عباد الله: إذا كان المظلوم فاجرا أو كافرا فإن الله تعالى يستجيب له، فكيف إذا كان المظلوم مسلما؟ وكيف إذا كان المظلوم صالحا، فإن دعوته مستجابة من باب أولى، وإليك هاتين القصتين وفيهما دعوتان مستجابتان لرجلين صالحين، أهلك الله من ظلمهما، الأولى: دعوة سعد، والثانية دعوة سعيد رضي الله عنهما، وهما صحابيان جليلان مبشران بالجنة، حيث دعوا على من ظلمهما فاستجاب الله دعاءهما.

-فأما دعوة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقد روى البخاري عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، رضي الله عنه قال : شَكَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَّوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فَإِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَخْرُمُ عَنْهَا، أَصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُضُ فِي الْأَوَّلِينَ، وَأَخْفُ فِي الْآخِرِينَ، قَالَ : ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا - أَوْ رَجُلًا - إِلَى الْكُوفَةِ فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدْعُ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : أَسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ، قَالَ : أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَّا، فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ : "أَمَّا وَاللَّهِ لَأَدْعُونَ بِثَلَاثٍ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطْلُ عُمَرَهُ، وَأَطْلُ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ"، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ : شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْهُ دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.

-وأما سعيد بن زيد رضي الله عنه فقد روى مسلم عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، رضي الله عنه ، أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَقَالَ سَعِيدٌ : أَنَا كُنْتُ

أَخَذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ : وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " مَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طُوقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ ". فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ : لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ : "اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمَّ بَصَرُهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا" قَالَ : فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيَّنَّا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ.

والقصص في ذلك كثيرة في الكتاب والسنة، ذكرنا طرفا منها للعة والعبرة، فينبغي على المسلمين جميعا مجاهدين وقاعدين أن يلهجوا بالدعاء على الكفرة والمشركين وعلى هؤلاء الصهاينة الملحدين، فينبغي على القاعدين أن ينصروا إخوانهم المجاهدين بالدعاء فإن المؤمنين كالجسد الواحد، إذا انتصر المجاهدون على الكفار في قطر من الأقطار فهو نصر للمسلمين عموما، وإذا انهزموا فالهزيمة على المسلمين عموما، ويتأكد الدعاء في حق المجاهدين أكثر من غيرهم فإن الدعاء في أرض المعركة مستجاب كما سيأتي، وهو صنيع نبينا صلى الله عليهم وسلم فقد كان يجتهد في الدعاء في غزواته كما في بدر والأحزاب وغيرهما من الغزوات، وهكذا صحابته من بعده، وتابعوهم، والأئمة من بعدهم، فهذا محمد بن واسع يبحث عنه قتيبة بن مسلم في أرض المعركة فوجدوه في ميمنة الجيش يبصبص بأصبعه نحو السماء يدعو الله عز وجل، فقال قتيبة: "تلك الأصبع أحب إلي من مائة ألف شهير وشاب طرير" إنه الدعاء فلا تستهينوا به يا عباد الله.

أنهزاً بالدعاء وتزدرية :::: وما تدري ما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطئ ولكن :::: لها أمد وللأمد انقضاء

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشأنه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وإخوانه.

أما بعد:

فبعد أن علمنا فضل الدعاء، وأهميته في نصر المؤمنين، وحفظ أولياء الله الصالحين، وأثره في إهلاك المجرمين، ودمار الظالمين، فينبغي على كل مسلم أن يلزم هذا السلاح المتين، الذي دمر الله به جيوشا كافرة، وشعوبا فاجرة، ودولا ظالمة، ولا تزال سنة الله فيهم جارية، ما دام المسلمون داعين لربهم عاملين بدينهم، متمسكين بكتاب ربهم وسنة نبيهم.

فأكثرُوا الدعاء يا عباد الله، أكثرُوا الدعاء على اليهود والنصارى، ألحُوا على الله بإهلاكهم، فإنهم ظلموا المسلمين ظلماً عظيماً، قديماً وحديثاً، حيث غزَوْهم إلى بلادهم فأخذوا كثيراً من بلدانهم وأراضيهم، وامتصوا ثرواتهم، ثم فرضوا عليهم عاداتهم وتقاليدهم، ثم فرقوهم إلى دويلات صغيرة ضعيفة، ثم ظلموهم بفرض الديمقراطية والحزبية عليهم، وفرقوهم إلى أحزاب وفرق متناحرة، ثم غزَوْهم فكراً عن طريق القنوات، ثم حاربوا المتسمكين بدينهم بحجة أنهم متطرفون وإرهابيون، ثم أدخلوا المظاهرات فتَوَّروا الشعوب الإسلامية على حكامهم، ودعموهم ضدهم، فنشبت الحروب بينهم فقتل بعضهم بعضاً، حتى أوهنوهم فصاروا لا شوكة لهم ولا قدرة لهم على الدفاع على أنفسهم، وأخذوا أراضيهم المقدسة وجمعوا فيها أنجس خلق الله وهم اليهود، ونجسوا المسجد الأقصى مسرى نبينا صلى الله عليه وسلم، ثم قتلوا النساء والأطفال والشيوخ، فلم يرحموا صغيراً ولم يوقروا كبيراً، ودمروا المنازل والمساجد وشردوا الأسر وفعلوا الأفاعيل، فالمسلمون مظلومون وعلى أمرهم مغلوبون، فادعوا أيها المسلمون، فإن دعوة المظلوم مستجابة، فقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ".

حثوا الناس على الدعاء لاسيما الضعفاء وأحسنوا إليهم لعل الله ينصرنا بدعائهم، فلرب أشعب أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره، فقد روى أبو داود وغيره عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "ابْغُونِي الضُّعَفَاءَ؛ فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَانِكُمْ".

فادعوا ولا تستعجلوا الإجابة، فإن بعضها يؤخر، وربما إلى وقت يكون العبد أحوج ما يكون إليها، والاستعجال من موانع الإجابة، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي".

ولا تيأسوا فإن الله تعالى قد وعد بالإجابة حيث يقول سبحانه: { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [سورة غافر: 60]

فمن كان له حاجة فليطلبها من مالکها وهو الله سبحانه وتعالى، فلا تطلب من غيره، والعجب من بعض المسلمين كيف يستغيثون بالكفار والمشرکين وهم شيء واحد، کلهم أعداء الله ورسوله والمؤمنين، لا يريدون خيراً للإسلام والمسلمين، وحال هؤلاء كما قال القائل:

والمستجير بعمرٍو عند كربته*** كالمستجير من الرمضاء بالنار

فلا استغاثة تكون بالله تبارک تعالی كما استغاث نبينا صلى الله عليه وسلم بربه يوم بدر فأغاثهم الله وأيدهم بملائكة من السماء وأهلك أعداءهم.

فينبغي على المسلمين أن يجتهدوا في الدعاء على الكافرين، وألا يفترؤا ولا يملؤا، لا سيما في أوقات الإجابة، وأن يفعلوا بأسباب الإجابة، وأن يجتنبوا موانع الإجابة، فإن للإجابة أسباباً، ولها أوقاتاً وأما موانعها، نذكرها هنا جملة لأن الوقت لا يسع لذكر تفاصيلها وذكر الأدلة عليها.

-فنبداً بذكر أسباب استجابة الدعاء، فإنها كثيرة وأهما ما يلي:

الإخلاص عند الدعاء، ورفع الكفين مع استقبال القبلة عند الدعاء، والتوسل إلى الله بربوبيته يارب يارب، ودعاء المضطر والمكروب والمريض، وانكسار القلب وحضوره وافتقاره إلى مولاه عند الدعاء، والإكثار من الدعاء في الرخاء سبب للاستجابة في الشدة، والمداومة على النوافل والإكثار منها، والدعاء بعد (لا إله إلا الله)، والعزم والإلحاح في الدعاء، وحسن الظن بالله واليقين عند الدعاء، والدعاء باسم الله الأعظم الذي سندعو به في آخر الخطبة إن شاء الله تعالى، والتوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، والتوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، وتسبيح الله وتحميده وتكبيره وتمجيده والصلاة على نبيه عند الدعاء، ومن أسباب إجابة الدعاء بر الوالدين، والدعاء يوم عرفة، وخفض الصوت في الدعاء، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة.

-وأما موانع إجابة الدعاء فهي كالتالي:

أكل الحرام، والدعاء بإثم أو قطيعة رحم، واستعجال الإجابة، والغفلة عند الدعاء، والاعتداء في الدعاء، والسكوت عن المنكر مع القدرة على تغييره، هذه هي موانع الإجابة، فمن دعا بدعوة ثم لم يرَ الإجابة فليراجع نفسه ولينظر ما هو المانع الذي ارتكبه فممنعه عنه الإجابة .

-وأما أوقات الإجابة التي يرجى إجابة الدعاء فيها أكثر من غيرها فهي كالتالي:

الثالث الأخير من الليل، وأفضلها وقت السحر، حيث ينزل ربنا في الثالث الأخير فيقول: " مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبْ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ " والحديث في الصحيحين.

فينبغي على كل مسلم أن يجعل له حظا في هذا الوقت المبارك يدعو ربه ويتضرع بين يديه.

ومن الأدعية المستجابة: الدعاء في السجود، وعند النداء، وبين الأذان والإقامة، وساعة من يوم الجمعة، وهي آخر ساعة من يوم الجمعة على الصحيح، وفي أدبار الصلوات (قبل السلام)، ودعاء المسافر والصائم، وعند نزول المطر، وعند التحام الجيشين، ودعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب، يستجيب الله له ولو بعد حين، فأبشر أيها المظلوم ولا تيأس، فإن الله عزيز ذو انتقام.

ومن الدعوات المستجابة دعوة الوالدين، فاحذر أيها العاق من دعوة الوالدين، وأبشر أيها البار بدعاء الوالدين لك.

ومن الدعوات المستجابة: دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب فادع لأخيك في غيبته لعل الله يستجيب دعوتك ويقول الملك ولك بالمثل.

فادعوا لإخوانكم المسلمين المستضعفين في كل مكان، ادعوا - يا عباد الله - لعل الله يستجيب دعوة رجل صالح منكم، لعل دعوة خالصة من قلب خاشع وعبد خاضع، ومن لسان ذاكِر وعبد شاكر يفرج الله بها عن الإسلام والمسلمين، رُبَّ أشعث أغبر ذو طمرين مدفوع بالأبواب لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، رُبَّ دعوات مع العبرات، في آخر الليل أو في الخلوات، أو في الصلوات، تصعد إلى رب البريات، فيكشف الله بها الكربات ويدفع بها المصائب والملمات بإذن الله رب الأرض والسموات.

اللهم إنا نسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم يا منان، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، نسألك

باسمك الأعظم الذي إذا دُعيت به أُجبت، وإذا سُئلت به أعطيت، نسألك ألا تمتنا حتى تقر أعيننا في يهود بني صهيون، اللهم عليك بهم وبمن حالفهم وتعاون معهم ضد الإسلام والمسلمين، اللهم اجعل لهم يوما كيوم بني قينقاع ويوما كيوم بني النضير، ويوما كيوم بني قريظة، اللهم فرق جمعهم، وشتت شملهم، ومزق صفوفهم، وأفشل خططهم، وخيب مكرهم، ورد كيدهم في نحورهم، وزلزل الأرض من تحت أقدامهم، واجعل بأسهم بينهم، ورد رصاصاتهم في نحورهم، اللهم عليك باليهود والنصارى أجمعين، اللهم عليك بمن مكر بهذا الدين، اللهم عليك بمن اعتدى على المسلمين، اللهم لا ترفع لهم راية، ولا تحقق لهم غاية، واجعلهم لمن خلفهم عبرة وآية، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم، اللهم اجعل لهم يوما كيوم عاد، وفرعون ذي الأوتاد، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد، اللهم كن لهم بالمرصاد، يا قوي يا متين.

اللهم امكر بمن مكر بهذا الدين، وامكر بمن مكر بالمسلمين، وامكر بكل حاقد على حملة هذا الدين، اللهم دمرهم تدميرا، ولا تبق منهم صغيرا ولا كبيرا، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك يا ذا القوة والجبروت.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم احفظ إخواننا في فلسطين، اللهم كن لهم عوناً ونصيراً، ومعيناً وظهيراً، اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل الدين، اللهم فرج هم المهمومين، وارفع كرب المكروبين، ويسر عسر المعسرين، وفك أسر الأسورين، واقض دين المديونين واشف مرضى المسلمين، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خطبة بعنوان

[(أسباب عزة المسلمين

وأسباب ذلهم)]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فيقول رب العزة والجلال: **{وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}** [سورة يونس : 65]

وقال الله: **{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ}** [سورة فاطر : 10]

وقال سبحانه: **{يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}** [سورة المنافقون : 8]

يخبر سبحانه في هذه الآيات أن العزة ملكه، يؤتيها من يشاء من عباده، فتطلب منه لا من غيره، وإنها لا تنال إلا بطاعته وتوحيده، والإيمان به والتمسك بدينه، فمن تمسك بدينه أعزه الله في الدنيا والآخرة، ومن نبذ الدين وراء ظهره أذله الله.

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: في قوله : **(من كان يريد العزة فلله العزة جميعا)** أي : من كان يحب أن يكون عزيزا في الدنيا والآخرة ، فليلزم طاعة الله ، فإنه يحصل له مقصوده ؛ لأن الله مالك الدنيا والآخرة ، وله العزة جميعها" اهـ.

وقال المفسر السعدي رحمه الله: "**إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**" يؤتيها من يشاء، ويمنعها ممن يشاء. قال تعالى: **{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا}** أي: فليطلبها بطاعته، بدليل قوله بعده: **{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}** ومن المعلوم، أنك على طاعة الله، وأن العزة لك ولأتباعك من الله **{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}**" اهـ.

وقال المفسر البغوي رحمه الله: "عزة الله: قهره من دونه، وعزة رسوله: إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين: نصر الله إياهم على أعدائهم" اهـ.

وقال عمر الفاروق رضي الله عنه: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله" اهـ.

وصدق رضي الله عنه، فإنهم لما اعتزوا بدينهم أعزهم الله، وإننا في هذا الزمان لما ابتغى كثير من المسلمين العز من غير الله حيث طلبوها من الكفار وحضاراتهم وعاداتهم وأنظمتهم أذلهم الله، وسلطهم عليهم.

ولكن أبشروا يا أيها المسلمون، فإن الله تبارك وتعالى قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أنه سيعز هذا الدين وينشره، ويدخله كل بيت ويعز أهله ويذل أعداءه، كما عند الإمام أحمد عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " **لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَشْرِكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بَعْرًا عَزِيزًا، أَوْ يَذُلَّ ذَلِيلًا، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ**". وَكَانَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرَ وَالشَّرَفَ وَالْعِزَّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلَّ وَالصَّغَارَ وَالْجِزْيَةَ.

الشاهد أن العزة والغلبة والنصر والظفر والعاقبة الحسنة ستكون للإسلام وأهله، فمن دخل في هذا الدين وتمسك به أعزه الله، ومن تركه أذله الله.

وفي هذا المقام نذكر أهم أسباب العزة للإسلام والمسلمين، ونتطرق إلى أهم أسباب الذلة، وإن الناظر إلى الأمة الإسلامية في هذا الزمان يراها في حالة يرثى لها من الذلة والهوان أمام أعدائها، وما ذاك إلا لبعدها عن كتاب ربها

وسنة نبينا وعدم تمسكها بدينها، فلن يعود لها عزها ومجدها إلا بالرجوع إلى دينها على ما كان عليه سلفها الصالح، فمن أسباب عز هذه الأمة ومجدها:

-تحقيق الإيمان والعقيدة الصحيحة ومحاربة العقائد الفاسدة، وتحقيق التوحيد لله سبحانه وتعالى، ونبذ الشرك وأهل الشرك، ومحاربة الشوكيات بكافة أنواعها، فما نصر الله نبينا صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن جاء بعدهم إلا بتوحيدهم وإيمانهم، وخوفهم من ربهم وتوكلهم على خالقهم، مع قلة عددهم وعدتهم، فدان لهم العرب والعجم وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها، فتحقق ما وعدهم الله به من النصر والتمكين، ومن الأمن والعزة، قال الله: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [سورة النور : 55]

فقد وعد الله هذه الأمة بالنصر والتمكين إن هم آمنوا به وحققوا توحيده وكانت أعمالهم لله خالصة لوجه الله والدار الآخرة، فقد روى الإمام أحمد عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّعَادَةِ ، وَالرَّفْعَةِ ، وَالنَّصْرِ ، وَالتَّمَكُّنِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ .** "

فإذا صحح المسلمون عقيدتهم وقوي إيمانهم، وحققوا توحيدهم لربهم أعزهم الله ونصرهم على أعدائهم، ولن يسلط عليهم أعداءهم إلا إذا أخلوا بهذه الأصول العظيمة، قال تعالى: **{ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا }** [سورة النساء : 141]

قال ابن كثير عند هذه الآية: "ويحتمل أن يكون المراد : **(ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا)** أي : في الدنيا ، بأن يسلطوا عليهم استيلاء استئصال بالكلية ، وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس ، فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : **(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا [ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار])** [غافر : 51 ، 52] . ا.هـ

وهذه هي سنة الله في خلقه، ووعدته للأمم السابقة واللاحقة أنه يرفع
 الموحدين على المشركين وينصرهم عليهم، قال تعالى في سياق كلامه مع
 عيسى عليه السلام: **{ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَقِّكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ
 مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ
 ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }** [سورة آل عمران :
 [55]

الشاهد قوله تعالى: **{ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ }**

وقد جعل الله لنبينا صلى الله عليه وسلم مهابة في قلوب أعدائه وخوفا منه
 مسيرة شهر، وهذه المهابة هي له ولمن تمسك بسنته من أمته إن شاء الله
 تعالى، فقد روى البخاري ومسلم جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
 قَبْلِي : **نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ** **مَسِيرَةَ شَهْرٍ** ، " الحديث

قال بعض أهل العلم : " هذا له ولأتباعه عليه الصلاة والسلام العاملين بسنته ،
 فإن الله تعالى ينصرهم بالرعب ، يرعب عدوهم مسيرة شهر " ولذلك تجد
 الكفار يخافون من المتمسكين بالسنة ويحسبون لهم ألف حساب ، ويحاربونهم
 بكافة الوسائل ، ولا يبالون بغيرهم من المسلمين المخالفين للسنة والمتحزبين
 فرقا وأحزابا ، والمحدثين بدعا وإحداثا ، إنما يهابون المتمسكين بدينهم ،
 الموحدين لربهم ، العاملين بسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام .

ولهذا ما كان نبينا صلى الله عليه وسلم يقبل في صفه أحدا يشرك بالله ، سواء
 الشرك الأكبر أو الأصغر ، فقد روى الإمام أحمد عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ ،
 رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطًا ، فَبَايَعَ
 تِسْعَةً ، وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، **بَايَعْتَ تِسْعَةً** ، وَتَرَكْتَ هَذَا ؟
 قَالَ : " **إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً** " . فَأَدْخَلَ يَدَهُ ، فَقَطَعَهَا ، فَبَايَعَهُ ، وَقَالَ : " **مَنْ عَلَّقَ
 تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ** " .

وكان إذا رأى شركا غيره ، وإذا سمع قولاً شركياً أنكره ، فقد روى الإمام أحمد
 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا شَاءَ اللَّهُ
 وَشِئْتُ . فَقَالَ : " **جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا** ، **بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ** " .

أما في زماننا فإن الناظر يرى الشراكيات منتشرة في أوساط المسلمين قد ملأت السهل والجبل، فالسحر يُزاول على مسمع ومرأى من الناس ولا نكير، بل لا توجد بلاد من بلدان المسلمين إلا وفيها سحرة، ولا تقام الحدود عليهم، فقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيمون الحدود على السحرة فيقتلونهم، فقد كتب عمر رضي الله عنه أن يقتلوا كل ساحر وساحرة، فقتلوا ثلاث سواحر، وقتلت حفصة رضي الله عنها جارية لها سحرتها، وقتل جندب رضي الله عنه ساحرا كان يخيل للناس أنه يفعل الشيء ولم يفعله، ولذلك أعزهم الله، فأين نحن من أولئك؟ ذهبت عزة المسلمين في هذا الزمان بسبب ذنوبهم، فصاروا لا قيمة لهم بسبب ما سمعتموه، فيوجد فيهم من يذبح لغير الله، ويوجد من يدعو غير الله، ويوجد من يعبد القبور من دون الله، ويوجد من يذهب إلى الكهنة والعرافين، ويوجد من يحلف بغير الله، ومن يعلق الحروز والتمايم، يوجد من يتشائم بكثير من المخلوقات، وحدث ولا حرج من هذا، فقد دمر الله دولا بسبب الشرك، فقد كان للدولة العثمانية العظمى صولة وجولة حتى وجدت فيها القباب وعُبدت القبور من دون الله، فضعفت وانتكست، وأقرب مثال: هو دولة العراق، حيث كثر فيها الشرك والسحر، فقد أخبرنا أن مدينة الفلوجة كان فيها أكثر من خمسين ساحرا، فتسلط عليها الأعداء وتكالبوا عليها ومزقوها كل ممزق، فصارت كأن لم تكن بالأمس، إذن فلا عزة للمسلمين يا عباد الله إلا بتحقيق توحيد الله كما وعد الله، ومن أصدق من الله؟ والله لا يخلف الميعاد.

-ومن أسباب عزة المسلمين يا عباد الله: رجوعهم إلى كتاب ربهم، وإلى سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وتمسكهم بهما وعدم مخالفتهما، وترك الأنظمة والقوانين الغربية، وترك البدع والمحدثات العصرية، فإنها مخالفة للأصول والأحكام الشرعية.

فإن الخير والعز والتمكين والفلاح والأمن والنصر منوط بالكتاب والسنة، وإن الشر والخوف والذل والانهزام أمام الأعداء بمخالفة الكتاب والسنة.

قال ربنا في كتابه الكريم: { لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [سورة الأنبياء : 10]

وقال تعالى: { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ
عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) }
سورة طه : 123 إلى 124]

قال المفسر البغوي رحمه الله: " روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :
من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله في الدنيا من الضلالة ، ووقاه الله يوم
القيامة سوء الحساب ، وذلك بأن الله يقول : (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا
يشقى) . وقال الشعبي عن ابن عباس : أجاز الله تعالى تابع القرآن من أن
يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة ، وقرأ هذه الآية "هـ

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال: «تركتم فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن
يتفرقا حتى يردا علي الحوض» .

فمن تمسك بهذين الأصلين فلن يضل في الدين ولا في الدنيا، ولن يشقى في
الآخرة، فالتمسك بهما نجاة، والإعراض عنهما هلاك، قال الإمام مالك رحمه
الله: " السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق " .

وروى الإمام مسلم عن عُمَر رضي الله عن قال: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ
". أي: أن الله يرفع أهل القرآن الحافظين له، العاملين به، الداعين
إليه، وينصرهم ويؤيدهم في الدنيا والآخرة، ويضع من ليس من أهل القرآن
حفظًا وعملاً ودعوة، أو من حفظ القرآن لأغراض دنيوية، فخالف أحكامه، فلم
يأتمر بأوامره ولم ينته بنواهيته، هذا يضعه الله ويذله والعياذ بالله.

وهكذا فإن الله يضع كل من خالف السنة وخالف أمر النبي صلى الله عليه
وسلم وخالف هديه، فإن الله يذله ، فقد روى الإمام أحمد عن **ابن عُمَرَ** ، رضي
الله عنهما قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ، حَتَّى
يُعْبَدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الدِّلَّةُ
وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ " .

" وَجُعِلَ الدِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي "

مخالفة أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ونقض عهودهما سبب لتسلط الأعداء، كما روى ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ " وذكر منهن "وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ."

فيا عباد الله إن البدع والإحداث في الدين سبب للذل والهوان ،قال بعض السلف: "ما رأيت صاحب بدعة إلى رأيت على وجهه ذلة ،ثم قرأ قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ } [سورة الأعراف : 152]

الشاهد قوله :{ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ } أي:وكذلك سينال الغضب والذلة كل من افتري وأحدث في دين الله، سينال الغضب والذلة كل من ابتدع وافتري على الله ورسوله،سينالهم الغضب والذل في الحياة الدنيا وفي الدار الآخرة.

-ومن أسباب عزة المسلمين ورفعتهم:وحدثهم وعدم تفرقهم وانشقاقهم؛لأن الله تعالى أمر بالاعتصام ونهى عن الاختلاف والانشقاق،قال تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [سورة آل عمران : 103]

وأما الذين تحزبوا وتفرقوا في دين الله فقد برأ الله رسوله منهم،فليس منهم وليسوا منه،وتوعدهم الله على هذا التفرق ،كما في قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } [سورة الأنعام : 159]

وإن من سياسة الكفار الخبيثة أنهم فرقوا المسلمين إلى دويلات صغيرة،وإلى أحزاب متناحرة،من أجل أن يضعفوهم ،ولا يقووا على مواجهتهم،فأدخلوا لهم الديموقراطية والانتخابات والحزبية والمظاهرات،وتقبلها منهم

المسلمون، وجندوا أنفسهم لها، وروجوا لها، ودعوا الناس إليها، بل بعضهم جعلها من الدين ووسيلة من وسائل الدعوة إلى الله والعياذ بالله، ولم يتفطن المسلمون لسوء عواقبها، حتى وقع الفأس على الرأس، ووفق الله أهل السنة لمعرفة هذه الفتنة والتحذير منها، فلم يخوضوا فيها، بل بينوا للناس أخطارها، فصار أهل السنة أفقه الناس بالواقع، وأعلم الناس بالشرع، وأسبق الناس للحق، فله الحمد والمنة، وللأسف أن بعض الفرق لا زالت مصرة على الديموقراطية والحزبية والله المستعان.

عباد الله: إن الله قد أخبر في كتابه الكريم أن تفرق المسلمين سبب لفشلهم، حيث قال سبحانه: **{ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۚ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }** [سورة الأنفال : 46]

فلن يكون للمسلمين عزٌ ونصر وتمكين إلا بالاعتصام والاجتماع على كتاب واحد وهو القرآن الكريم، وعلى طريقة واحدة وهي السنة النبوية المطهرة، وعلى منهج واحد وهو منهج السلف الصالح، فإذا اختلفوا تسلب عليهم الأعداء وتكالبوا عليهم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.

وقد أحسن من قال:

تأبى العصي إذا اجتمعت تكسرا *** وإذا افرقت تكسرت أحادا

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن أسباب عز المسلمين وأسباب ذلهم كثيرة، ذكرنا هنا أهمها، فيجب على المسلمين أن يسعوا إلى فعل أسباب عزهم، وأن يتجنبوا فعل أسباب ذلهم، ومنها:

- **انهماكهم في الدنيا واهتمامهم بها واهمال الدين والانشغال عنه بالدنيا،** فإن كثيراً من المسلمين إذا كان في عملٍ دنيوي فإنه لن يتركه حتى يتقنه، بل ويأتيه في أول وقته، ولا يفارقه حتى ينتهي منه، ولو في وقت متأخر من الليل، وإذا قصر عنه أو فاتته ندم وأنب نفسه وتحسر وعزم على ألا يعود، فإذا جاء وقت الصلاة أو نحوها من أعمال الدين، لا يبالي صلى في أول الوقت أو في آخره وربما نقرها وحده وترك الجماعة، وربما خرج وقت الصلاة ولم يصل بحجة أنه مشغول بعمله الدنيوي، وهذا من أعظم أسباب الذل والخسارة وتسلب الأعداء على المسلمين، فانتبه يا عبد الله لدينك، فإنما خلقت لأجله لم تخلق للدنيا الفانية، قال عز من قائل: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }** [سورة المنافقون : 9]

وروى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ "

والعينة: هي نوع من أنواع الربا، وحدث ولا حرج عن الربا لكثرة في بلاد المسلمين، فإن كل هذه البنوك تتعامل بالربا، فهذه المعصية وحدها كفيلة بأن تكون سببا لإذلال المسلمين، فكيف لو انضاف إليها معاصٍ أخرى؟!!

وفي الحديث أن من أسباب ذل المسلمين ركونهم إلى الدنيا وتركهم للجهاد في سبيل الله الذي فيه عزهم وإذلال أعدائهم، فتركوا ركوب الخيول ولحقوا أذناب البقر، ولقد كان رزق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته تحت ظل رماحهم فأعزهم الله وأذل أعدائهم، ولما أراد الأنصار أن يرجعوا إلى مزارعهم ليصلحوا ما ضاع منها أنزل الله **{وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}** فقد روى أبو داود عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: **إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعَشَرَ الْأَنْصَارِ : لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ ، فُلْنَا : هَلُمُّ نُقِمْ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحْهَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ**

اللَّهُ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ { فَأَلْقَاءُ بِالْأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ : أَنْ نُقِيمَ فِي
أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحَهَا، وَنَدْعَ الْجِهَادَ. قَالَ أَبُو عَمْرٍانَ : فَلَمْ يَزَلْ أَبُو أَيُّوبَ يُجَاهِدُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ.

-ومن أسباب الذلة والهوان وجود الغثائية في صفوف المسلمين، وهم الذين
لا همَّ لهم إلا بطونهم وفروجهم وشهواتهم، الغثائية هم أهل الشبهات
والشهوات، أناس متفرقون متحزبون، يتابعون الموضوعات الغربية، وملاعب
الكرة، والنوادي والمسلسلات، والنت والشبكات، وتركوا المساجد وضيعوا
الصلوات، لا يهتمهم نصره دين الله ولا إعلاء كلمة الله، الكثير منهم حول البدع
والمحدثات، والمظاهرات والاعتصامات، التي هي إحياء لعادات الكفار
والتشبه بهم، والتي ماتزيد الطين إلا بلة، ولا تزيد المسلمين إلا ذلة، هذا هو
الغالب على الشعوب الإسلامية إلا من رحم الله، ولذلك تكالب عليهم الأعداء
وتداعوا عليهم، واستذلّوهم ولم يهابوهم كما كانوا يهابون من كان قبلهم، وقد
أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بحال هذه الأمة التي ستكون هذه صفاتهم
قبل أربعة عشر قرناً، حيث شبههم بغنّاء السيل الذي يأتي في مقدمة السيل
من القمام والأعواد والزبد والخرق التي لا ينتفع بها الناس، وإنما يرمي بها
السيل يسرة ويمنة، هؤلاء هم الغثائية الذين لا يرجى منهم نصره دين الله، بل
هم السبب في انهزام المسلمين وذلهم أمام أعدائهم، كما عند أبي داود وأحمد
عن ثوبان رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا** ". فَقَالَ قَائِلٌ : **وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟** قَالَ : " **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُنَاءٌ كَغُنَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ** ". فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : " **حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ** " .

وفي رواية عند أحمد: " قَالُوا : وَمَا الْوَهْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " **حُبُّكُمْ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَتُكُمُ الْقِتَالَ** " .

-ومن أسباب العزة للمسلمين التميز عن الكافرين، ومخالفتهم في مآكلهم ومشربهم ولباسهم وعاداتهم وتقاليدهم، وعدم مخالطتهم والسفر إليهم لغير ما ضرورة، وعدم الاستشراف لما عندهم، وعدم المسارعة في مودتهم، فكثير من المسلمين يهرعون إليهم ويدافعون عنهم بل بعضهم يفضلهم على المسلمين، وهذا على خطر عظيم؛ لأنه حادّ الله ورسوله، فيا عباد الله: لرجلٌ مسلمٌ خير من ملء الأرض كفار، ولو كان هذا المسلم عاصيا ولو كان سارقا، ولو كان خمارا، لأنه يقول لا إله إلا الله، ويقيم الصلاة، وأولئك مشركون، يعبدون غير الله، يعبدون عيسى وعزيرا عليهما السلام، فيجب التحذير منهم والتميز عنهم في العبادات والمعاملات، فلا يجوز التشبه بهم في شيء من عاداتهم وتقاليدهم، فقد روى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ومن تشبه بقوم فهو منهم"

فلا تتبغ العزة يا عبد الله من قوم أذلهم الله وغضب عليهم، وجعل منهم القردة والخنازير وعباد الطواغيت، قال تعالى: **{ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا }** [سورة النساء : 139]

فاعتزوا بدينكم يا عباد الله، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

واستغنوا عما في أيديهم، فإن مد الأيدي إليهم ذلة، واليد العليا خير من اليد السفلى، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتعفف يعفه الله، وهذا خطاب للحكام والمحكومين من المسلمين، فننصحهم أن يستغنوا عما يأتيهم من الدول الكافرة عن طريق المنظمات، وأن يتركوا العمل فيها، فإن من ورائها أهداف خطيرة، ومفاسد وفتن كثيرة، وشرور مستطيرة، فقد أفسدوا فيها كثيرا من شباب وشابات المسلمين، فإن الكفار يتحينون هذه الفرص ويستغلون حاجة المسلمين فيغدقون عليهم الأموال ليفسدوهم، وانظروا إلى عزة الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يذلون أنفسهم أمام الكفار ولم يمدوا أيديهم إلى ما عندهم، فهذا كعب بن مالك حينما هجره النبي صلى الله عليه وسلم خمسين يوما، انتهز ملك غسان الفرصة ليغريه بشيء من حطام الدنيا ليفسد عليه دينه، فكتب إليه أما بعد: "فإنه بلغنا أن صاحبك قد قلاك فالحق بنا نواسك"، فأخذ كعب الكتاب فأحرقه في النار، وقال وهذا أيضا من الابتلاء، وتصوروا لو كتب أحد رؤسا دول الكفر العظمى كتابات إلى بعض المسلمين

في هذا الزمان يلحقوا بهم ربما يلحقهم كثير من المسلمين وربما ارتد أو تنصر الكثير بمقابل لعاعة الدنيا والعياذ بالله.

استغن ما أغناك ربك بالغنى ... وإذا تصبك خصاصة فتجمل

فالعفة عزة، والمسألة ذلة، فقد روى البخاري عن الزبير بن العوام رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَكْفَى اللَّهَ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ"

- وإن من أسباب الذل والهوان: لهي الذنوب والمعاصي، فقد قال الله: **وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** [سورة يونس : 27]

وقد حصلت الهزيمة للمسلمين في غزوة أحد بسبب معصية واحدة وهي مخالفة الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، حيث نهاهم عن النزول من الجبل فنزلوا لجمع الغنائم، كما أخبر الله عن قصة تلك الحادثة العظيمة، والفاجرة الأليمة في سورة آل عمران: **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** [سورة آل عمران : 152]

وقال سبحانه: **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** [سورة آل عمران : 165]

فقد هُزم المسلمون بعد النصر، وأذلوا بعد العز، وقتل منهم سبعون من خيار الصحابة رضوان الله عليهم ومنهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم، بل قد شج وجه النبي صلى الله عليه وسلم حتى سال الدم على وجهه الشريف، وكسرت

رباعيته، وكاد أن يُقتل لولا أن الله عز وجل سلمه، وكان قد اجتمع عليه تسعه من المشركين، فخيبتهم الله، وقُتل سبعة من الصحابة حول النبي صلى الله عليه وسلم، وولى بعض الصحابة هاربين والرسول يدعوهم إلى عباد الله، إلى عباد الله، فلم يلتفتوا إليه لما أصابهم من الخوف والذعر، ففاتهم النصر والغنيمة وباءوا بخسارة الأمرين، إلا أن الله قد عفا عنهم فلا مجال للطعن فيهم، وكانت مخالفة الرماة تلك عن حسن ظن واجتهاد منهم، وذلك بعدما أيقنوا بالنصر ورأوا المشركين هاربين، وحصل ما حصل بتقدير الله، فالأمر لله من قبل ومن بعد، قال الله عنهم في كتابه الكريم: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل عمران :

[153

الشاهد إذا كانت معصية واحدة أذلت المسلمين وسببت لهم الهزيمة، وفوتت النصر، فكيف بالمعاصي هذه الأيام من الشرك والسحر والخرافات، والقتل والزنا والربا والرشا واللواط وشرب الخمر وترك الصلوات، وفعل البدع والمحدثات وغيرها مما لا يسع المقام لذكرها، فالواجب على المسلمين أن يرجعوا إلى ربهم، وأن يراجعوا دينهم، فيمتثلوا الأوامر ويتجنبوا النواهي والزواجر، فإن عزهم منوط بالتمسك بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، والذل والصغار في مخالفة ذلك ونبد الكتاب والسنة وراء ظهورهم.

اللهم خذ بأيدينا إلى كل خير، اللهم أصلح الراعي والرعية، وارحم الأمة المحمدية، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل الدين، اللهم عليك باليهود والنصارى والمنافقين، اللهم عليك بهم ومن تعاون معهم ضد الإسلام والمسلمين، اللهم انصر إخواننا في فلسطين، اللهم احفظهم وكن لهم عوناً ونصيراً، اللهم ادفع عنهم كيد اليهود والنصارى يارب العالمين.

خطبة بعنوان

[(وعد الله بحفظ هذا الدين

ورد كيد الكافرين والماكرين)]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فإن من سنن الله الكونية في أرضه أن جعل الصراع بين الحق والباطل إلى قيام الساعة، ليبتلّي عباده فيحيى من حيٍّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة، ثم إن الله تعالى تكفل بحفظ دينه ونصر أوليائه على مر الدهور وفي كل العصور، وإن حصل لهم وهنات وانتكاسات في بعض الأزمنة والأمكنة فهي ابتلاءات وتمحيصات، لكنه لا يديل الباطل على الحق إدالة مستمرة، ومن ظن أن الباطل سيظهر على الحق باستمرار، وأن الحق سيضمحل ولا ينتصر، فقد ظن بالله غير الحق ظن الجاهلية، كما ظن المنافقون في الله سوء الظن في غزوة الأحزاب وغزوة أحد، فإن العاقبة للمتقين، والنصر للمؤمنين، وإن كان الكفار والمشركون يبذلون كافة الأسباب للقضاء على هذا الدين، والتشويه بأهله، ويمكرون في الليل والنهار لإطفاء نور الله، لكن كتب الله أن الغلبة لدينه

والنصر لأوليائه، قال الله: **{ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }**
[سورة المجادلة : 21]

وقال سبحانه: **{ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33) }** [سورة التوبة : 32 إلى 33]

قال المفسر السعدي رحمه الله: **{ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ }** أي: بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة، التي يردون بها الحق، وهي لا حقيقة لها، بل تزيد البصير معرفة بما هم عليه من الباطل، **{ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }** أي: قد تكفل الله بنصر دينه، وإتمام الحق الذي أرسل به رسله، وإشاعة نوره على سائر الأقطار، ولو كره الكافرون، وبذلوا بسبب كراحتهم كل سبب يتوصلون به إلى إطفاء نور الله فإنهم مغلوبون.

وصاروا بمنزلة من ينفخ عين الشمس بفيه ليطفئها، فلا على مرادهم حصلوا، ولا سلمت عقولهم من النقص والقبح فيها" اهـ.

وقال رحمه الله: **"{ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ }** لأنه النور الباهر، الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، والذي أنزله جميع نواصي العباد بيده، وقد تكفل بحفظه من كل من يريده بسوء، ولهذا قال: **{ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }** وسعوا ما أمكنهم في رده وإبطاله، فإن سعيهم لا يضر الحق شيئاً" اهـ.

فهكذا يسعى الكفار في كل زمان ومكان جاهدين في القضاء على الأديان التي جاءت بها رسل الله عليهم السلام، لكنهم يفشلون وينهزمون، بل ويهلكون؛ لأن كل من أراد دين الله بسوء قصمه الله، فهذه هي سنة الله في إهلاك من عادى رسله وحارب دينه.

-فهذا إبراهيم عليه السلام جاء بالملة الحنيفية السمحة وهي عبادة الله وحده وعدم الإشراف بالله شيئاً، فأبى قومه إلا الشرك، فحطم أصنامهم، وسفه أحلامهم، فأذوه وتوعدوه بالرجم، بل جمعوا له أخطاباً كثيرة وأججوا له نارا عظيمة لإحراقه، ثم رموه فيها، فأخرجه الله منها سالماً، قال تعالى: **{ فَارْأَيْتُمْ إِلَىٰ**

آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا
بِالْيَمِينِ (93) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ (94) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ
خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) فَأَرَادُوا
بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ (98) [سورة الصافات : ٩٢ إلى 98]

وقال الله: { قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66)
أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا
آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
(69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ
الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) } [سورة الأنبياء : 66 إلى 71]

-وهذا موسى عليه السلام ،أرسله الله إلى فرعون وقومه،فقالوا ساحر
كذاب،قال تعالى: { ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (75) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا
قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (76) قَالَ مُّوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ
أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (77) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَنْحِتَكُمَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ (78) }
سورة يونس : 75 إلى 78]

ولما نصر الله موسى بالحجج الدامغات والآيات الباهرات،قال أصحاب
فرعون أئذ موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك: { قَالَ سَنُقَتِّلُ
أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (127) قَالَ مُّوسَىٰ لِقَوْمِهِ
اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ (128) } [سورة الأعراف : 127 إلى 128]

فجمع السحرة لميقات يوم معلوم،فسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا
بسحر عظيم،كما أخبر ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم، ثم ألقوا حبالهم
وعصيهم فإذا هي حيات وأفاعي عظيمة،فألقي موسى عصاه فإذا هي ثعبان
مبين،قال الله: { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا

يَأْفِكُونَ (117) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (118) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (119) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (120) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (122) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا^ط فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (125) وَمَا نَنقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا^ط رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ (126) } [سورة الأعراف : 117 إلى 126]

وجمع فرعون كيده ثم أتى لاستئصال موسى ومن معه من المؤمنين، يزعم أنهم شرذمة قليلون، ونسي قوة رب العالمين سبحانه وتعالى، فأمر الله موسى أن يخرج بقومه ليلاً نحو البحر ليقضي الله أمرا كان مفعولا، قال تعالى: { فَدَعَا رَبُّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (22) فَأَسْرَ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ (23) وَاتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا^ط إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ (24) كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاتٍ وَغُيُوبٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (27) كَذَلِكَ^ط وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (28) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (29) } [سورة الدخان : 22 إلى 29]

وقال سبحانه: { فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (61) قَالَ كَلَّا^ط إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ^ط فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا^ط ثُمَّ الْآخَرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً^ط وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ (67) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (68) } [سورة الشعراء : 61 إلى 68]

-وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم اجتمع عليه كفار قريش في مكة ليقتلوه، وجمعوا له من كل قبيلة فتى شابا قويا، وأعطوا كل واحد منهم سيفاً صارماً ليضربوه ضربة رجل واحد ثم يتوزع دمه بين القبائل ويستريحون منه، وينتهي دينه، فمكروا مكراً ومكر الله مكراً وهو خير الماكرين، قال الله: { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ^ط وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ^ط وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } [سورة الأنفال : 30]

فأذن الله له بالهجرة إلى المدينة، فخرج من بين أظهرهم سالماً، فطارده وجندوا الجنود للإتيان به، وأعدوا الجوائز المغرية لمن ظفر به هو وصاحبه أحياءً أو أمواتاً، فمن أتى بأحدهما أعطوه مائة من الإبل، فأعمى الله أبصارهم وغاصت خيولهم في الأرض، قال الله: **{ إِنْ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }** [سورة التوبة : 40]

ثم وصل نبينا صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بحفظ ورعايته فاراً بدينه، فنصره الله وأعزه، ورفع ذكره، وما هي إلا سنة حتى كسر الله شوكة المشركين في بدر، وقتل صناديدهم الذين كانوا قد تأمروا على قتله، فلم يلبثوا بعده إلا قليلاً، قال تعالى: **{ وَإِنْ كَادُوا لَيْسْتَغْفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76) سَنَّةً مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (77) }** [سورة الإسراء : 76 إلى 77]

وفي غزوة الأحزاب تجمعت ملل الكفر على المسلمين مرة أخرى من يهود ومشركين ومنافقين وغيرهم حتى بلغوا عشرة آلاف مقاتل، بقيادة أبي سفيان بن حرب، فأرادوا استئصال المسلمين واستباحة بيضتهم وكان ذلك في السنة الخامسة من الهجرة، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بحفر الخندق فتحصنوا به وحصل لهم ما حصل من الخوف والجوع والبرد ونحو ذلك، فكانت المفاجأة الأخرى إذ رد الله الكفار بغيظهم لم ينالوا خيراً، فرجعوا منهزمين خائبين، إذ أرسل الله عليهم الريح والبرد والخوف والوهن، وأرسل جنوداً لم يروها، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمته هي العليا، وللكافرين أمثالها في كل زمان ومكان بإذن الله عز وجل، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ثم ذكّر الله نبيه ومن معه بما أنعم عليهم في هذه الغزوة، فقال سبحانه: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9) إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11) }** [سورة الأحزاب : 9 إلى 11]

ثم تجهز النبي صلى الله عليه وسلم عقب هذه الغزوة لغزو بني قريظة الذين نقضوا العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، ومالوا المشركين وألبوهم على قتال المسلمين واستئصالهم ووعدهم بالنصر والمناصرة، فكانت الأخرى إذ استأصل النبي صلى الله عليه وسلم يهود بني قريظة فقتل رجالهم وسبى نساءهم وأسر صبيانهم وقسم أموالهم، فأورثهم الله أرضهم وديارهم، ووعدهم بفتح بلدان أخرى ما كانت في حسابهم، قال عز من قائل: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (25) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۖ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْنُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (27)﴾ [سورة الأحزاب : 25 إلى 27]

فكانت الغلبة بعد ذلك للمؤمنين، فصاروا هم الذين يغزون المشركين إلى ديارهم، وفي السنة الثامنة رجع نبينا صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا بعشرة آلاف مقاتل، فدخل مكة عنوة ودخل الناس في دين الله أفواجا فله الحمد والمنة.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وسلم تسليما مزيدا.

أما بعد :

فإنه لا يخفى على مسلم ما يكيدهم به أعداؤهم من اليهود والنصارى وحلفائهم، فإنهم يخططون في الليل والنهار للقضاء على الإسلام والمسلمين، ويستعملون في ذلك أيادي نجسة ممن ينتسبون إلى الإسلام من الزنادقة والمنافقين، لكن نبشر كل مسلم بأنهم فاشلون، كما وعد الله وهو أصدق القائلين، أن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، وأن الله قد تكفل بحفظ دينه وحفظ أهله القائمين به، وسيفشلون كما فشل أسلافهم من بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع والمنافقين، وأن الدائرة ستكون عليهم بعز عزيز أو بذل ذليل، فإن الأمر لله وحده، وهو غالب على أمره، وأن قوته فوق كل قوة، فليست قوتهم هذه بشيء أمام جندي واحد من جنوده، فلو أرسل الله عليهم جبريل عليه السلام وحده لدمرهم كما دمر قرى قوم لوط، فكيف لو أرسل عليهم الريح، أو أرسل عليهم الملائكة، فلا نغفل يا عباد الله عن هذا، فلتكن ثقتنا بالله كبيرة، ولنتوسل بقدرته العظيمة، لكن بسبب ضعف إيمان كثير من المسلمين وبسبب ذنوبهم، صاروا يخافون من الكفار، ويتعجبون مما أعطاهم الله من قوة، وينسون قوة الجبار المتين، الذي يقول للشيء كن فيكون، فقد دمر الله مملكة فرعون في لحظات، بدون صواريخ ولا طائرات، وإنما بجندي من جنوده وهو ماء البحر، فما على المؤمنين إلا أن يراجعوا دينهم، ويرجعوا إلى ربهم، فيوحده ويعبدوه، ويدعوه ويتوكلوا عليه، ويسيروا على ما سار عليه نبيهم، وينهجوا منهج سلفهم، فإذا كانوا كذلك كان النصر حليفهم، وتكون العقابة لهم، ومكّن الله لهم دينهم، وأمنهم بعد خوفهم، ومكن لهم من رقاب الكافرين وأورثهم أرضهم، بإذن الله ربهم.

فقد روى مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا ، وَأُعْطِيتُ الْكَزْنَينِ ؛ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يَهْلِكَهَا بَسَنَةٌ بَعَامَةٌ ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْنَتَهُمْ ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بَسَنَةً بَعَامَةً ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْنَتَهُمْ ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ : مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا ، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا " .

ففي هذا الحديث وعد من رب العالمين بحفظ عباده المؤمنين، ورد كيد الكافرين، مهما تجمعوا أو تكالبوا على المسلمين، فإنه لا سبيل لهم عليهم، ولو اجتمعت دول الكفر كلها، وفيه وعد من رب العالمين سبحانه أن ملك المسلمين سيبلغ مشارق الأرض ومغاربها، فاستبسروا خيرا، واقبلوا البشارة من نبيكم صلى الله عليه وسلم، والزموا غرضه، واعملوا بسنته.

قال النووي رحمه الله في معنى هذا الحديث العظيم: " وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة ، وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، قال العلماء : المراد بالكنزين : الذهب والفضة ، والمراد : كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام . فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب ، وهكذا وقع ، وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب ، " .هـ

وروى الإمام أحمد عن تميم الداري رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا يَثْرُكَ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ " . وَكَانَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ يَقُولُ : قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرَ وَالشَّرَفَ وَالْعِزَّ ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلَّ وَالصَّغَارَ وَالْجَزِيَّةَ .

وقال الخطابي رحمه الله: " .. ، ومعناه أن الأرض زويت لي جملتها مرة واحدة فرأيت مشارقها ومغاربها ، ثم هي تفتح لأمتي جزءا فجزءا حتى يصل ملك أمتي إلى كل أجزائها. وقوله: (وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض) أي: الذهب والفضة. وفي النهاية فالأحمر ملك الشام والأبيض ملك فارس " .هـ

وفي هذا الحديث وعد من رب العالمين سبحانه ألا يسلط عليهم عدوا من سوا أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضا.

قال الخطابي في معنى : (فيستبيح بيضتهم) أي: مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم، أي: يجعلهم له مباحا لا تبعة عليه فيهم ويسبيهم وينهبهم،... وبيضة الدار وسطها ومعظمها أراد عدوا يستأصلهم ويهلكهم جميعهم. " .هـ فهذا لا يكون ولو اجتمع أهل الأرض كلهم أجمعون.

وقال النووي : " في قوله سبحانه وتعالى : (وَاِنِّي قَدْ اَعْطَيْتَكَ لِأَمْتِكَ اَلَا اَهْلَكُهُمْ بِسَنَةِ عَامَةٍ) أي : لا اهلكهم بقسط يعمهم ، بل إن وقع قسط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام ، فله الحمد والشكر على جميع نعمه "هـ.

وفيه أن العراق والشام للإسلام والمسلمين، فلا يطمع فيها اليهود والنصارى ومن حالقهم، فإنها ستعود بإذن الله إلى حضيرة المسلمين كلها، فإنها هي الأرض المباركة المقدسة مبعث الأنبياء عليهم السلام، ومعراج نبينا صلى الله عليه وسلم، وفيها أول قبلة للمسلمين وهو المسجد الأقصى، وهي أرض المحشر والمنشر.

وقول : "حتى يهلك بعضهم بعضا" مقتبس من قوله تعالى: " { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ } انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ {] سورة الأنعام : 65 [

وهذا الأمر هو الذي ضر المسلمين وأضعفهم أمام أعدائهم، وهو تفرقهم وتحزبهم وتناحرهم فيما بينهم، وهذه هي سياسة غربية خبيثة إذ أدخلوا الديموقراطية في أوساطهم ففرقتهم شذر مذر، ثم أدخلوا لهم المظاهرات، شنت مابقي منهم فصاروا لقمة سائغة لأعدائهم، لكن بقي منهم بحمد الله بقية خير لم يقبلوا الديموقراطية ولم يدخلوا في المظاهرات، فحفظ الله بهم الدين، وسينصر الله بهم دينة ولو كانوا قلة، وهم أهل السنة والجماعة، فقد روى البخاري ومسلم عن ثوبان، رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِّنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ "

اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تشمت بنا الأعداء والحاقدون، اللهم احفظ الإسلام وأهله، واخذل الشرك وأهله، اللهم من أراد بنا أو بديننا أو ببلادنا كيذا فاجعل كيده في نحره، واجعل تدبيره في تدميره، وأشغله بنفسه، واجعل الدائرة تدور عليه يا قوي يامتين.

اللهم إن اليهود والنصارى يمكرون بنا فامكر بهم، ورد كيدهم في نحورهم، اللهم فرق جمعهم وشتت شملهم، ومزق صفوفهم، وفرق كلمتهم، واجعل بأسهم بينهم، اللهم لاترفع لهم راية ،ولا تحقق لهم غاية، واجعلهم لمن خلفهم عبرة وآية.

اللهم منزل الكتاب ،ومجري السحاب، وسريع الحساب، وهازم الأحزاب، اهزم اليهود والنصارى شر هزيمة، واجعلهم للإسلام والمسلمين غنيمة.

اللهم خيب سعيهم، وأفشل خططهم، ورد مكرهم، وادفع كيدهم، واجعل رصاصهم في نحورهم، واجعل ما جمعوا ويجمعون للإسلام والمسلمين.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، واخذل الكفرة والملحدين، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في شتى بقاع العالمين، اللهم انصرهم في غزة وفلسطين، وفي كل مكان يارب العالمين، اللهم سدد رميتهم، واجمع كلمتهم، ووحّد صفوفهم، وثبت الأرض من تحت أقدامهم، اللهم امددهم بمدد من عندك، اللهم أيدهم بجنود من جندك، اللهم أمددهم بمدد من السماء، برحمتك يا أرحم الراحمين.

خطبة بعنوان

[(إعلام الناس

بأن قوة الله أعظم

من قوة أمريكا وحلفائها الأرجاس)

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }

عباد الله:

اعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأن خير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

{ إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِيٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ } [سورة الأنعام : 134

فيقول رب العزة والجلال في محكم التنزيل: **{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }** [سورة الأنعام :]

ويقول سبحانه: **{ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ }** [سورة الذاريات : 58]

وقال جل في علاه: **{ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ }** [سورة القمر : 36]

وقال تعالى: { إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ (13) وَهُوَ
الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15) فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ (16) }
سورة البروج : 12 إلى 16]

بين الله عز وجل في هذه الآيات بعض صفاته العلية، من العلو
والفوقية، والقدرة الجليلة، وبطشته القوية، ونقمته المتينة، بمن شاء من خلقه
ممن ظلم وبغى، أو تجبر وطغى، أو تعدى وغوى، فإن الله قادر على الانتقام
منه، لا يعجزه شيء أراد وقوعه، يقول للشيء كن فيكون في لمح الطرف.

فإنه قادر على نصر المسلمين وتمكينهم، وعلى إهلاك الكافرين وإذلالهم، لكن
لله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، والله تعالى جعل لكل شيء سببا وربط
الأسباب بمسبباتها، فمتى وجدت أسباب النصر، وجد
النصر والتمكين، وحصل إذلال الكافرين، ولكن الناظر في أحوال المسلمين
اليوم يجد أن أسباب النصر والتمكين غير متوفرة، بل إن أسباب الانهزام
وتسلط الأعداء هي الموجودة، فسلط الله الكفار على المسلمين بسبب
ذنوبهم، وبعدهم عن دينهم، وإن كان هناك صالحون وملتزمون بدينهم لكنهم
قلة قليلة بالنسبة لغيرهم، وإن المصائب إذا نزلت فإنها تعم الجميع فتكون
عقوبات للعاصيين وتمحيصات وابتلاءات للصالحين، قال تعالى: { ذَلِكَ وَلَوْ
يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ } [سورة محمد : 4]

ولكن مهما مكروا، ومهما تجبروا فإن الله لهم بالمرصاد، فلا تستعجلوا عليهم
فإن الله يمهّل ولا يمهّل، فقد أمهل الله أمما ودولا دهورا ثم أخذهم وكان عاقبة
أمرهم خسرا، وللكافرين أمثالها، فقد ذكروا عن فرعون أنه مكث في جبروته
وعتوه وغروره أربعمئة سنة ثم أخذه الله في لحظات، فلا تغتر دول الكفر
بقوتها، لا تغتر أمريكا وحلفاؤها بعدتها وعتادها، فقد أهلك الله من هم أشد
منهم قوة أثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها، وكانوا أشد منهم بطشا
فنبهوا في البلاد هل من محيص، لم تنفعهم قوتهم، إذ لم ينجوا من بطش ربهم.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ [سورة محمد : 10]

{ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا } قال السعدي رحمه الله أي: "ولللكافرين في كل زمان ومكان، أمثال هذه العواقب الوخيمة، والعقوبات الذميمة" اهـ

فلهم عبرة بديار المعذبين التي يمشون فيها ولا يتعظون بها، قال تعالى **{: أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ }** [سورة السجدة : 26]

ولله في تأخير العقوبات عن الكافرين حكمة بالغة، فمنهم من يستدرجهم ويملي لهم ثم يهلكهم في الدنيا قبل الآخرة، ومنهم من يؤجل عذابهم إلى يوم القيامة، حسب ما تقتضيه حكمته وعلمه بأحوال عباده، قال ربنا في كتابه الكريم: **{ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (182) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (183) }** [سورة الأعراف : 182 إلى 183]

فعقوبة الظالمين مؤكدة ولو بعد حين، وكل ما هو آت فهو قريب، قال تعالى: **{ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوَّلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ }** [سورة الأحقاف : 35]

وقال عز من قائل: **{ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128) }** [سورة طه : 127 إلى 128]

فسنة الله جارية في إهلاك المشركين، ووعيده ماضٍ إلى يوم الدين، إلا أن الله تعالى جعل لكل أمة منهم أجلاً مسمى ووقتاً معلوماً لا يتقدم ولا يتأخر حسب ما تقتضيه حكمته سبحانه وتعالى، قال الله في كتابه الكريم: **{ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا }** [سورة الكهف : 59]

وقال الله: **{ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (4) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (5) }** [سورة الحجر : 4 إلى 5]

فمهما أمن الكفار والمشركون من مكر الله ومهما مكروا بعباد الله، فإن الله لهم بالمرصاد، وهو خير الماكرين، قال عز من قائل: **{ أَفَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ }**

يَأْتِيهِمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا
ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ؟ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْخَاسِرُونَ (99) [سورة الأعراف : 97 إلى 99]

وقال الله: { أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } [سورة يوسف : 107]

وقال تعالى: { أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ
يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ } [سورة النحل : 45]

فقد أهلك الله من هو أشد منهم قوة ، كما قال سبحانه: { فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ
بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ } [سورة الزخرف : 8]

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: " { وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ } أي : جعلناهم عبرة
لمن بعدهم من المكذبين أن يصيبهم ما أصابهم ، كقوله في آخر هذه السورة
: (فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) [الزخرف : 56] . وكقوله : (سنت
الله التي قد خلت في عبادته) [غافر : 85] وقال : (ولن تجد لسنة الله
تبديلا) [الأحزاب : 62] .

وقال تعالى: { وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ
هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ } [سورة ق : 36]

قال المفسر السعدي رحمه الله: { فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ } أي: بنوا الحصون
المنيعية والمنازل الرفيعة، وغرسوا الأشجار، وأجروا الأنهار، وزرعوا،
وعمروا، ودمروا، فلما كذبوا رسل الله، وجحدوا آيات الله، أخذهم الله بالعقاب
الأييم، والعذاب الشديد" اهـ.

وقال ابن كثير في قوله : (هل من محيص) أي : هل من مفر كان لهم من
قضاء الله وقدره ؟ وهل نفعهم ما جمعوه ورد عنهم عذاب الله إذ جاءهم لما
كذبوا الرسل ؟ فأنتم أيضا لا مفر لكم ولا محيد ولا مناص ولا محيص" اهـ.

فهذه الآيات وغيرها تذكرنا بأن دول الكفر أمريكا وحلفاءها ليسوا بشيء
أمام أمم الكفر السابقة التي دمرها الله، وأن قوتها وجبروتها ليست بشيء أمام
قوة الله وجبروته، وليسوا بكرماء على الله حيث أمهلهم وأمدهم

بالنعم، فسيأتيهم اليوم الذي يظنون أنهم لم يتمتعوا في هذه الدنيا إلا ساعة من نهار بإذن الله العزيز الجبار، فلا تيأس أيها المسلم ولا تستعجل عليهم فإن دمارهم قريب بإذن الله لأنهم بلغوا في الظلم غايته، والاعتداء ذروته، والبغي عاقبته وخيمه.

ندم البغاة ولات حين مندم :::: والبغي مرتع مبتغيه وخيم

فقد روى أبو داود عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ ؛ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ "

قال ربنا في كتابه الكريم: { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوَّلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوْعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ } [سورة الأحقاف : 35]

وقد يمهلهم الله ليزدادوا إثمًا، كما قال تعالى: { وَلَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزًّا فِي الْآخِرَةِ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (176) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (177) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ ۚ إِنَّنا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (178) } [سورة آل عمران : 176 إلى 178]

ومن المؤسف أن بعض الجهلة من المسلمين صار يغتر بدول الكفر حتى صار يشك في أمرهم، بل وصل الحد ببعضهم إلى أنهم صاروا يفضلونهم على المسلمين! لما أمدهم الله به من النعم والأموال والأمن والتمكين، ولما ينالهم منهم من لعاعة الدنيا الزائلة.

يا مغفل: لا تغتر بما عندهم، إنما هو استدراج، قد يكون ذلك سببا لهلاكهم، فقد أهلك الله قبلهم من كان أشد منهم قوة وأكثر أموالا وتمكينا، فصاروا كأن لم يكونوا بالأمس، أما تقرأ القرآن؟ اقرأوا كلام الله وانظروا ماذا حل بالمكذبين والمشركين من الأمم الغابرة، أخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق، قال تعالى: { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا

وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
[سورة الروم : 9]

وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10) كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12) } [سورة آل عمران : 10 إلى 12]

فنأمل من الله أن يحل بكفار هذا الزمان مثل ما حل بأسلافهم المتقدمين من العذاب والنكال والدمار، كما أخبر الله في كتابه: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ أَمثَالُهَا ﴾ [سورة محمد : 10]

فإن الله يملئ للظالم ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر، قال سبحانه: { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (182) وَأُمْلِي لَهُمْ ۖ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (183) } [سورة الأعراف : 182 إلى 183]

ذكر الله في سورة هود جملة من الأمم الغابرة وما حل بها من العذاب والنكال الدنيوي ثم قال عقب ذلك: { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۚ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (100) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ۚ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (101) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (103) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (104) } [سورة هود : 100 إلى 104]

قال المفسر السعدي رحمه الله: ولما ذكر قصص هؤلاء الأمم مع رسلهم، قال الله تعالى لرسوله: { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ } لتتذرع به، ويكون آية على رسالتك، وموعظة وذكرى للمؤمنين. { مِنْهَا قَائِمٌ } لم يتلف، بل بقي من آثار ديارهم، ما يدل عليهم، { وَ } منها { حَصِيدٌ } قد تهدمت مساكنهم، واضمحلت منازلهم، فلم يبق لها أثر.

وروى البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ " . قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ : { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } .

فلنا عبرة بما حصل للأمم السابقة التي كفرت بربها وكذبت برسالتها، كيف أهلكها الله ودمرها، ونصر أوليائه وعباده الصالحين ومكنهم في الأرض، فاقروا أخبارهم في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتركوا متابعة أخبار القنوات الكاذبة، والتحليلات المرجفة، وارجعوا إلى القرآن والسنة الذين فيهما خبر ما قبلنا ونبأ ما بعدنا، ومن أحسن من الله قبيلاً؟ ومن أصدق من الله حديثاً؟ قال الله : { فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [سورة العنكبوت : 40]

فانظروا في كتاب الله ماذا حصل لقوم نوح حينما كذبوا نبيهم وسخروا منه، واقروا في القرآن ماذا حصل لعاد وثمود، قوم صالح وهود، وماذا حصل لفرعون وقوم شعيب، وغيرهم ممن أهلكهم الله، فإن الله عزيز ذو انتقام، وإن اليهود والنصارى، يعلمون بهلاك هذه الأمم، ولكنهم يتعاملون ويتغافلون، ومن مكر الله آمنون، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

قال رب العزة والجلال في محكم التنزيل : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (35) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (36) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا هُمُ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (37) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (38) وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَتَّبِعِرًا (39) وَلَقَدْ آتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (40) } [سورة الفرقان : 35 إلى 40]

وكان سبب هلاك تلك الأمم هو كفرهم بربهم، وشركهم به، وتكذيبهم لأنبيائهم عليهم السلام، كما أشركت اليهود والنصارى بالله معه غيره، فعبدت النصارى المسيح عليه السلام، فقالوا هو الله، ومنهم من قال هو ابن الله، ومنهم من قال ثالث ثلاثة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وعبدت اليهود عزيراً من دون

الله، ولا يزالون يعبدونهما إلى اليوم، قال الله عن النصارى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنَ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) } [سورة المائدة : 72 إلى 73]

وقال تعالى عن اليهود: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ} ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [سورة التوبة : 30]

وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وطعنوا فيه، وقد أخبرت كتبهم بنبوته، وبشرت رسلهم بخروجه في آخر الزمان فعرفوا فيه علامات النبوة، وأنه نبي هذه الأمة، فكتموا الحق وجحدوه حسدا للعرب أن جاء منهم، كما أخبر تعالى بقوله: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [سورة البقرة : 146] أي أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول حق لاشك في رسالته يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، إذ أن أوصافه موجودة في كتبهم، لكنه العناد والحسد أعمى أبصارهم وكتب الله عليهم الشقاء بسبب كبرهم وبغيهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

-الخطبة الثانية-

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إمام الأولين والآخرين، وسيد الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، تركنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتبعها إلا كل منيب سالك، جاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين من ربه، ما ترك خيرا إلا ودلنا عليه، ولا شرا إلا حذرنا منه، بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيقول ربنا في كتابه الكريم: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ۚ ﴾ [سورة محمد : 10]

قال العلامة المفسر السعدي رحمه الله: "أي: أفلا يسير هؤلاء المكذبون بالرسول صلى الله عليه وسلم، ﴿ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ فإنهم لا يجدون عاقبتهم إلا شر العواقب، فإنهم لا يفتنون يمنة ولا يسرة إلا وجدوا ما حولهم، قد بادوا وهلكوا، واستأصلهم التكذيب والكفر، فخدموا، ودمر الله عليهم أموالهم وديارهم، بل دمر أعمالهم ومكرهم، وللكافرين في كل زمان ومكان، أمثال هذه العواقب الوخيمة، والعقوبات الذميمة.

وأما المؤمنون، فإن الله تعالى ينجيهم من العذاب، ويجزل لهم كثير الثواب" اهـ.

فعلى المؤمنين أن ينتظروا عدل الله في اليهود والنصارى، ووعيده فيهم الذي لا يخلف، فأملنا بالله أنه سيدمر أمريكا ومن معها من الكفرة الفجرة، فإن الله على كل شيء قدير، وهو قادر على أن يرسل عليهم أحد جنوده التي لا يعلمها إلا هو، كما أرسلها على الأمم المكذبة قبلهم، فقد أرسل على قوم نوح الطوفان، وأرسل على قوم هود الريح الشديدة الباردة، وأرسل على قوم صالح وشعيب الصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة، وأرسل على قوم لوط حجارة من السماء وقلب عاليهم سافلهم، وسلط على فرعون وقومه البحر فأغرقهم فيه، وسلط على كفار قريش ويهود بني قريصة الملائكة، وسلط على يهود

بني النضير الرعب ،إذ قذفه في قلوبهم فأخرجهم من بيوتهم،وللكافرين أمثالها بإذن الله،ولليهود والنصارى في هذا الزمان أمثال هذه العقوبات وما ذلك على الله بعزیز،وماهي من الظالمين ببعيد،قال تعالى: **{ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ (82) مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (83) }** [سورة هود : 82 إلى 83]

فالواجب على المسلمين أن يرجعوا إلى ربهم، وأن يتمسكوا بدينهم،وأن يوحّدوا صفوفهم، وسيكون النصر حليفهم بإذن الله ربهم،ولعل تأخير العقوبة عن اليهود والنصارى بسبب ذنوب المسلمين،ولعل الله سلطهم علينا بسبب ذنوبنا،فإن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: **{ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }** [سورة الروم : 41]

وروى ابن ماجه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما،قال : أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : " يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلَنُوا بِهَا إِلَّا فُشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمَكِيلَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُنُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُصُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بِبَعْضِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ " .

وإن الناظر إلى حال المسلمين في هذه الأزمنة يرى هذه المعاصي التي ذكرت في الحديث في أوساطهم،إلا من رحم الله ،فهل من توبة وهل من أوبة،،فإن المعاصي قد ملأت السهل والجبل في بلاد المسلمين،إلا من رحم الله وعصمه الله،فالزنا موجود،وكذلك الربا والرشا واللواط والظلم والقتل وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام وسوء الجوار وغير ذلك،وأعظم من هذا وذاك الشرك بالله بأنواعه القولي والفعلي والاعتقادي والعملية،الخفي والجلي، الأصغر والأكبر وإلى الله المشتكى،بالإضافة إلى ترك الواجبات التي أوجبها الله عليهم أو التقصير فيها،فالمساجد فارغة وقت الصلاة، والأسواق مليئة وقت الجمعة والجماعات، والشباب نائمون وقت صلاة

الفجر، فمن أين سيأتي النصر يا عباد الله؟ وكيف سينصرون دين الله؟ كيف سينتصرون على أعدائهم وهم منهزمون أمام أنفسهم، فعلى المؤمنين أن يرجعوا إلى ربهم بالعبادات والطاعات وترك المعاصي والمنكرات، وعليهم أن يلهجوا بالدعاء لربهم وأن يتضرعوا بين يديه في أوقات الإجابة بقلوب خاشعة وبأعين دامعة وبكلمات خاضعة، بأن يهلك عدوهم من اليهود والنصارى وغيرهم، وأن يدمر ديارهم ويفسد أسلحتهم أو يجعلها غنيمة للمسلمين.

فالدعاء الدعاء يا عباد الله، لا تيأسوا فإن الله مجيب دعوة من دعاه ولو بعد حين لاسيما دعوات الصالحين، فإن الله يفرج عن البلدان الإسلامية والعالم الإسلامي بدعوات الصالحين، قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: "الدعاء سلاح الأقوياء والضعفاء، وملأ الأنبياء والأصفياء، وبه يستدفعون كل بلاء". هـ.

فقد مكث نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما فلم يؤمن معه إلا القليل فدعا عليهم فأهلكهم الله بالطوفان، ودعا موسى عليه السلام على فرعون وقومه فأغرقهم الله في البحر، ودعا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على قريش بسنين كسني يوسف فسلط الله عليهم الجوع والقحط حتى أكلوا الجلود والميتة، ودعا عليهم في غزوة بدر فقتل صناديدهم ورجعوا منهزمين يجرون أذيال الخزي والندامة، ودعا على الأحزاب في غزوة الخندق فرجعوا خائبين، وأمثال ذلك كثير من دعوات الصالحين التي دمر الله بها دولا وشعوبا، فلا تبخلوا بالدعاء يا عباد الله فإن أعجز الناس من عجز عن الدعاء، فقد روى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعجز الناس من عجز في الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام"

اللهم إنا نسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم يا منان، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرته في علم الغيب عندك، نسألك باسمك الأعظم الذي إذا دُعيت به أجبت، وإذا سُئلت به أعطيت، نسألك أن تدمر اليهود والنصارى وحلفاءهم، كما نسألك ألا تمتتنا حتى تقر أعيننا

فيهم، اللهم عليك بهم وبمن حالفهم وتعاون معهم ضد الإسلام والمسلمين، اللهم
فرق جمعهم، وشتت شملهم، ومزق صفوفهم، وأفشل خططهم، وخيب
مكرهم، ورد كيدهم في نحورهم، وزلزل الأرض من تحت أقدامهم، واجعل
بأسهم بينهم، ورد رصاصاتهم في نحورهم، اللهم عليك باليهود والنصارى
أجمعين، اللهم عليك بمن مكر بهذا الدين، اللهم عليك بمن اعتدى على
المسلمين، اللهم لا ترفع لهم راية، ولا تحقق لهم غاية، واجعلهم لمن خلفهم
عبرة وآية، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم، اللهم اجعل
لهم يوماً كيوم عاد، وفرعون ذي الأوتاد، وثمود الذين جابوا الصخر
بالواد، اللهم كن لهم بالمرصاد، يا قوي يا متين، والحمد لله رب العالمين.

خطبة بعنوان

[(تحذير أمريكا وحلفائها مما نزل من العقوبات بأسلافها)]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ }

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}

عباد الله:

اعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأن خير الهدى هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فإنه لا يخفى على إنسان ما بلغ بأمريكا وحلفائها من البغي والعدوان والظلم والطغيان، واستضعاف بني الإنسان، لا سيما أهل الإسلام، فقد طغوا عليهم ومكروا بهم مكرا كبيرا، تكاد من مكروهم تزول منه الجبال، حيث صاروا يتبححون بقوتهم، ويغترون بعدتهم، حتى نسوا قوة خالقهم، وأمنوا من مكر ربهم، وهذا مؤذن بزوالهم بإذن الله ربهم، فقد وصل باليهود والنصارى وغيرهم من المشركين من العتو والجبروت ما لا يخفى على أحد، حتى أنساهم ذلك قدرة الله وعذابه وأليم عقابه، ونسوا اليوم الذي سيرجعون فيه إلى الله، وظنوا أن قوتهم مانعتهم من عذاب الله، وفي هذا اليوم نذكر بعض ما حل بأسلافهم المشركين الذين كانوا على ما هؤلاء عليه من الكفر بالله والتكذيب لرسول الله، والأذية لأولياء الله، فليس هؤلاء بخير من أولئك، وليسوا بأكرم على الله حيث أمهلهم وأمدهم بالنعمة، قال الله { أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (43) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ (44) سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّثُونَ الدُّبُرَ (45) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (46) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (47) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (48) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (50) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُّدَكِّرٍ (51) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (52) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ (53) } [سورة القمر

: 43 إلى 53]

أي ليس كفار هذا الزمان من أمة محمد خير من كفار الأمم السابقة، بل سيحل بهم من الهلاك والدمار والعذاب ما حل بالأمم السابقة بإذن الله.

قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً (43) وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ (44) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (45) وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (47) ﴾ [سورة إبراهيم : 42 إلى 47]

فياليتهم يعتبرون بمن مضى من الأمم قبلهم، لكن الظالم ما يفيق إلا بعد أن يقع الفأس على الرأس، والله في ذلك الحكم البالغة والحجج الدامغة.

فلهم عبرة بما حل بقوم نوح عليه السلام حيث أهلكهم الله، فأغرقهم بالطوفان، إذ أرسل عليهم المياه من فوقهم ومن تحتهم، ونجى أهل السفينة المؤمنين، وفيها من كل زوجين اثنين، وجعلهم عبرة للمعتبرين وآية للمتبصرين، قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرَّسُولَ أَعْرَفْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِّلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [سورة الفرقان : 37]

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (9) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ (10) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مَُّنْهَمِرٍ

(11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ (14) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (15) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرٍ (16) { [سورة القمر : 9 إلى 16]

ولهم عبرة بعد قوم هود إذ كفروا بربهم وعادوا نبيهم، وقد كانوا ذا قوة وشدة، فكانوا يصنعون الحصون المشيدة ويظنون أنها تخلصهم، فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، قال تعالى: { أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) } [سورة الشعراء : 128 إلى 129]

فكانوا يتبجحون بقوتهم، ويتحدون نبيهم، ونسوا قوة الله الذي خلقهم، قال تعالى: { فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (15) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُنذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (16) } [سورة فصلت : 15 إلى 16]

فأرسل الله عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، أرسل عليهم ريحا شديدة البرودة مزعجة الصوت، فصاروا كأعجاز نخل خاوية، { سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ } [سورة الحاقة : 7]

وقال تعالى: { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (19) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (20) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرٍ (21) } [سورة القمر : 19 إلى 21]

ذكر بعض المفسرين أنه لم يرسل عليهم من الريح إلا كمثل الخاتم، ومع هذا أهلك الحارث والنسل وجعلتهم كما أخبر الله لا يرى إلا مساكنهم، فالله قادر على أن يرسل الريح على أمريكا وحلفائها فتدمر قصورها ورجالها وقواتها، وما ذلك على الله بعزيز، فينبغي على المسلمين أن يصبروا، وأن يراجعوا دينهم، وأن يدعوا الله بدمارهم، فإن الله سريع الحساب، وشديد العقاب، وهازم الأحزاب، فمهما تحزبوا على المسلمين فإن الله ناصرٌ

أولياءه، وحافظ دينه، فقد أرسل الله الريح على المشركين في غزوة الأحزاب فكفأت قدورهم وردهم الله بغيضهم منهزمين، وأنجى الله المؤمنين بإيمانهم وتوحيدهم ودعائهم، قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9) إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11) }** [سورة الأحزاب : 9 إلى 11]

إلى قوله تعالى: **{ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (25) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّن أَهْلِ الْكِتَابِ مَن صَيَّاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْثُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (27) }** [سورة الأحزاب : 25 إلى 27]

ونصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين في غزوة بدر وحنين وكذلك في غزوة الأحزاب فأيدهم بالملائكة، وإذا شاركت الملائكة مع المؤمنين فساء صباح المنذرين، قال الله يوم بدر: **{ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّثُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلِقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) }** [سورة الأنفال : 9 إلى 12]

وقال الله يوم حنين: **{ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۖ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۖ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26) }** [سورة التوبة : 25 إلى 26]

فإذا رجع المسلمون إلى دينهم وساروا على ما كان عليه سلفهم من الصحابة والتابعين فإن الله سيورثهم أرض أمريكا وحلفاءها وما معهم من أموال وقوات بإذن الله كما ورث الله نبيه وصحابته مشارق الأرض ومغاربها، ليس ذلك ببعيد، وما هو على الله بعزیز، ولا يعزب عنه شيء، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ولكن هذا الأمر يحتاج من المسلمين إلى عقيدة صحيحة وتوحيد قوي وتمسك بالسنة على منهج سلف الأمة فبذلك يسودون الأمم وتخضع لهم العرب والعجم.

-ولهم عبرة بثمود قوم صالح، فإن في قصتهم عبرة للمعتبرين، حيث أهلكهم الله لما كذبوا نبيهم وعقروا الناقة التي أرسلها الله إليهم آية، وقد كان عندهم من القوة العظيمة ما أخبر الله عنهم في كتابه أنهم كانوا ينحتون الجبال بيوتا، قال الله **{ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ }** [سورة الفجر : 9]

وكانوا قد أقسموا الأيمان المؤكدة أنهم سيغتالون صالحا وأهله ليلا، ثم ينكرون ذلك ويحلفون على صدقهم، فمكر الله بهم وقتلهم قبل أن يصلوا إليه، والله خير الماكرين، ثم أهلك الله من بقي منهم بعد ثلاث كما أخبرهم بذلك نبيهم عليه السلام، قال تعالى: **{ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (48) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49) وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (53) }** [سورة النمل : 48 إلى 53]

وكان صالح عليه السلام قد أمهلهم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب، فصاح بهم جبريل عليه السلام صيحة شديدة قطعت قلوبهم، وقيل صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة جعلتهم فرسى جاثمين لا حراك لهم.

قال الله: **{ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (66) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (67) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ (68) }** [سورة هود : 66 إلى 68]

ومن العقوبات التي أرسلها الله على قوم صالح الرجفة حيث زلزل الله الأرض من تحت أقدامهم، قال تعالى: **{ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ }** [سورة الأعراف : 78]

وبنفس العقوبة عاقب الله قوم شعيب عليه السلام حينما كفروا بربهم وكذبوا نبيهم ،وهي الرجفة والصيحة،قال تعالى:**{ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ }** [سورة هود : 94]

ذكر القرطبي رحمه الله في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما أهلك الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم صالح وقوم شعيب ، أهلكهم الله بالصيحة ؛ غير أن قوم صالح أخذتهم الصيحة من تحتهم ، وقوم شعيب أخذتهم الصيحة من فوقهم .فأصبحوا في ديارهم جاثمين أي ساقطين على وجوههم ، قد لصقوا بالتراب كالطير إذا جثمت"

ومن العقوبات التي أرسلها الله على قوم شعيب الرجفة وهي الزلزلة الشديدة،زلزل الله الأرض من تحت أقدامهم، قال تعالى: **{ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (90) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (91) }** [سورة الأعراف : 90 إلى 91]

وكذلك أرسل عليهم عذاب يوم الظلة،حيث أصابهم بالحر الشديد ثم جاءتهم سحابة فدخلوا يستظلون تحتها من شدة الحر فأرسل الله عليهم شررا من نار ، ولهبا ووهجا عظيما،قال تعالى: **{ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُم عَذَابُ يَوْمِ الظِّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ }** [سورة الشعراء : 189]،فاجتمعت عليهم ثلاث عقوبات:وهي الرجفة والصيحة وعذاب يوم الظلة.

-ولنا عبرة بمملكة فرعون أين ذهبت؟فقد كان عاقبة أمرها خسرا،وقد كان فرعون يقول: أنا ربكم الأعلى، وهذه الأنهار تجري من تحتي،وكان يقول إنه خير من موسى، وزعم أنه يهديهم سبيل الرشاد،ويحذرهم من موسى عليه السلام ومما يدعو إليه،كما أخبر الله عنه:**{ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ }** [سورة غافر : 26]

ففرعون -لعنه الله- كان يزعم أنه المصلح وموسى مفسد، كما يزعم اليهود والنصارى أنهم دعاة السلام في هذه الأمة، وأنهم شعب الله المختار، فقد أغرق الله فرعون وقومه في البحر بعد شدة مرت على قوم موسى عليه السلام، حيث كان يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ويستضعف رجالهم، فجعله الله عبرة للمعتبرين وآية للعالمين، فسبحان ذي القوة والجبروت الذي لا يعجزه شيء إذ يقول للشيء كن فيكون، فنسأل الله أن يرينا في أمريكا وحلفائها ما أرى موسى في فرعون وقومه، قال الله: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (68)﴾ [سورة الشعراء : 61 إلى 68]

-ونختم بقصة قري قوم لوط كيف دمر الله عليهم وأهلكهم وجعل عاليهم سافلهم، حيث أرسل جبريل عليه السلام فاقتلع قراهم بجناحه فرفعها إلى السماء ثم قلبها عليهم وأتبعهم الحجارة، وذلك أنهم كذبوا لوطا عليه السلام وآذوه في أضيافه، وكانوا يفعلون الفاحشة ويأتون الذكران دون النساء ولم يسبقهم بها أحد من العالمين، قال بعض السلف: "لولا أن الله تعالى ذكر خبرهم في القرآن، ما ظننا أن ذكرا يقع على ذكر" أو كما قال رحمه الله، ولذلك جاء في شرعنا أن الذي يعمل عمل قوم لوط يقتل الفاعل والمفعول به، وقال بعض أهل العلم: بل يرميان من شاهق مرتفع على رؤوسهما لأنهما قلبا سنة الله تعالى، قال الله عن قوم لوط: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (74) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزَوْا فِيهِ ۖ صَافِي ۖ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78)﴾ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من

حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَتَعَلَّمُ مَا نُرِيدُ (79) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ
(80) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ
الَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ
الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (82) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۚ وَمَا هِيَ
مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعْدٍ (83) { سورة هود : 74 إلى 83 }

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وسلم تسليما مزيدا.

أما بعد:

فيقول الله في كتابه الكريم: **{ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }** [سورة يوسف : 111]

فلنا عبرة في الأمم السابقة التي أهلكها الله بكفرها وظلمها وعتوها، وتكذيب رسلها، ممن قص الله علينا في القرآن ونبينا في السنة، فنأمل من الله تعالى ونرجوه أن يجعل لأمرينا وحلفائنا يوما كيوم قوم نوح، أو يوما كيوم قوم هود، أو يوما كيوم قوم صالح، أو يوما كيوم فرعون وقومه، كما نسأله تعالى أن يجعل لهم يوما كيوم قوم لوط بأن يمطر عليهم حجارة من السماء وأن يجعل عاليهم سافلهم، فإنهم قد فعلوا أفاعيل قوم لوط، وقد قال الله عنهم ومنذرا للظالمين أمثالهم: **{ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ (82) مَّسْوَمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ۚ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (83) }** الشاهد قوله: **{ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ }** أي أن هذا العذاب ليس ببعيد عن الظالمين أمثالهم، فإن دولة الكفر وأمريكا ومن معها ظالمون، قد فعلوا ما فعله قوم لوط وزيادة، وهي جريمة اللواط والدعوة إلى ذلك وتشجيع من فعل ذلك بالأموال والمغريات وحماية أصحاب هذه الجريمة ممن يتعرض له، وزادوا على قوم لوط بأن جعلوه زواجا مشروعاً وبعقود رسمية، وفرضوا العقوبات على من يعترض على ذلك أو يخالف، وكل هذا من أجل نشر الرذيلة في المجتمعات ومحاربة الفضيلة وإفساد الشباب ومحاربة سنة الله، إضافة إلى ما هم عليه من الشرك والكفر والظلم والطغيان واستضعاف الصالحين، والمكر بالمؤمنين، فنسأل الله أن يرينا فيهم عجائب قدرته، نسأل الله أن يرينا فيهم بطشه ونقمته، فليسوا خير منهم، وليس لهم عهد ولا ذمة، ليس كفار هذا الزمان خير من كفار ذاك الزمان، فكلهم كفار ومن

أحطاب النار، ومصيرهم واحد وهو الهلاك والدمار والعذاب الأليم بإذن الله الواحد القهار، بل كفار هذا الزمان ربما أشر من كفار تلك الأزمنة المتقدمة لأنهم كفروا بخير الرسل وكذبوه وسخروا منه واستهزؤا به حيا وميتا بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: **{ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (43) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ (44) سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الدُّبُرَ (45) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَبُ وَأَمْرٌ (46) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (47) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (48) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (50) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (51) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (52) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ (53) }** [سورة القمر : 43 إلى 53]

فمهما تجبرت أمريكا بقوتها وأعجبت بها، فإن قوة الله أعظم ولا مقارنة، فلو أراد الله إهلاكهم لأرسل عليهم من شاء من جنوده التي لا يعلمها إلا هو، فله جنود لا تقهر، سواء كانت من الملائكة أو الريح أو الطير أو الحشرات أو الرعب أو نحو ذلك من جنوده التي لا يحصيهم إلا هو، فوالله وبالله وتالله إن قوات أمريكا وحلفائها ما تستطيع أن تواجه ملكا واحدا من الملائكة، فلو أذن الله لجبريل عليه السلام لدمر دول الكفر كلها، بل قادر على أن يرفعها بجناحه إلى السماء ثم يقلبها عليهم كما فعل بقرى قوم لوط، ولو أرسل عليهم جزءا يسيرا من الريح لدمرتهم وأهلكتهم كما دمرت عاد، ولو شاء لقذف في قلوبهم الرعب فيستسلمون ويورث الله المسلمين أرضهم وديارهم كما حصل لليهود بني النضير، ولكن الله فيهم الحكيم البالغة، قد يبتلى بهم المسلمين، ويسلطهم عليهم بسبب ذنوبهم ليرجعوا إلى ربهم ويتمسكوا بدينهم، فما أصبر الله على الظلمة وما أحلمه على الفجرة، وقد جعل لهم يوما لا ريب فيه ولا مناص، فأين المفر. **{ كَلَّا لَا وَزَرَ (11) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12) }** [سورة القيامة : 11 إلى 12]

فيا هول مصيبة من يواليهم ويدافع عنهم، يا ويل من يتعاون معهم من الزنادقة والمنافقين ضد المسلمين، فالحذر الحذر -أيها المسلمون- من موالات الكافرين والمشركين، الحذر من موالات اليهود والنصارى وغيرهم، ثم الحذر الحذر من التشبه بهم في العادات والعقائد والعبادات، حاربوا أفكارهم وعاداتهم

وتقاليدهم قبل أن تحاربوهم بالسيف، وليحذر المسلمون الذين أقاموا في دولة الكفر أمريكا لغير ما ضرورة، وليحذروا من موالاتهم، فيخشى عليهم إن نزلت بهم العقوبات أن تأخذهم معهم، بسبب مخالطتهم، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَغْزُو جَيْشُ الْكُفَّةِ، فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ". قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَأُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: "يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ".

فلا يجوز لمسلم أن يقيم في بلاد الكفار إلا لضرورة غير متوفرة في بلده، فقد روى أبو داود عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ؟ قَالَ: "لَا تَرَأَى نَارَهُمَا". والمعنى لا يجوز لمسلم أن يسكن بجوار مشرك، بل يجب على المسلم القادر على الهجرة أن يهاجر من بلده الكافرة إذا لم يستطع إقامة دينه، فإذا كان يجب الخروج من بلاد الكفر، فكيف يجوز الدخول فيها؟، فقد قال الله في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ ۖ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98)﴾ [سورة النساء: 97 إلى 98]

فانظروا يا عباد الله: هذ وعيد في حق الذين أقاموا في بلادهم الكافرة ولم يهاجروا إلى ديار الإسلام، فكيف بمن يسافر إلى بلاد المشركين من المسلمين ويقيم فيها، فإن هذا نوع من مولاة المشركين؛ لأن مجالستهم ذريعة لمحبتهم وربما لمناصرتهم، فإن صاحب ساحب والمرء على دين خليله وجليسه، فاعتزوا بدينكم وببلادكم المسلمة ولن يضيعكم الله، فإنه مامن نفس منفوسه إلا وقد كتب الله رزقها، أيرزق الله أعداءه ويترك أوليائه؟! هذا لا يكون، وقد قال الله في كتابه الكريم: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سورة هود: 6]

وروى الترمذي عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا".

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، وسريع الحساب اهْزِمِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ، اللهم دمرهم تدميرا ولا تبق منهم صغيرا ولا كبيرا، اللهم إنا نجعل في صدورهم ونعوذ بك من شرورهم، اللهم عليهم بدولة الكفر أمريكا وحلفائها، اللهم مزقهم كل

ممزق، اللهم اجعل لهم يوما كيوم عاد، وفرعون ذي الأوتاد، اللهم كن لهم بالمرصاد، يا ذا القوة والجبروت.

خطبة جمعة بعنوان

[(لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة)]

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

عباد الله:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال "لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ". قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: "فَمَنْ".

ففي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، ومعجزة لنبينا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، حيث إنه وقع ما أخبر به حذو القذة بالقذة، فقد أقسم النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في هذا الحديث أن أمته سيتابعون اليهود

والنصارى شبرا بشبر وذراعا بذراع، فقال: **((التتبع سنن من كان قبلكم))** فاللام موطئة للقسم، حيث أقسم النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن كثيرا من أمته سيتابعون اليهود والنصارى في مناهجهم وفي عاداتهم وفي تقاليدهم وفي أعيادهم، وهذا هو معنى قوله **((سنن))** أي الطرق والمناهج **((التتبع سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه))** وفي رواية: **((ولو أن أحدهم جامع امرأته في الطريق لفعلتموه))**

وقوله: **((لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه))** الضب هو حيوان معروف كانت العرب تأكله، له بيت ضيق فيه ألوية ومداخل، فشبّه النبي صلى الله عليه وسلم متابعة المسلمين لليهود والنصارى ببيت الضب لنتنه وضيقه وصعوبته كناية عما يصدر من اليهود والنصارى من المخالفات والمعاصي الرذيلة، ومع هذا يوجد من المسلمين من يتابعهم ويحذو حذوهم ويقلد تقاليدهم ويعتاد عاداتهم ويحتفل بأعيادهم، **((حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن؟))** أي: فمن يكون غيرهم؟ فهم هم، و في رواية عند الحاكم: **((حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه))** فما بقي إلا هذا والعياذ بالله، فلو أن اليهود والنصارى جامعوا زوجاتهم في الشوارع لوجد من المسلمين من يجامع زوجته في الشوارع وفي الطرقات أمام الناس، تقليدا لليهود والنصارى، بل ويعتبرون ذلك تطورا، لأنه جاء عن اليهود والنصارى، لعن الله هذا التطور المزري بصاحبه المخالف للدين والعقل والفطرة السليمة.

فيا عباد الله: اعلموا أن أرذل الخلق وأن أشر الخلق وأن ألعن الخلق وأبعدهم عن الله تعالى لهم اليهود والنصارى، فقد ذمهم الله في كتابه وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولقد لعنهم وغضب عليهم ومسخهم قردة وخنازير، ومع هذا تجد كثيرا من المسلمين من يأخذ بعاداتهم وبتقاليدهم ويشيد بهم ويفتخر بهم ويثني عليهم، قال عز من قائل **{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا } أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ** [سورة البينة : 6]

وقال تعالى: **{ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ } ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** [سورة المائدة : 78]

وقال سبحانه: **{ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ }** [سورة المائدة : 60]

فمن هم أهل الكتاب يا عباد الله؟ إنهم اليهود والنصارى، فمن غيرهم؟ حكم الله عليهم بأنهم في النار خالدين فيها لا يخرجون منها، وحكم الله عليهم بأنهم شر البرية أي شر الخليقة، ومع هذا تجد من ضعفاء الإيمان من المسلمين، ومن أصحاب الأطماع الدنيوية، من يدافع عنهم ويثني عليهم ويقلدهم ويتشبه بهم نعوذ بالله من الخذلان، قال الله: **{ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ }** [سورة المائدة : 52]

{يسارعون فيهم} أي: يسارعون في مودتهم، وفي موالاتهم، ويسارعون في التشبه بهم وفي تقليدهم: **{ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ }** أي: تكون الدائرة والنصر لليهود والنصارى، فنواليهم ليكافئونا، وهذا من سوء ظنهم بربهم **{ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ }**

فقد روى الإمام أبو داود عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: **"ومن تشبه بقوم فهو منهم"** من تشبه باليهود والنصارى، وحذا حذوهم في عاداتهم وتقاليدهم فهو منهم، فمن تشبه بهم في العقائد أو في العبادات فهو منهم، أي: مشرك كافر، ومن تشبه بهم في المعاصي والمخالفات فهو مسلم عاصي. والحديث ينص على أن التشبه هنا يكون بالمعاصي: **"لتتبعن سنن من كان قبلكم"**: أي في المخالفات والمعاصي وليس بالكفر، قاله الإمام النووي رحمه الله تعالى، لكن لو وجد من يتشبه بهم في العقائد والعبادات فاعتقد عقائدهم في أن عيسى وعزيرا أبناء الله، أو أنهما أرباب من دون الله وعبدوهم من دون الله، أو اعتقد أن غير الله يستحق العبادة من دون الله، أو أن غير الله من الأنبياء والأولياء يتصرف في الكون أو ينفع ويضر من دون الله، أو أنه يجوز الدخول في دينهم، أو صحح مذهبهم، أو شك في كفرهم فهو مثلهم مشرك كافر، فمن المؤسف أنه يوجد من المسلمين من يتشبه باليهود والنصارى كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العقائد، وفي العبادات، وفي المعاملات وفي الأعياد

والمناسبات، وفي الملابس والاحتفالات، تشبهوا بهم تشبهاً كبيراً وتقليداً عريضاً، كما أخبر المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فإلى الله المشتكى، فقد تشبه كثير ممن ينتسب إلى الإسلام باليهود والنصارى في كثير من العقائد، فبدعة الرفض وبدعة التجهم وبدعة القدر، جاءت من اليهود والنصارى، بل صار لها أنصار ودعاة في أوساط المسلمين، فبدعة القدر: هي نفي علم الله المسبق، أخذت هذه العقيدة عن لبيد بن الأعمى اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم، فصارت فرقة القدرية تعتقد أن الله تعالى لا يعلم الشيء إلا بعد حدوثه وهذا كفر بالله رب العالمين، وبدعة سب الصحابة والغلو في آل البيت رضوان الله عليهم وتأليه علي رضي الله عنه، أخذت هذه البدع عن عبدالله بن سبأ اليهودي، وبدعة التجهم أخذت عن لبيد بن الأعمى اليهودي أيضاً، وهي تعطيل أسماء الله وصفاته، تعتقد هذه الفرقة أنه ليس لله أسماء ولا صفات، وهذا أيضاً كفر مخرج من الملة، فكل هذه العقائد الباطلة والبدع المنكرة جاءت عن اليهود والنصارى، فإن كل بلاء وشر في أوساط المسلمين لاشك أن مصدره الرئيسي اليهود والنصارى، فهذه عقائد كفرية، وهي نفي أسماء الله وصفاته، وأن الله تعالى لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها، تعالى الله عن ذلك، فإن صاحب الفطرة السليمة ولو كان عامياً يعتقد أن لله أسماء حسنى وصفات عليا، ويعتقد أن الله سبحانه وتعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها، بل قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، علمها، ثم كتبها، ثم شاءها، ثم أوجدها، ثم يأتي من ينتسب إلى الإسلام ويقول إن الله تعالى لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها! ويقول ليس لله أسماء وصفات! نعوذ بالله من هذا الضلال، هذا كفر بواح والعياذ بالله.

- ومن العقائد الباطلة عند المعتزلة أن الإنسان يخلق أفعاله، ولا علاقة لمشيئة الله بذلك، تعالى الله عن ذلك، فإنه لا يكون شيء في الوجود إلا بمشيئة الله تعالى، وإن كان للعبد مشيئة لكنها تابعة لمشيئة الله تعالى كما قال تعالى: **{ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (29) }** [سورة التكويد : 28 إلى 29]

بمعنى أن العبد إذا شاء شيئاً فإنه لا يقع إلا إذا شاءه الله، وإذا لم يشأه الله فإنه لا يقع.

الشاهد: أن هذه بدع وعقائد باطلة جاءت من اليهود والنصارى أخذها بعض المسلمين منهم واتخذوها ديناً، كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام: **"لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوِ الْقَذَةِ بِالْقَذَةِ"** فاحذروا اليهود والنصارى يا عباد الله وحذروا منهم، فقد حذر الله منهم في كتابه وحذر منهم نبيه صلى الله عليه وسلم في سنته، واحذروا المقلدين لهم والمتشبهين بهم، والداعين إلى مناهجهم، والمساارعين إلى مودتهم فإنهم كثر لا كثرهم الله.

-ومن التشبه بالكفار الأخذ بالديموقراطية، وما أدراك ما الديموقراطية؟ إنها: (حكم الشعب نفسه بنفسه) فمن أين جاءت؟ ما جاءت إلا من اليهود والنصارى لمحاربة شرع الله وتفكيك المسلمين فهل من مدكر؟

نظام الديموقراطية -يا عباد الله- هو أن الشعب هو الذي يحكم نفسه بنفسه ويستغني عن الشرع، وتفرع عن الديموقراطية الحزبية التي فرقت المسلمين إلى شذر مذر، **{ كل حزب بما لديهم فرحون }** كل حزب يظن أنه المحق وغيره هو المبطل، وعند المحاqqة كلهم على باطل، خالفوا الصراط المستقيم، وسلخوا السبل التي فرقتهما عن سبيل الحق، وأخلوا بالإخوة الدينية، فصار كل حزب يكيد للحزب الآخر، وصار المسلم يقتل أخاه المسلم بحجة أنه ليس في حزبه، فمن أين جاء هذا البلاء يا عباد الله؟ أليس من اليهود والنصارى؟ بلى فإن الله تعالى يقول: **{ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32) }** [سورة الروم : 31 إلى 32]

{ولا تكونوا من المشركين} قال المفسر البغوي رحمه الله: "هم اليهود والنصارى" اهـ.

وقال الله: **{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }** [سورة الأنعام : 159] قال المفسر البغوي رحمه الله في قوله تعالى: **(وكانوا شيعا)** أي : صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي وقيل : هم أصحاب البدع والشبهات من هذه الأمة " اهـ وتفرعت عن الحزبية الانتخابات والمظاهرات وكلها جاءت من اليهود والنصارى لتمزيق الشعوب الإسلامية وخروج المسلمين على أولياء أمورهم، أما هذه فقد أهلك الحارث والنسل، وفتكت بالمسلمين فتكا، والواقع

خير شاهد ولا يستطيع أحد إنكار ذلك، استوردها المسلمون إلى بلادهم، وحصل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه"

قال النووي رحمه الله والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم .

ومما به تشبه المسلمون باليهود والنصارى الاحتفالات بأعيادهم، كعيد السنة الجديدة وعيد العمال وعيد الأم، والاحتفال بيوم الزواج من كل سنة، والاحتفالات بأيام الموالد، حتى الاحتفال بعيد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم هو من قبيل التشبه بالنصارى بعيد ميلاد المسيح عيسى عليه السلام، أحدثه الفاطميون في القرن الرابع حينما رأوا النصارى يحتفلون بعيد ميلاد المسيح، ومعلوم من الدين بالضرورة أنه لا يوجد في دين الإسلام غير أعياد ثلاثة، وهي عيد الفطر وعيد الأضحى ويوم الجمعة، هذه هي أعياد المسلمين، فلا يجوز الاحتفال بغيرها، فالاحتفالات بغير هذه الأيام الثلاثة بدعة منكرة، وهي مما غرانا به اليهود والنصارى وأدخلوا في ديننا ما ليس منه، فقد صار بعض الحمقى والمغفلين من المسلمين يحتفلون برأس السنة الميلادية الجديدة، ولم يعلموا أن ذلك الاحتفال هو احتفال بعيد ميلاد الرب عند النصارى وهو عيسى عليه السلام، فهل لهؤلاء من عقول .

-ومن الخرافات والبدع التي جاءت من النصارى في الزواج خرافة الدبلة، وهي إلباس العريس للعروسة هذه الدبلة عند الخطوبة، وذلك بأن ينزعها من أصبعه ويضعها في أصبعها، ويزعمون أنها سبب للمودة بين الزوجين، وهذه خرافة وتوَلَّ شَرَكِيَّة، فإن المحبة -يا عباد الله- لا تكون إلا من الله، فهو الذي يَهْبُها للزوجين ، قال الله في كتابه الكريم { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [سورة الروم : 21]

-ومن التشبه بالنصارى أخذ اللباس الأبيض للعروسة، وهو الفستان الأبيض ذو الذيل الطويل، هذا من تقليد النصارى وتشبه بهم، وأما التشبه باليهود والنصارى في الزينة فحدث ولا حرج لا سيما أيام الأعياد والأعراس، فما أكثر المتشبهين بالكفار، وما أكثر المتشبهات بالكافرات، فما

أكثر المخالفات في اللباس! فيا عباد الله لا بد أن نعتز بديننا، فإن العزة تكون في دين الله والأخذ بتعاليمه، لا بعادات وتقاليد الكفار، فإذا أردنا العزة فعلينا أن نأخذ بتعاليم الإسلام وأن نتزين بالزينة الشرعية، وهي ما تزين به رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وأن نتأسى بهم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم *** إن التشبه بالكرام فلاح.

قال ربنا في كتابه العزيز: **{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }** [سورة الأعراف : 31]

فيا عباد الله: ينبغي أن يكون المسلم بين يدي الله في أحسن زينة، كيف يناجي ربه في صلاته وهو يلبس الألبسة المزرية والمشينة لباس الكفار، ولا زينة أحسن من زينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي القميص أو الإزار والحية والعمامة، فلقد كانت زينة نبينا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وصحابته القمص أو الأزرق وإطلاق اللحي ولبس العمام، هذه هي التي ارتضاها الله لنبيه، هذه هي الزينة التي يحبها الله سبحانه وتعالى ويحبها رسوله صلى الله عليه وسلم، أما لبس البناتيل والكرفطة والقصات الغربية وحلق اللحي هذه من زينة اليهود والنصارى فلا يجوز التشبه بهم، فالقميص والحية زينة عربية أصيلة أقرها الإسلام، فلقد كان العرب عموماً يتزينون بالقمص والأزر واللحي، أما هذه الألبسة وهذه القصات ما عرفها المسلمون إلا عن طريق القنوات الفضائية، ثم استوردوها من الكفار، وبعضها جاءت عن طريق كثير من أبناء المسلمين الذين رحلوا إلى بلاد الكفر فجاءوا بهذه العادات المخالفة لشرع الله والله المستعان، **"لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذُوً الْقَذَى بِالْفَقْدَةِ، شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ"**

فهذا البنطال يا عباد الله ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا جاء عن الصحابة ولا عن التابعين ولا تابع التابعين إلى قرون قريبة، إنما جاء عن اليهود والنصارى، جاء عن العلمانيين، جاء عن المستشرقين، فأى زينة فيه؟ بل إنه يشين بصاحبه ويزريه، ويحجم عورته ويصفها لاسيما في الصلاة عند الركوع والسجود، والله تعالى أمر بأخذ الزينة الكاملة في الصلاة، ومن مفسد البنطال أنه ينزل على الكعبيين، وقد ثبت في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال: **"وما أسفل من الكعبيين من الإزار ففي النار"** وفي البنطال تشبه باليهود والنصارى، والنبي عليه الصلاة

والسلام يقول: " ومن تشبه بقوم فهو منهم " فيجب مخالفة اليهود والنصارى، فقد روى الإمام أحمد عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قال : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَشِيخَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ بِيضُ لِحَاهُمْ، فَقَالَ : " يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، حَمَرُوا وَصَفَرُوا، وَخَالَفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ " . قَالَ : فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَسَرَّوْنَ وَلَا يَأْتَرُونَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " تَسَرَّوْا وَائْتَرُوا، وَخَالَفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ " . الحديث.

-ومن التشبه باليهود والنصارى خلق اللحي، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخلق لحيته ولم يقصرها قط، وهكذا صحابته وتابعوه وتبع تابعيهم إلى أزمنة قريبة، بل حتى الآباء والأجداد فقد كانوا يطلقون لحاهم، حتى جاء هذا البلاء عن طريق القنوات والمستشرقين، وسافر بعض المسلمين إلى بلاد الكفر فرأوا الكفار يحلقون لحاهم فبادر أكثر المسلمين إلى حلقها، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإطلاق اللحية وإعفائها وأمر بمخالفة الكفار، والأمر يقتضي الوجوب، فعلى هذا لا يجوز حلق اللحية ولا تقصيرها، ويجب مخالفة الكفار، فقد روى البخاري ومسلم عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ: وَفَرُوا اللَّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ "

وروى مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " جُزُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللَّحَى، خَالِفُوا الْمَجُوسَ " . وجاء عند النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما : "أعفوا اللحي" وكلها تدل على وجوب إطلاق اللحية وعدم أخذ شيء منها.

وجاء نصرانيان من باذان إلى نبيينا صلى الله عليه وسلم قد حلقا لحاهما، فقال عليه الصلاة والسلام : "من أمركما بهذا؟" قالوا: ربي، أي باذان، فقال عليه الصلاة والسلام : "أما أنا أمرني ربي بقص شاربي وإعفاء لحيتي"

ولقد كان العرب يتباهون ويتفاخرون باللحي ويتزينون بها، فاللحية هي زينة الرجل، فما بال أكثر المسلمين تركوا هذه الزينة، وضيعوا هذه السنة، وكيف رغبوا عنها وقد جاءت عن نبيهم صلى الله عليه وسلم، أفغير سنته يبغيون؟ فمالهم كيف يحكمون؟ وقد ذكر الله اللحية في القرآن الكريم وأنها من صفات الأنبياء، قال عز من قائل عن موسى وهارون عليهما السلام: { قَالَ

يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي { [سورة طه : 94]

ولما جاءت موضحة العصر في اللحية الجديدة، وهي أن يحلقها من جوانبها ويجعلها طويلة مثل الفأس ترى كثيرا من أبناء المسلمين يسارعون إلى إطلاقها على الصفة المذكورة، ليس الله ولكن تقليدا للكفار، فإننا لله وإنا إليه راجعون، هذه والله مصيبة على المسلمين، كلما جاء شيء من الكفار سارع كثير من المسلمين إليه وتركوا السنة وراءهم ظهريا إلا من رحم الله، حينما كان إطلاق اللحية سنة عن نبينا صلى الله عليه وسلم زهد عنها كثير من المسلمين، ولما جاءت عن اليهود والنصارى بصفات معينة مخالفة للسنة سارع كثير من أبناء المسلمين إلى إطلاق لحاهم! أين اللحية التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم كاملة؟

صدق نبينا صلى الله عليه وسلم إذ يقول: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" الحديث.

-ومن التشبه باليهود والنصارى يا عباد الله هذه القصص الجديدة، وهذه الحلاقة المشينة، وهي أخذ الشعر من بعض جوانبه دون بعض، وهو القزع، وقد جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْقَزَعِ. قَالَ : قُلْتُ لِنَافِعٍ : وَمَا الْقَزَعُ ؟ قَالَ : يُحْلَقُ بَعْضُ رَأْسِ الصَّبِيِّ ، وَيُتْرَكُ بَعْضٌ.

وهذا هو المشاهد عند كثير من شباب المسلمين المماسيخ، الذين يسارعون في مشابهة اليهود والنصارى باللباس والحلاقة، فيأخذ بعض شعر رأسه من المقدمة أو من المؤخرة أو من الجوانب ويعتبرون ذلك تطورا والعياذ بالله، فلا بارك الله بتطور أحدثه الكفار، لا بارك الله بعمل يخالف السنة، وقد أحسن من قال:

إذا كان ترك الدين يعني تطورا ::::: فيا نفس موتي قبل أن تطوري

صار بعض الشباب اليوم يتفاخرون بهذه القصص، وهي تخالف الفطرة وتخالف السنة وتخالف الجمال، وتخالف الزينة الشرعية، فيا أيها المسلم: إن الله تبارك وتعالى أكرمك بهذا الشعر وأنت تهينه هكذا، وتشوه به، وتشبه بالكفرة والفسقة والفجرة، روى أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ ". ومن إكرامه

المحافظة على حسن منظره، فترَقَّعوا عن مشابهة الكفار يا شباب الإسلام، اعتزوا بدينكم، واعملوا بسنة نبيكم، لا تبتغوا العزة من غيركم: **{أَيَّبَتُّنَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا}** [سورة النساء : 139

[

فانتبهوا لأبنائكم يا أصحاب الفطرة السليمة، اتركوا شعورهم على ما هي عليه، ليكن حلق الشعر كله أو تقصيره كله من جميع جوانبه أو تركه كله، فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يطلق شعره إلى حذو منكبيه أو إلى حذو أذنيه، أما أخذ بعض الشعر وترك بعضه فهذا قزع منهى عنه، بل مشابهة لليهود والنصارى، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: **"ومن تشبه بقوم فهو منهم"**

ووصل الحد ببعض الناس إلى أن تشبه بالنساء، وصارت بعض النساء تتشبه بالرجال، نعوذ بالله من الفطر المنكوسة، ومن العقول المعكوسة فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ**".

فصار بعض الرجال من أبناء المسلمين اليوم يلبس لبس امرأة أو يمشي مشي امرأة، ويستعمل بعض الأشياء التي تخص النساء والعياذ بالله، وصارت بعض النساء المسلمات اليوم تتشبه بالرجال، في كثير من الأمر وقد لعن رسول الله المرأة المترجلة، فلا يجوز للمرأة أن تتشبه بالرجال ولو عند زوجها، فلا يجوز لها أن تلبس الألبسة الخاصة بالرجال ولو عند زوجها فهذا داخل في النهي، ولا يجوز للمرأة أيضا أن تتشبه بالنساء الكافرات في اللباس وفي العادات والتقاليد، فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء المتشبهات بالرجال، ولعن الرجال المتشبهين بالنساء، ونهى عن تشبه المسلم بالكافر، فصار كثير من المسلمين يتشبهون بالكافرين في لباسهم وكثير من عاداتهم، فلا تكاد تفرق بين بعض المسلمين وبين النصراني إلا باللون كالصفرة والبياض والسمرة ونحو ذلك، فتجد النصراني حليقا مقرّعا مبطلا مكرفتا، وهذا المسلم قد حلق لحيته ولبس الكرفته والبنطال وشعر رأسه مقرّع، فما تستطيع أن تفرق بين هذا المسلم والنصراني في المظهر والله المستعان، فلنتق الله يا عباد الله، ولنرجع إلى ديننا ولنعتز بسنة نبينا إذا أردنا أن يعزنا الله سبحانه وتعالى وينصرنا على أعدائنا، وإلا فالذلة والهوان

علينا، قال عمر الفاروق رضي الله عنه : "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أدلنا الله" نستغفر الله العظيم ونتوب إليه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

عباد الله ليكن من المعلوم لدى كل مسلم أن اليهود والنصارى هم ألد أعداء الإسلام، لا تظنوا أنهم يريدون لنا خيرا أبدا، لا تظنوا أنهم سيرضون عنا إن نحن تشبنا بهم أو واليناهم أو أخذنا بعاداتهم وتقاليدهم، بل إنهم يحاربوننا ليلا ونهارا، وقد أخبر الله عن حالهم معنا، ومن أصدق من الله قيلا حيث قال: **{ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ ۚ وَلَئِنَّ اتَّبَعْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ }** [سورة البقرة : 120]

فالذي يسارع في مودة اليهود والنصارى ويظن أنهم سيرضون عنه هذا مغفل، فإنهم لن يرضوا عنه حتى يكون يهوديا أو نصرانيا مثلهم، فيجب على كل مسلم أن يبغض اليهود والنصارى وأن يحارب عاداتهم وتقاليدهم، وأن يعمل بالسنة، سنة المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فإنها أشد عليهم من الصواريخ، ولذلك فإنهم يحاربون أهل السنة أكثر من غيرهم ويخافون منهم أكثر من غيرهم، ولن يفتروا عن حرب المسلمين حسيا ومعنويا، إما عن طريق القنوات والنت، والغزو الفكري والعادات الهدامة للقيم، والأساليب المفسدة للشباب، فإن أعظم أمانيتهم هو إبعاد المسلمين عن دينهم وعن سنة نبيهم، قال سبحانه وتعالى: **{ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }** [سورة البقرة : 109]

فالذي يبتغي العزة من اليهود والنصارى سيذله الله، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، يعز أوليائه الذين تمسكوا بدينه، ويذل أعداءه الذين عصوه، فبعض المسلمين يذهب يذل نفسه عند الكفار ليعيش في أوساطهم فيبتغي العزة عندهم أو يتكسب عندهم، وقد روى أبو داود عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ؟ قَالَ: "لَا تَرَأَى نَارَهُمَا" أي يجب الابتعاد عنهم حتى لا يراهم.

فالعزة يا عباد الله هي في دين الله، وفي العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبمخالفة سنن اليهود والنصارى وغيرهم من ملل الكفر، ليست العزة بالمال ولا بالجاه، وليست بالسلطان إنما العزة بالتمسك بكتاب الله وبسنة رسوله، العزة بتوحيد الله، وبإقامة شعائر الله، العزة بالمحافظة على الصلاة وبإقامة دين الله، العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فلا تغفلوا أن اليهود والنصارى يمكرون بالمسلمين ليلا ونهارا، وكثير من المسلمين يسارعون في مودتهم وفي موالاتهم ويتشبهون بهم ويثنون عليهم ويدافعون عنهم، بل بعضهم يفضلهم على المسلمين من أجل لعاعة الدنيا، فهذا على خطر عظيم، يخشى عليه من الكفر والعياذ بالله، يامسكين أولئك حطب جهنم، لأنهم يعبدون غير الله ويقولون عيسى وعزير ابن الله، ويطعنون في الله قالوا إن الله فقير وقالوا يد الله مغلولة، أما تقرأ القرآن؟! فلا تفضل الكفار على المسلمين، أخوك المسلم الموحد خير من الكفار كلهم بل لا مقارنة، فإن مسلماً واحداً، ولو كان عاصياً أو سارقاً أو خائناً خير من ملء الأرض من اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار؛ لأنه يقول: لا إله إلا الله ويحافظ على الصلاة، فليكن هذا في الحساب، وإن كانت هناك أخطاء عند بعض المسلمين لكنها لا تقارن بشركيات وكفريات اليهود والنصارى، ابذل النصيحة "الدين النصيحة" كما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام في مسلم عن تميم رضي الله عنه، فلا تغتر يامسلم بحسن معاملاتهم ونظافة شوارعهم وما عجل الله لهم من المتاع الزائل في الدنيا، ليست أعمالهم لله، وليس حسن تعاملهم مع الناس من أجل الله، فإن ذلك كله حرصاً منهم على الدنيا كما أخبر الله عنهم، قال تعالى: ﴿وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: 96]

فيا عباد الله: اليهود والنصارى يمكرون بنا وبديننا حتى على مستوى الأطفال فقد صمموا لهم لعبًا في الجوالات وبعض الأجهزة لتفسدهم فانتبهوا لأبنائكم، وهي لعبة البوبجي حيث أخذها الأغبياء منهم ولم ينتبهوا للمغزى منها، اللعبة الأولى وفيها صنم لا يفوز اللاعب حتى يسجد للصنم، فانظروا ياعباد الله كيف يريدون يربون أبناء المسلمين على الشرك بالله والسجود لغير الله، واللعبة الأخرى، صمموا فيها الكعبة والحرم المكي، ثم يأتي اللاعب وفي يده فأس يقتل المصلين حتى يخلص إلى الكعبة فيهدمها، هذه هي غاية أمانيتهم، وهي تهديم الكعبة المشرفة وقتل المسلمين ونزع حب البيت من قلوب أبناء المسلمين، لكن نقول لهم: هيهات هيهات، فإن الله سبحانه وتعالى قد حفظ بيته الحرام ولا يزال يحفظه إلى ما شاء الله، وحفظه من إبرة الحبشي وقصمه الله وأهلكه كما ذكر الله في سورة الفيل، وحفظه من كل جبار عنيد، فكل من أراد بيت الله بسوء قصمه الله، وقد أهلك الله أيضا تبع الأول حينما أراد بسوء، وأهلك تبع الثاني، وأراده تبع الثالث بسوء فسلط الله عليه مرضا أعجز الأطباء، فجمع العلماء والرهبان فقال له أحدهم لعلك أردت البيت بسوء، أرجع عن نيتك فإنه لا سبيل لك إلى هذا البيت، فأصلح نيته وخدم البيت فعافاه الله ورفعته بخدمة البيت الحرام، فإن الله سبحانه وتعالى سماه البيت العتيق؛ لأن الله أعتقه من الجابرة، فكل من أراد بسوء أهلكه الله، هذا لتعلموا مكر اليهود والنصارى بدين الإسلام، فهم يريدون أن يجتثوا الإسلام من جذوره، ويريدون أن يجتثوا عقيدة المسلمين من قلوبهم، ولا يخفى عليكم ماذا يصنعون بإخواننا في فلسطين من القتل والتشريد والتدمير، ما رحموا حتى الأطفال والنساء، فماذا تريدون بعد هذا، أفيقوا من غفلتكم يا أيها المسلمون، فلا تتشبهوا بهم ولا تعتزوا بأنظمتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ولا تعجبوا بأموالهم وثرواتهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا والآخرة كما أخبر الله في كتابه، ونختم بهذا السؤال، هل قد تشبه اليهود والنصارى بعادة من عادات المسلمين أو احتفلوا بعيد من أعيادهم؟ الجواب لا، فمابال كثير من المسلمين يسارعون بالتشبه بهم ويحتفلون بأعيادهم؟ فمن تشبه بقوم فهو منهم.

وختاما نعيد قراءة حديث خطبتنا الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: "لَتَتَّبِعَن سَنَنُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ

دخلوا جحر ضب لدخلموه قالوا اليهود والنصارى يا رسول الله؟ قال: **"فمن"** أي: نعم هم هم فمن يكون غيرهم؟ فحصل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من متابعة اليهود والنصارى والتشبه بهم حذو القذة بالقذة إلا من رحم الله وثبته الله.

اللهم أهلك اليهود والنصارى، اللهم عليك باليهود والنصارى والصليبيين والعلمانيين والشيوعيين، وأعوانهم من المنافقين، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللهم من أراد بنا وبديننا كيذا فاجعل كيده في نحره، واجعل تدبيره في تدميره، يا قوي يا متين، اللهم ردنا إلى دينك ردا جميلا، اللهم أصلح الراعي والرعية، اللهم ارحم الأمة المحمدية، برحمتك يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الثاني

خطب أهم الغزوات

وهي كالتالي

١- غزوة بدر الكبرى

٢- غزوة أحد

٣- غزوة الأحزاب (الخندق)

٤- غزوة بني قريظة وبني قينقاع وبني النضير

٥- غزوة الفتح

٦- غزوة حنين

خطبة بعنوان

[(دروس وعبر من غزوة بدر الكبرى)]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [سورة النساء : 1]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) }
سورة الأحزاب : 70 إلى 71

عباد الله:

اعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأن خير الهدى هدى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فحب في هذا اليوم أن نذكر أنفسنا وإياكم بمشهد عظيم من مشاهد الإسلام العظام، وهو يوم الفرقان الذي فرق الله به بين الإسلام والكفر، وبين الحق والباطل، فأعز الله به الأسلام وأهله، وخذل الشرك وأهله، هذا اليوم نصر الله فيه المسلمين، ووقع شوكة المشركين، وهو أعظم يوم حصل فيه نصر للإسلام والمسلمين، وانهزم فيه المشركون، وهو يوم بدر الذي وقع فيه غزوة بدر الكبرى.

وقد كان سبب هذه الغزوة أنه في شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوم قافلة عظيمة من عير قريش عليها أموال كثيرة بصحبة سفيان بن أبي حرب جاءت من الشام، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه للخروج إليها، وأخذها بمقابل أموالهم التي نهبها المشركون في مكة وديارهم التي أخرجوهم منها، وأيضاً هذه الأموال معدة لمحاربة الإسلام وأهله، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم الاعتراض لها وأخذها، فخرج بثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ممن كان ظهره حاضراً فخرجوا غير مستعدين لقتال، فبلغ الخبر أبا سفيان فحول طريقه وأرسل إلى المشركين لحماية القافلة فنجت عير أبي سفيان، فتجهز المشركون لقتال المسلمين، فأرسل أبو سفيان إلى المشركين أن يرجعوا فإن القافلة قد نجت، فأبى المشركون إلا أن يقاتلوا المسلمين ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وقد خرج المسلمون غير مستعدين لقتال، وإنما أرادوا القافلة وأراد الله ما هو خير من ذلك وهو النصر والشوكة لهم ليعلي كلمته ويعز أهل طاعته ويذل أهل معصيته، فخرج المشركون بألف مقاتل يأكلون الجزور ويشربون الخمر وتغني لهم الجوارى يريدون اجتياح المسلمين واستئصالهم، ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بخروج قريش لقتالهم، شاور أصحابه في القتال، فكره بعضهم القتال؛ لأنهم لم يعدوا للحرب عدته، وإنما أرادوا القافلة التي ليس فيها قتال، فلم يكن معهم إلا فرسان وسبعون بغيراً يتعاقبون عليها، ولم يعلموا أن المدد سيأتيهم من السماء بقيادة جبريل عليه السلام، وجرى بينهم

وبين النبي صلى الله عليه وسلم جدال وأبى الله إلا أن تلتقي الطائفتان ليحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، كما أخبر الله في سورة الأنفال، قال تعالى: { كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (6) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8) } [سورة الأنفال :

5 إلى 8]

وروى مسلم عن أنس، رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر، فأعرض عنه، ثم تكلم عمر، فأعرض عنه، فقام سعد بن عباد، فقال: إيانا تريد يا رسول الله، والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا. قال: فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، فأنطلقوا حتى نزلوا بدرًا ووردت عليهم روايا فريش" أي: إبلهم التي كانوا يستقون عليها.

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هذا مصرع فلان ". قال: ويضع يده على الأرض هاهنا هاهنا، قال: فما ماط⁽³⁾ أحدهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وروى مسلم عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيسة عينا ينظر ما صنعت غير أبي سفيان، فجاء وما في البيت أحد غيري، وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: لا أدري ما استثنى بعض نسايه - قال: فحدثه الحديث، قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكلم، فقال: " إن لنا طلبة⁽⁴⁾، فمن كان ظهره حاضرا فليركب معنا ". فجعل رجال يستأذنونهم في ظهرانيهم⁽⁵⁾ في علو المدينة، فقال: " لا، إلا من كان ظهره حاضرا ". الحديث

3-أي:فما تباعد

4-أي:مطلوب وحاجة

5-الظهر: الإبل التي يحمل عليها وتركب.

ثم شاور نبي الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج فأشاروا عليه بذلك، لا سيما الأنصار رضي الله عنهم فإنما كان يريد مشورتهم؛ لأنهم هم أهل البلد الذين آووا ونصروا، فقد روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال : اسْتَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْرَجَهُ إِلَى بَدْرٍ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ اسْتَشَارَ عُمَرَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ عُمَرُ، ثُمَّ اسْتَشَارَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ : إِيَّاكُمْ يُرِيدُ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ قَائِلُ الْأَنْصَارِ : تَسْتَشِيرُنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ إِنَّا لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ ضَرَبْتَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغَمَادِ "

فَسَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَفَاعُلِ الْأَنْصَارِ فَإِنَّمَا كَانَ يَرِيدُ مُوَافَقَتَهُمْ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ آوَوْهُ فِي الْمَدِينَةِ وَنَصَرُوهُ ثُمَّ بَشَرَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِالسَّيْرِ عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ، وَقَدْ بَشَرَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ وَعْدَهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ لَكَايَ أَنْظِرَ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالْأَمْسِ، يَقُولُ : " هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ "، قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَأُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ : فَجْعَلُوا فِي بَنَرٍ، بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَاَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ، فَقَالَ : " يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ؛ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا ؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا ". قَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا ؟ قَالَ : " مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا ".

ومنهم أولئك الطغاة الذين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام وهو يصلى حتى بلغ بهم الأذى أن وضعوا سلى الجزور على رقبته الشريفة وهو ساجد فأماطته عنه ابنته فاطمة رضي الله عنها ثم رفع رأسه فدعى عليهم: قَالَ : " اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ". ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمْ الضَّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ : " اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ". وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَى صَرَغِي يَوْمَ

بَدْرٍ، ثُمَّ سَحَبُوا إِلَى الْقَلْبِ (6) قَلْبِ بَدْرٍ. رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ففي هذه المعركة خرجت قريش بطرا ورناء الناس لم يتخلف أحد من كبرائهم وأشرفهم، أخرجهم الله عزو وجل لشيء أراده، إلا أبو لهب فقد أخرج رجلا آخر كان له عليه دين، وحشدوا قبائل العرب لم يتخلف منهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي فإنهم لم يخرجوا.

فجمع الله بينهم وبين المسلمين على غير ميعاد كما قال تعالى: **{ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِ الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ }** [سورة الأنفال : 42] ، والعدوة الدنيا : هي عدوة الوادي القريبة من المدينة، والعدوة القصوى : هي عدوة الوادي البعيدة من جهة مكة، والركب هي عير قريش التي خرجوا لطلبها.

ورجع بعض القوم من قريش حينما علموا أن القافلة قد نجت، وأبى أبو جهل أن يرجع حتى يرد ماء بدر فيقيم فيها ثلاثا يشربون الخمر وتغنيهم القيان وتهابهم العرب، فأنزل الله مطرا غزيرا حال بين قريش وبين ماء بدر، كان هذا المطر نعمة عليهم ونعمة للمؤمنين حيث مهد لهم الأرض ولبدها، فثبت الله به أقدامهم وربط على قلوبهم، وأرسل عليهم النعاس ليذهب عنهم الخوف والوجل ويورثهم الأمن والطمأنينة.

فبات رسول الله صلى عليهم وسلم يصلي ليلة بدر إلى أصل شجرة ويدعو ربه ويتضرع بين يديه ماذا يديه إلى السماء مستقبلا القبلة، فهكذا ينبغي على المسلمين أن يعمدوا إلى هذا السلاح القوي الذي غفل عنه كثير من المسلمين، فإن النبي صلى الله عليه وسلم شهد بدرا بغير عدة ولا عتاد لكنه عمد إلى أقوى سلاح وهو الدعاء والإيمان والتوكل على الله والثقة بنصره.

فقد روى مسلم عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ

⁶وهي بئر في بدر

مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ : " **اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي**، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تَعْبُدْ فِي الْأَرْضِ ". فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَاذَا يَدَّيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقُبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِذَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِذَاءَهُ، فَأَلْفَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبِّكَ ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : **{ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ }**، فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ.

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ : " **اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ**، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تَعْبُدْ بَعْدَ الْيَوْمِ ". فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ : حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَلَحَّحْتَ عَلَى رَبِّكَ. وَهُوَ فِي الدَّرَجِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ : **{ سِيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبْرَ }** **{ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ }**.

وروى أبو داود عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَخَمْسَةِ عَشَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ حَفَاةٌ فَاحْمِلْهُمْ**، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ عَرَاةٌ فَانْكُسْهُمْ، اللَّهُمَّ **إِنَّهُمْ جِيَاعٌ فَاشْبِعْهُمْ** ". فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَانْقَلَبُوا حِينَ انْقَلَبُوا وَمَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ رَجَعَ بِجَمَلٍ أَوْ جَمَلَيْنِ، وَاكْتَسَوْا وَشَبِعُوا.

ومن العجائب أن كفار قريش استفتحوا واستنصروا الله على المسلمين ودعوا الله بهلاك نبيينا صلى الله عليه وسلم، وهذا هو شأن كل مبطل أنه يزعم أنه المحق ويدعو الله على أهل الحق، فرد الله عليهم، **{ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ }** [سورة الأنفال : 19]

قال ابن كثير: " يقول تعالى للكفار (**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا**) أي : تستنصروا وتستقضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين ، فقد جاءكم ما سألتكم ، كما قال محمد بن إسحاق وغيره ، عن الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير ؛ أن أبا جهل قال يوم بدر : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا

بما لا نعرف فأجنته⁽⁷⁾ الغداة - وكان ذلك استفتاحا منه - فنزلت : (**إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح**) إلى آخر الآية .

ثم التقى جيش الرحمن وجيش الشيطان، وجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وعدل صفوفهم، وصار يحرض أصحابه على القتال ويعددهم بجنة عرضها السماوات والأرض، فهكذا ينبغي على القائد أن يعلق المجاهدين بالله وبما عند الله وأن يقاتلوا في سبيل الله وألا يقاتلوا من أجل دنيا ولا من أجل مناصب ولا حمية ولا من أجل قومية كما هو حال كثير من المسلمين في هذه الأزمنة، فإن الذي ينبغي على المسلمين أن يقاتلوا من أجل دين الله لتكون كلمة الله هي العليا، فلما علق النبي صلى الله عليه وسلم صحابته بالله ووعدهم بما عند الله ثبتوا وقاتلوا وتمنوا الشهادة، فكان الواحد منهم في أول الأمر يجب عليه أن يثبت أمام عشرة من المشركين ولا يفر، ثم نسخ ذلك الحكم فخفف الله عنهم فجعل الواحد بنسبة الاثنين من المشركين، أي يواجه رجلين منهم، قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۖ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۖ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65) } الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۖ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۖ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (66) }** [سورة الأنفال :

65 إلى 66]

فطلب نفر من المشركين المبارزة فتقدم لهم فتية من الأنصار رضي الله عن الأنصار، فأبى المشركون إلا أن يبارزوا رجالا من المهاجرين، فقد روى أبو داود عن علي رضي الله عنه قال : تَقَدَّمَ - يَعْنِي عُثْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ - وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ، فَنَادَى : مَنْ يُبَارِزُ ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ، إِنَّمَا أَرَدْنَا بَنِي عَمِّنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عَلِيٌّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ ". فَأَقْبَلَ حَمْزَةُ إِلَى عُثْبَةَ، وَأَقْبَلَتْ إِلَى شَيْبَةَ، وَاخْتُلِفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ، فَأَخْخَنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، ثُمَّ مَلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ، وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَةَ.

7-أي: اقتله.

فكانت هذه أول نكسة للمشركين، إذ قُتل ثلاثة فرسان من قاداتهم في أول مبارزة، وقويت معنوية المؤمنين، ثم ابتهل النبي صلى الله عليه بالدعاء وجاء النصر، ونزلت الملائكة وشاركت في المعركة فساء صباح المنذرين، قال تعالى: **{ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ }** [سورة الأنفال : 12]

وقال تعالى: **" { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ }** [سورة الأنفال : 9]

وروى مسلم وأحمد عن أنس رضي الله عنه قال: "...فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ ". فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ". قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: " نَعَمْ ". قَالَ: بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ؟ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: " فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا ". فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ⁽⁸⁾، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْنُ أَنَا حَبِيبٌ حَتَّى أَكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ، حَتَّى قُتِلَ.

وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاً من الحصى بيده، ثم خرج فاستقبل القوم فقال: **" شَاهَتِ الْوُجُوهُ⁽⁹⁾ "** ثم نفحهم بها، فلم يبق مشرك إلا دخل شيء من ذلك التراب والحصى إلى عينيه، ثم قال لأصحابه: **" احمِلُوا "**. فلم تكن إلا الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديدهم، وأسر من أسر منهم، وأنزل الله في ذلك: **{ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17) ذَلِكَ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ (18) }** [سورة الأنفال : 17 إلى 18]

⁸-أي جعبته.
⁹أي قبحت.

وقوى الله عزائم المؤمنين بتقليل المشركين في أعينهم لقيضي الله أمرا كان مفعولا، قال الله: **{ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقَيْنُمُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا } وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ** [سورة الأنفال : 44]

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، معز جنده، وناصر عبده، وهازم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره، وبعد:

ففي غزوة بدر الكبرى أحق الله الحق، وأبطل الباطل، وأعلى كلمته، وأظهر دينه، ونصر أوليائه، فأيدهم بجنود لا تقهر، وأمدهم بمدد من السماء، والله جنود السماوات والأرض لا يحصيهم إلا هو، فقد ذكر ابن كثير في السيرة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم خفق [خفقة] وهو في العريش، ثم انتبه فقال: " أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع " يعني الغبار. قال: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم وقال: " والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة "

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: " هَذَا جِبْرِيلُ أَخَذَ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ ".

فالملائكة شاركت في قتال المشركين يوم بدر فكان المشرك يسقط على الأرض قبل أن يضربه المسلم، كما عند مسلم من حديث ابن عباس رضي

الله عنهما قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَسْتَنُذُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ : أَقْدِمْ حَيْرُومٌ⁽¹⁰⁾ . فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ، فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشَقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَأَخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : " صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ " . فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسْرَوْا سَبْعِينَ، .. "الحديث

وذكر ابن كثير في السيرة النبوية أيضا عن رجل من الأنصار أنه جاء بالعباس بن عبد المطلب أسيرا، فقال العباس: يا رسول الله الله إن هذا ما أسرنى، لقد أسرنى رجل أجليح من أحسن الناس وجها على فرس أبلق ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله. فقال: " اسكت، فقد أيدك الله بملك كريم " .

وقال أبو داود المازني- وكان شهد بدرا- : إني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع على رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري.

فهزموهم بإذن الله فانقلبوا هاربين فتبعهم المسلمون يقتلون منهم ويأسرون وغنموا أموالهم، فلهذا الأمر من قبل ومن بعد ، وكان ممن قُتل من صناديدهم الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة أبوجهل وشيبة وعتبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وأممية بن خلف، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرُموا في بئر خربة خبيثة هم ومن معهم من صناديد قريش وعددهم أربع وعشرون رجلا فناداهم وقرعهم وبكتهم: " فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ، وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ : "يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، أَيْسَرُكُمْ أَنْتُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؟ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟" قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ " . قَالَ قَتَادَةُ : أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيحًا، وَتَصْغِيرًا، وَنَقِيمَةً، وَحَسْرَةً، وَنَدَمًا. رواه البخاري عن أبي طلحة رضي الله عنه.

10-حيزوم فرس الملك.

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسرى والغنائم، فقسم الغنائم وحصل نزاع فيها فأنزل الله في ذلك: **{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }** [سورة الأنفال : 1]

وقال تعالى: **{ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }** [سورة الأنفال : 41]

وأما الأسرى فقد استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فأشار أبو بكر بأن يأخذ منهم الفدية لتكون للمسلمين قوة على الكفار ولعل الله يهدي هؤلاء الأسرى، وأما عمر فأشار عليه بقتلهم وقال أرى أن تمكننا من رقابهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى رأي أبي بكر، فنزل القرآن معاتباً له ومؤيداً لرأي عمر رضي الله عنه، قال تعالى: **{ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ ۚ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (69) }** [سورة الأنفال : 67 إلى 69]

وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : فَلَمَّا أُسِرُوا الْأَسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ : " مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى ؟ " فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَابِ ؟ " قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا، فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلَيْنَا مِنْ عَقِيلٍ، فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَيْمَةُ الْكُفْرِ، وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ جُنْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ بَيْنَكِيَانِ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءَ بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءَ تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" **أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخَذِهِمُ الْفِدَاءَ ؛ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَذْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ** ". شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : **{ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ }**. إِلَى قَوْلِهِ : **{ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا }**. فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ.

فلقد كانت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ملهما ،وقد شهد له نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك،فقد وافقه القرآن في مواضع، منها هذه الموضع،وقد روى مسلم عن **عَائِشَةَ** ،رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : " قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأَمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ ". قَالَ ابْنُ وَهْبٍ : تَفْسِيرُ مُحَدَّثُونَ مُلْهُمُونَ.

انتهت الغزوة بنصر المسلمين وانهزام المشركين ونكستهم،على قلة عدد المسلمين وعدتتهم،وكثرة المشركين وكثرة عتادهم،ليدلنا هذا على أن النصر ليس بالكثرة، وأن الانهزام ليس بالقلة،وإنما النصر من عند الله العزيز الحكيم، بالإيمان والتوحيد والعقيدة الصحيحة وبفعل الطاعات وترك المعاصي والمحرمات،قال تعالى: **{ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }** [سورة آل عمران : 123]

فصارت قبائل العرب من حول المدينة تهاب المسلمين بعد وقعة بدر، وأظهر كثير منهم الإسلام وأبطنوا الكفر خوفا على دمائهم وهم المنافقون والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وهنا تنبيه:

كون المسلمين انتصروا مع قلة عددهم وعتادهم وعدم استعدادهم،لا يعني هذا أن المسلمين يتهورون في خوض الحروب بدون استعداد،فإن الله تعالى لم يأذن لنبيه صلى الله عليه وسلم بالحرب في مكة حال ضعفهم حتى هاجروا إلى المدينة وقويت شوكتهم،حينها أذن لهم بالقتال،وكونهم في غزوة بدر لم يكونوا مستعدين للقتال إنما خرجوا للقايلة،وأراد الله إلا القتال ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم بإحدى الطائفتين،وأمدهم بملائكته،والله تعالى فعال لما يريد، يقول للشيء كن فيكون : **{ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ }** [سورة

الأنبياء : 23] ففضى الله أمرا كان مفعولا، لكن الله تعالى أمر بفعل الأسباب، وإلا فإنه قادر على إهلاك الكافرين بدون تدخل المسلمين.

الشاهد من هذا أنه لا بد من الإعداد والاستعداد بالقوة والرجال قدر المستطاع، ويكون الإعداد الديني قبل الإعداد العسكري، قال تعالى في شأن الإعداد الديني: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }** [سورة محمد : 7]

وقال تعالى في شأن الإعداد العسكري: **{ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ }** [سورة الأنفال : 60]

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، اللهم عليك باليهود والنصارى المعتدين، اللهم اجعل لهم يوما كيوم بدر وحنين، اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل الدين، اللهم اجمع كلمة المسلمين، اللهم وحد صفوفهم ،وقو شوكتهم، وانصرهم على القوم الكافرين.

خطبة بعنوان

[دروس وعبر من غزوة أحد]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }

[سورة النساء : 1]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) }

سورة الأحزاب : 70 إلى 71]

عباد الله:

اعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأن خير الهدى هدى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

ففي هذا اليوم نذكر أنفسنا وإياكم بمشهد من مشاهد التاريخ الذي ابتلى الله به أهل الإسلام وما فيه من الدروس والعبر والحكم العظيمة التي اعتبر بها المسلمون، وهي غزوة أحد.

أيها المسلمون:

إنه لا يخفى عليكم ما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في غزوة أحد حيث انتصر المسلمون في أول المعركة ثم هُزموا في آخرها لحكم يعلمها الله تعالى سيأتي ذكر بعضها إن شاء الله تعالى، ثم ندب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بعد وقعة أحد لملاقاة المشركين مرة أخرى في اليوم الثاني من يوم أحد وهم مثخنون بالقتل والجراحة، فرد الله للمسلمين عزهم وهيبتهم وأمنهم بعدما أصابهم الهم والحزن والخوف، كما سيأتي بيان ذلك في آخر الخطبة إن شاء الله.

أيها المسلمون:

إن هذه الغزوة كانت في السنة الثالثة من الهجرة في شهر شوال بعد غزوة بدر بسنة، وكان سببها انهزام المشركين وانتكاستهم في بدر، حيث قتل الكثير من صناديدهم في هذه الغزوة المباركة، حيث خرج النبي صلى الله عليه وسلم لاعتراض قافلة قريش بصحبة أبي سفيان وكان مشركا آنذاك فنجى بالقافلة، ثم تجهز جيش المشركون للانتقام من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فالتقوا في مكان يسمى بدرًا، ثم اعترك الجيشان وكان النصر

حليف المسلمين، فقتل سبعون من كفار قريش، وفيهم عظماءهم، وأسير سبعون فرجعوا خائبين، فعمد المشركون يتجمعون ويتحزبون للانتقام من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فجمع أبو سفيان ثلاثة آلاف مقاتل وجعل تلك القافلة من الأموال والتجارات، وهي التي نجت من المسلمين في غزوة بدر، جعلها لتجهيز تلك المعركة التي وقت في أحد للانتقام من المسلمين، وخرجوا بنسائهم لئلا يفروا، فنزلوا نحو المدينة قريب جبل أحد، فلما بلغ خبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، استشار بعض أصحابه ممن فاتهم الخروج إلى بدر، أخرج إليهم أم يمكت في المدينة؟ فأشاروا عليه بالخروج، بينما أشار عليه المنافق عبدالله ابن أبي بن سلول -لعنه الله - بالبقاء في المدينة فدخل منزلته ولبس لامة الحرب، فأشار عليه بعض الصحابة إن شاء أن يقيم في المدينة بقي، فقال: **"لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ يَلْبَسُ لَأَمَّتَهُ فَيَضَعُهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ"**.

وأنزل الله في ذلك قوله تعالى: **{ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (121) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (122) }** [سورة آل عمران : 121 إلى 122]

والطائفتان اللتان همتا بالفشل وهو الفرار والتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد هما بنو حارثة وبنو سلمة ولكن الله ثبتهما بإيمانها وتولى أمرهما كما قال تعالى: **{ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }**

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم بألف من أصحابه فرجع عبدالله بن أبي بن سلول -لعنه الله- بثلاث الجيش، قال الله: **{ وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ نَافَقُوا ۖ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ۚ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَا ۚ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (167) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ قَادِرُوا عَلَى أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (168) }** [سورة آل عمران : 167 إلى 168]

واختلف الصحابة رضوان الله عليهم في المنافقين الذين رجعوا فقال بعضهم نقتلهم لأنهم منافقون وقال بعضهم نتركهم لأنهم تكلموا بالإسلام فأنزل الله فيهم: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء :

[88

وهكذا المنافقون في كل زمان ومكان فإنهم سب كل بلية ورزية، وهم سبب كل نكسة أو هزيمة تحصل على المسلمين، فإنهم أخطر من اليهود والنصارى؛ لأنهم ينخرون الإسلام من الخلف، فينبغي على المسلمين أن يحذروهم وألا يتخذوا منهم بطانة ولا وزراء ولا أعوان فليس فيهم خير؛ لأنهم يعملون لصالح الكفار ويضرون المسلمين.

فلما وصل النبي صلى الله عليه وسلم أهدأ تهيأ للقتال وكان معه خمسون فارساً، ووضع خمسين من الرماة على جبل أحد وأمر عليهم عبدالله بن جبير رضي الله عنه، ونهاهم أن ينزلوا من الجبل حتى يرسل إليهم، لكنهم لما رأوا النصر للمسلمين، ورأوا الكفار هاربين خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم ظانين أن المعركة قد انتهت بنصر المسلمين، فنزلوا من الجبل فالتف المشركون من خلف الجبل فكروا على المسلمين وقتلوا منهم سبعين رجلاً من خيار الصحابة، وعلى رأسهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه، بل كاد النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل لولا أن الله سلمه وحماه ببعض أصحابه، فهشمت البيضة على رأسه، وشج وجهه وكسرت رباعيته عليه الصلاة والسلام، فقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَرَجُلَيْنِ مِنْ فُرَيْشٍ فَلَمَّا رَهَقُوهُ قَالَ : " مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ " أَوْ : " هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ؟ " فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهَقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ : " مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟ " أَوْ : " هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ؟ " فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَاحِبَيْهِ : " مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا " . يعني الذين فروا من القتال من أصحابه.

وجالدهم طلحة رضي الله عنه حتى أجهضهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى النسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قَالَ : لَمَّا

كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَوَلَّى النَّاسُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَاحِيَةٍ، فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَفِيهِمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ، فَأَدْرَكَهُمْ الْمُشْرِكُونَ، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : " **مَنْ لِلْقَوْمِ** " ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ : أَنَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **كَمَا أَنْتَ** " ⁽¹¹⁾. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ : " أَنْتَ ". فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ التَفَتَ، فَإِذَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ : " **مَنْ لِلْقَوْمِ** " ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ : أَنَا. قَالَ : " **كَمَا أَنْتَ** ". فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا. فَقَالَ : " أَنْتَ ". فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ، وَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَيَقَاتِلُ قِتَالَ مَنْ قَبْلَهُ حَتَّى يُقْتَلَ، حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **مَنْ لِلْقَوْمِ** " ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ : أَنَا. فَقَاتَلَ طَلْحَةُ قِتَالَ الْأَحَدِ عَشَرَ حَتَّى ضَرَبَتْ يَدُهُ، فَقُطِعَتْ أَصَابِعُهُ، فَقَالَ : حَسْبٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **لَوْ قُلْتَ : بِاسْمِ اللَّهِ. لَرَفَعْتُكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ** ".

فلا إله إلا الله ! أيش حصل للنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته من ابتلاءات، وأيش مرت بهم من ظروف وتمحيصات، لكنهم ثبتوا وصبروا، ابتلاهم الله بالجوع والفقر والأعداء وهم صابرون محتسبون، نصر الله بهم رسوله، وأعلى بهم كلمته، وبلغ الله بهم دينه، ثم يأتي من ينتسب إلى الإسلام من يقدر فيهم ويطعن، ويكفرهم ويلعن، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

أولئك آبائي فجنني بمثلهم :::: إذا جمعنا يا جريير المجامع

{رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [سورة الأحزاب : 23]

وممن أبلى بلاءً حسنا في هذه الغزوة أنس بن النضر رضي الله عنه، فقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه، قَالَ : غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتُ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيْنَّ اللَّهَ مَا أَصْنَعُ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعْتُ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعْتُ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ : يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، الْجَنَّةُ

11-أي: ابقى كما أنت لا تقاتلهم أنت..

وَرَبِّ النَّصْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أَحَدٍ. قَالَ سَعْدٌ : فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ. قَالَ أَنَسٌ : فَوَجَدْنَا بِهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمَحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ، وَقَدْ مَثَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أَخْتَهُ بِبَنَانِهِ . قَالَ أَنَسٌ : كُنَّا نُرَى - أَوْ نَظُنُّ - أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ : **{ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ }** إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

جاهدوا في سبيل الله من أجل دين الله، ودافعوا عن رسول صلى الله عليه وسلم بأموالهم وأرواحهم ودمائهم، ومن الناس في هذا الزمان من يجبن عن الدفاع عن سنته بل يوجد من يحارب السنة وأهلها، ويتغافل أنها جاءت عن رسول الله.

فيا عباد الله : من أراد أن ينصر رسول الله بعد موته فلينصر السنة فإن صاحبها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي جاء بها، فمن حارب السنة فإنما يحارب ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فليُنَبِّه لهذا.

وهكذا من كان يحب رسول الله فليحترم صحابته، فإنهم أنصاره وأعداؤه، وبلغوا عنه رسالته، اصطفاهم الله لصحبة نبيه ولتبليغ دينه، أما ما حصل في غزوة أحد من بعض الصحابة رضوان الله عليهم حينما نزلوا من الجبل ثم كر المشركون على المسلمين وشدوا عليهم وفر من فر منهم، فرجع بعضهم إلى المدينة ، ومنهم من صعد إلى الجبل، والنبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم: **إِلَى عِبَادِ اللَّهِ، إِلَى عِبَادِ اللَّهِ، فَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ وَلَا مَجَالَ لِلْقَدَحِ فِيهِمْ، قَالَ تَعَالَى: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا } وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ }** [سورة آل عمران : 155]

وقد أثابهم الله غمًّا بغم حينها، وذلك أنه فاتهم النصر، وفاتتهم الغنيمة، بل أعظم من هذا وذلك أنهم سمعوا قول من يقول إن نبيكم قد قُتِلَ، قال الله: **{ إِذْ تَصْعِدُونَ وَلَا تُلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لَكِيلًا تَحْرُتُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ } وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }** [سورة آل عمران : 153]

وكل هذا بسبب مخالفة الرماة رضي الله عنهم لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان نهاهم أن ينزلوا من الجبل حتى يأذن لهم، فنزلوا من الجبل

فتحول النصر إلى هزيمة، قال الله في شأنهم: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۚ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [سورة آل عمران : 152]

وروى البخاري عن البراء رضي الله عنه قال : لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا مِنَ الرُّمَّةِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ، وَقَالَ : " لَا تَبْرَحُوا ؛ إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا " . فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ رَفَعْنَ عَن سَوْقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ : الْغَنِيْمَةُ، الْغَنِيْمَةُ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : عَهْدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ ، فَأَصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا، وَأَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ : أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ : " لَا تُجِيبُوهُ " . فَقَالَ : أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ قَالَ : " لَا تُجِيبُوهُ " . فَقَالَ : أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ فَقَالَ : إِنَّ هَؤُلَاءِ قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءَ لَأَجَابُوا . فَلَمْ يَمَلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ مَا يُحْزِيكَ . قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : أَعْلُ هُبْل . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَجِيبُوهُ " . قَالُوا : مَا نَقُولُ ؟ قَالَ : " قُولُوا : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ " . قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَنَا الْعُزَى، وَلَا عُزَى لَكُمْ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَجِيبُوهُ " . قَالُوا : مَا نَقُولُ ؟ قَالَ : " قُولُوا : اللَّهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ " . قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : يَوْمَ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ وَتَجِدُونَ مُثْلَهُ لَمْ أَمُرْ بِهَا، وَلَمْ تَسْؤُنِي .

فأصاب الصحابة رضوان الله عليهم من الهم والحزن ما الله به عليم، وتعجبوا من هذا الأمر، كيف تحول النصر إلى هزيمة؟! فرد الله عليهم مبينا لهم سبب ذلك، ومسلية لهم أن الأيام دول بين الناس، وأنهم قد انتصروا في غزوة بدر وقتلوا سبعين من كبارهم وأسروا سبعين آخرين، وأن العزة والغلبة مستقبلا ستكون لهم، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۚ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [سورة آل عمران : 152]

وقال تعالى: **{ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَبِأَذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ }**
[سورة آل عمران : 166]

ولنا في هذه الغزوة عظات وعبر، نستفيدها في حياتنا وفي حروبنا.

منها: أن المعاصي سبب للانهزام والذل والانتكاسة، فهذه معصية واحدة أذلت المسلمين وسببت لهم الهزيمة في غزوة أحد، فكيف بالمعاصي هذه الأيام من الشرك والسحر والخرافات، والقتل والزنا والربا والرشا واللواط وشرب الخمر وترك الصلوات، وسماع الأغاني، وفعل البدع والمحدثات وغيرها مما لا يسع المقام لذكرها، فإن معصية واحدة مما تقدم ذكرها كفيلة بأن تكون سببا لانهزام المسلمين أمام أعدائهم من اليهود والنصارى وغيرهم، فالواجب على المسلمين أن يرجعوا إلى ربهم، وأن يراجعوا دينهم، فيمتثلوا للأوامر ويتجنبوا النواهي والزواجر، فإن عزهم منوط بالتمسك بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وأن الذل والصغار بسبب المعاصي ونبد الكتاب والسنة وراء ظهورهم.

وكان من لطف الله بالمؤمنين في غزوة أحد أن أرسل عليهم النعاس ليربط على قلوبهم ويزدادون طمأنينة وثباتا ويذهب عنهم الخوف كما حصل لأصحاب بدر، حتى كان يسقط السيف من يد أحدهم ويرفعه مرارا، بينما الذين في قلوبهم مرض وشك من المنافقين خائفون، مشغولون بأنفسهم، مسيئون الظن بربهم، أنه لن يتم دينه، ولن يعلي كلمته، ولن ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل وينتهي الإسلام وأهله، كما هو شأن المنافقين والزنادقة المرجفين في هذا الزمان، قال تعالى: **{ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۚ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۚ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۚ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ۚ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (155) }** [سورة آل عمران : 154 إلى 155]

وقال في شأن أهل بدر: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ} [سورة الأنفال : 11]

ثم سلى الله نبيه ومن معه من المؤمنين بأن العاقبة الحميدة لهم، وأن النصر حليفهم، فقال سبحانه: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ} (139) [آل عمران]

ولكن لابد من الابتلاءات والتمحيصات ليتبين الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، فإن التمكين لا يكون إلا بعد الابتلاء، وقد ذكرهم الله ببعض الحكم التي ترتبت على هذه الهزيمة حيث قال سبحانه: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ} (139) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) [سورة آل عمران : 139 إلى 142]

وإليك الحكم التي تربت على هزيمة المسلمين في غزوة أحد:

منها: أن التمكين لا يكون إلا بعد الابتلاء والتمحيص، فقد مكن الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الغزوات التي وقعت بعد غزوة أحد ودخل الناس في دين الله أفواجا.

ومنها: أن الله تعالى يبتلى عباده وأوليائه ليتبين الصادق من الكاذب والثابت من المذبذب، والصابر من الجازع، فقد ظهر في غزوة أحد المؤمنون وظهر المنافقون .

ومنها: أن النصر له أسباب وهي الطاعات، وأن الانهزام له أسباب وهي المعاصي.

ومنها: أن الله اصطفى في غزوة أحد شهداء ليكرمهم في دار كرامته.

ومنها: أن الله يمحس المؤمنين، فيكفر ذنوبهم، ويمحق الكافرين فيملي لهم ليزدادوا أشرا وبطرا، ويستدرجهم ليأخذهم ويهلكهم.

ومنها: أن الجنة محفوفة بالمكاره والابتلاءات والمصائب، لا تنال إلا بذلك، قال الله: **{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ }** [سورة البقرة : 214]

وقال تعالى: **{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ }** [سورة آل عمران : 142]

ومن الحكم يا عباد الله: أن النصر لو كان مستمرا للمؤمنين وحليفا لهم لدخل في الإسلام من ليس منه كحال المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر خوفا من السيف.

ومنها: ترويض المؤمنين على تحمل المشاق والمتاعب والبلايا والاستعداد لتحمل أعباء الحياة لحمل هذا الدين ومواجهة الأعداء.

وهناك حكم كثيرة ذكرنا الذي ظهر لنا منها.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله عز وجل: **{وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ }** أي : يكفر عنهم من ذنوبهم ، إن كان لهم ذنوب وإلا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به ، وقوله : **(ويمحق الكافرين)** أي : فإنهم إذا ظفروا بغوا وبطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحققهم وفنائهم" .

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد:

فقد عرفنا ما حصل لنبينا صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم في غزوة أحد، وعرفنا بعض الحكم والأسرار من إدالة الكفار على المسلمين، واستفدنا كثيرا من الدروس والعبر التي يستفيد بها المسلمون في حياتهم وفي حربهم مع الكفار، ولنستفد الآن فوائد أخرى من حال النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته بعد غزوة أحد.

منها: الشجاعة والإقدام وعدم الاستسلام، والثقة بالله والتوكل عليه في نصر الإسلام، وعدم الخوف من عباد الأصنام، فإن المسلمين تبعوا المشركين بعد غزوة أحد ولحقوهم إلى حمراء الأسد، حتى أرعبوهم، فبينما هم كذلك قد أئخنتهم الجراحة والقتل إذ جاءهم الخبر أن قريشا همت بالرجوع إلى المدينة لاستئصال المسلمين، فقال المسلمون: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله فهو كافينا وناصرنا، فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: { إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ }.**

فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمون للقتال فانتدبوا وخرجوا حتى وصلوا حمراء الأسد وهي على بعد ثمانية أميال من المدينة فخاف المشركون فلم يرجعوا فرجع المسلمون منصورين في هذه الغزوة التي تسمى بغزوة حمراء الأسد، قال ابن كثير: "وقوله: **(الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح)** هذا كان يوم " حمراء الأسد " ، وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كروا راجعين إلى بلادهم ، فلما استمروا في سيرهم تندموا لم لا تمموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة . فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبهم ويريههم أن بهم قوة وجلدا ، .. فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله [عز وجل] ولرسوله صلى الله عليه وسلم "هـ.

قال الله في شأنهم: **{ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) }** [سورة آل عمران : 172 إلى 174]

فرجع المسلمون منصورين بنعمة من الله وفضل بغير قتال، وكتب لهم أجر غزوة تامة بجوده وإحسانه، وقذف الله الرعب في صدور المشركين فجنبوا عن المواجهة مرة أخرى خوفاً من أن تدور الدائرة عليهم، ولو رجعوا لأهانهم الله وأذلهم، لأن المؤمنين خرجوا متوكلين على الله واثقين بنصره، غير مباليين بضعفهم وقلة عددهم؛ لأن النصر من الله العزيز الحكيم، ولم يتأثروا بما أصابهم في غزوة أحد، وقد عدَّ بعض أهل العلم غزوة حمراء الأسد جزءاً من غزوة أحد، وعلى هذا فإن الغزوة انتهت بنصر المؤمنين للأسباب التالية:

قال بعض أهل العلم: "ومما لا شك فيه أن غزوة حمراء الأسد ليست بغزوة مستقلة، إنما هي جزء من غزوة أحد وتتمه لها، فهل كانت هزيمة أم نصراً؟ والذي لا شك فيه أن التفوق العسكري في الصفحة الثانية من القتال كان للمشركين، وأن المؤمنين هزموا قطعاً، لكنَّ هناك أموراً تمنعنا أن نعبر عن كل ذلك بالنصر والفتح للجيش المكي، فمما لا شك فيه أن الجيش المكي لم يستطع احتلال معسكر المسلمين، وأن المقدار الكبير من الجيش المدني لم يلتجئ إلى الفرار بل قاوم بالبسالة حتى تجمع حول مقر قيادته، ولم يسقط إلى حد أن يطارده الجيش المكي، ولم يقع أحد من المسلمين في أسر الكفار، وأن الكفار لم يحصلوا على شيء من غنائم المسلمين، وأن الكفار لم يقوموا إلى الصفحة الثالثة من القتال مع أن جيش المسلمين لم يزل في معسكره، وأن المشركين لم يقيموا بساحة القتال يوماً أو يومين أو ثلاثة أيام بل سارعوا إلى الانسحاب وتركوا ساحة القتال، قبل أن يتركها المسلمون، ولم يجترئوا على الدخول في المدينة لنهب الذراري والأموال، مع أنها قريبة على بعد عدة خطوات فحسب، وكانت مفتوحة وخالية تماماً، كل ذلك يؤكد لنا أنهم باءوا بالفشل فيما كانوا يهدفون إليه من إبادة الجيش الإسلامي، وإن حصل شيء من القتل في المسلمين، فإنهم لم يتضرروا بذلك ولم يضعفوا، أما أن ذلك كان نصراً وفتحاً فكلاً وحاشاً، بل يؤكد لنا تعجيل أبي سفيان في الانسحاب والانصراف؛ أنه كان يخاف على جيشه المعرة والهزيمة لو جرت صفحة ثالثة من القتال، ويزداد ذلك تأكيداً حين ننظر إلى موقف أبي سفيان من غزوة حمراء الأسد، حيث جنبوا عن المواجهة والقتال.

إذن فهذه الغزوة إنما كانت حرباً غير منفصلة، أخذ كل فريق بقسطه ونصيبه من النجاح والخسارة، ثم حاد كل منهما عن القتال، من غير فرار، وإلى هذا يشير قوله تعالى: **{ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون}**

كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون { (4: 104) فقد شبه أحد
العسكريين بالآخر في إيقاع الألم، مما يفيد أن الموقفين كانا متماثلين، وأن
الفريقين رجعا وكل غير غالب "انتهى مختصرا⁽¹²⁾

وهذا الكلام وجيه جدا، فإن غزوة حمراء الأسد التي كانت في اليوم التالي
لغزوة أحد أعادت للمسلمين هيباتهم، ورفعت معنوياتهم بتوفيق الله ربهم، بعد
أن كانت قد اهتزت سمعتهم في غزوة أحد، وقد كانت القبائل رضخت للدولة
الإسلامية بعد وقعت بدر التي هُزمت فيها أكبر القبائل العربية وهي قريش
أمام معسكر الإسلام، ثم حصل للمسلمين ما حصل في أحد، ثم رد الله الهيبة
للإسلام والمسلمين في غزوة حمراء الأسد بعد غزوة أحد بيوم واحد، وإنما
حصل للمسلمين انهزام في معركة أحد لحكم عظيمة ذكرنا بعضها، أهمها
مخالفة الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، الأمر الذي جعل القبائل
العربية التي حول المدينة تتربص بالمسلمين الدوائر بسبب ما حصل
للمسلمين من قتل وجراحة وفرار، فمن حكمت الله عز وجل أن المشركين
طلبوا النزال مرة أخرى زعموا أنهم سيرجعون ليستأصلوا النبي صلى الله
عليه وسلم ومن معه من المسلمين، فقام النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم
الثاني من غزوة أحد يحث أصحابه على الجهاد مرة أخرى وهم مثخنون
بالجراحة والحزن على قتلاهم، ورفع من معنوياتهم وذكرهم بفضل الجهاد
في سبيل الله، فقاموا مستجيبين لله ولرسوله، محتسبين الأجر والمثوبة، ولم
يصطحب النبي صلى الله عليه وسلم معه إلا من شارك في غزوة أحد ولم
يقبل أحدا ممن فر أو تخلف، فوصلت جنود الله مكانا يسمى حمراء
الأسد، وقذف الله الرعب في قلوب المشركين فرجعوا إلى مكة، وجبنوا عن
القتال مرة أخرى خوفا من الهزيمة ولو رجعوا ما قامت لهم قائمة بإذن الله
تعالى، ورجع المسلمون منصورين رافعي رؤوسهم وأخزي الله المنافقين
الذين ظنوا بالله ظن السوء، وأنزل الله في أولئك الأبطال، **{ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا**
لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ
عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ
وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174)
{ [سورة آل عمران : 172 إلى 174]

12 - انظر الرحيق المختوم والمصادر التي ذكرها صاحب الرحيق زاد المعاد وسيرة ابن هشام.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعيد للمسلمين عزهم ومجدهم، وأن يصلح أحوالهم، وأن يوحد صفوفهم ويجمع كلمتهم، وأن يخذل عدوهم ويوهن كيدهم، اللهم انصر الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل الدين، اللهم عليك باليهود والنصارى، اللهم عليك باليهود والنصارى، اللهم عليك باليهود والنصارى، اللهم عليك بهم ومن تعاون معهم يا قوي يا متين

خطبة بعنوان

[إتحاف أولي الألباب بدروس وعبر مما حصل للنبي عليه الصلاة

والسلام وأصحابه في غزوة الأحزاب]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }

عباد الله:

اعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أما بعد:

فإن من أصعب الغزوات التي مرت على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأشدّها لهي غزوة الأحزاب التي تسمى بغزوة الخندق، فقد اجتمع فيها البرد والجوع والخوف وقلة ذات اليد من العدد والغدد، وتكالب المشركين واليهود بجميع أحزابهم، وقد أجمعوا على استئصال المسلمين، فأصابهم من البلاء ما أخبر الله عنهم في كتابه الكريم حيث قال: **{ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11) }** [سورة الأحزاب : 10 إلى 11]

قال المفسر السعدي رحمه الله تعالى: **{ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ }** بهذه الفتنة العظيمة **{ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا }** بالخوف والقلق، والجوع، ليتبين إيمانهم، ويزيد إيقانهم، فظهر -ولله الحمد- من إيمانهم، وشدة يقينهم، ما فاقوا فيه الأولين والآخرين.

وعندما اشتد الكرب، وتفاقت الشدائد، صار إيمانهم عين اليقين، **{ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا }**

قال ابن عباس وقتادة : يعنون قوله تعالى في " سورة البقرة " **{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ } أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ }** [سورة البقرة : 214]

أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب، وهنالك تبين نفاق المنافقين، وظهر ما كانوا يضمرون⁽¹³⁾.

وكانت هذه الغزوة في شوال من السنة الخامسة للهجرة على الصحيح كما ذكر بعض أصحاب السير، وكان سببها أن نفرا من يهود بني النضير - لعنهم الله - الذين أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خيبر خرجوا إلى كفار قريش في مكة فألبوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ووعدوهم بالنصر والمناصرة، ثم ذهبوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم، فخرجوا بخيلهم ورجلهم في نحو عشرة آلاف مقاتل، ورسول الله وأصحابه نحو ثلاثة آلاف، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بخروجهم إليه أمر المسلمين بحفر الخندق، ليحول بين المشركين والمدينة من باب فعل الأسباب، فحفروا خندقا عظيما واسعا تحصنوا به، وقد شارك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفره، فلقد كان رجلا مقداما وقائدا شجاعا، ما تراه إلا في مقدمة الجيش بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه، فقد روى البخاري ومسلم عن **الْبَرَاءِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ، حَتَّى وَارَى التُّرَابُ شَعَرَ صَدْرِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعْرِ، وَهُوَ يَرْتَجِرُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللَّهِ :

لَوْلَا أَنْتَ	مَا هُنْدَيْنَا	وَلَا	تَصَدَّقْنَا	وَلَا	صَلَيْنَا
سَكِينَةً	عَلَيْنَا	وَنَبِّتْ	الْأَقْدَامَ	إِنْ	لَا قَيْنَا

¹³- من تفسير ابن كثير

إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا *** إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أُنَبِّئَا " .
يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ.

وكانت الأنصار تقول:
نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا *** عَلَى الْجِهَادِ مَا حَبَبْنَا أَبَدًا

فَأَجَابَهُم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
"اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ *** فَأَكْرَمَ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ "

رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه.

وفي هذه الغزوة تبين الصادق من الكاذب، وظهر المؤمن من المنافق، فقد فُضح أمر المنافقين، وظهر جزعهم وهلعهم كما وصفهم الله في كتابه بسورة كاملة وهي سورة الأحزاب، قال تعالى: { وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (13) وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا (14) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدِّبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْنُورًا (15) قُلْ لَّن يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (16) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۖ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (17) } قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۚ وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا (18) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۚ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۚ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (19) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۚ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ۚ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (20) } [سورة الأحزاب : 12 إلى 20]

قال المفسر الطبري رحمه الله عن قتادة قوله: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) قال: قال ذلك أناس

من المنافقين، قد كان محمد يعدنا فتح فارس والروم، وقد حصرنا هاهنا، حتى ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته، ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا".هـ.

وهذا من سوء ظنهم بالله فقد ظن المنافقون بالله غير الحق ظن الجاهلية، فقد حصل للنبي صلى الله عليه وسلم في الخندق من الآيات والمعجزات والبشارات ما جعل المؤمنين يزدادون إيماناً، وما ازداد المنافقون إلا شكاً وارتياباً، فلقد وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح فارس والروم واليمن وهم في تلك الحالة الصعبة، والمشركون محاصروهم يريدون استئصالهم، فكانت الأخرى فقد استأصل النبي صلى الله عليه وسلم يهود بني قريضة، فقتل رجالهم وسبى نساءهم وقسم أموالهم، ورجع مكة فاتحاً، فثبت الله قلب النبي صلى الله عليه وسلم وقلوب من معه من المؤمنين، وربط على قلوبهم فأراه قصور فارس والروم وهم محاصرون في ذلك الخندق، وهم في تلك الحالة الحرجة، فلله الأمر من قبل ومن بعد والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

فقد روى الإمام أحمد رحمه الله وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحُفْرِ الْخَنْدَقِ، قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الْخَنْدَقِ لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَّوْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ عَوْفٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَضَعَ ثَوْبَهُ، ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ - فَأَخَذَ الْمَغُولَ، فَقَالَ: "بِاسْمِ اللَّهِ". فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا". ثُمَّ قَالَ: "بِاسْمِ اللَّهِ". وَضَرَبَ أُخْرَى، فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، فَقَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ وَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا". ثُمَّ قَالَ: "بِاسْمِ اللَّهِ". وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ، فَقَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا".

فتحصن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه بالخندق وهم ثلاثة آلاف، ثم جاء المشركون من كل مكان فنزلوا حول المدينة، كما قال تعالى: { إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا } [سورة الأحزاب: 10]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن معه من المسلمين ، وهم نحو ثلاثة آلاف ، وقيل : سبعمائة ، وأسندوا ظهورهم إلى [جبل] سلْع ووجههم إلى نحو العدو ، والخندق حفير ليس فيه

ماء بينهم وبينهم يحجب الرجال والخيلة أن تصل إليهم ، وجعل النساء والذراري في أطام المدينة ، وكانت بنو قريظة - وهم طائفة من اليهود - لهم حصن شرقي المدينة ، ولهم عهد من النبي صلى الله عليه وسلم وذمة ، وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب إليهم حيي بن أخطب النضري [اليهودي] ، فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد ، ومالئوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعظم الخطب واشتد الأمر ، وضاق الحال ، كما قال الله تعالى : **(هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا)** . ومكثوا محاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قريبا من شهر ، إلا أنهم لا يصلون إليهم ، ولم يقع بينهم قتال ، إلا أن عمرو بن عبد ود العامري - وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية - ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق ، وخلصوا إلى ناحية المسلمين ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل المسلمين إليه ، فلم يبرز إليه أحد ، فأمر عليا (رضي الله عنه) فخرج إليه ، فتجاولا ساعة ، ثم قتله علي ، رضي الله عنه ، فكان علامة على النصر . ثم أرسل الله عز وجل على الأحزاب ريحا شديدة الهبوب قوية ، حتى لم تبق لهم خيمة ولا شيء ولا توقد لهم نار ، ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين ، كما قال الله تعالى : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا } وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** [سورة الأحزاب : 9]

وقال المفسر السعدي رحمه الله : "يذكر تعالى عباده المؤمنين، نعمته عليهم، ويحثهم على شكرها، حين جاءتهم جنود أهل مكة والحجاز، من فوقهم، وأهل نجد، من أسفل منهم، وتعاهدوا وتعاهدوا على استئصال الرسول والصحابة، وذلك في وقعة الخندق

ومالأتهم [طوائف] اليهود، الذين حوالى المدينة، فجاءوا بجنود عظيمة وأمم كثيرة.

وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم، على المدينة، فحاصروا المدينة، واشتد الأمر، وبلغت القلوب الحناجر، حتى بلغ الظن من كثير من الناس كل مبلغ، لما رأوا من الأسباب المستحكمة، والشدائد الشديدة، فلم يزل الحصار على المدينة، مدة طويلة، والأمر كما وصف الله : **{ وَإِذْ زَاغَتِ الْبَصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ }** أي: الظنون السيئة، أن الله لا ينصر دينه، ولا يتم كلمته" اهـ

وهذه الظنون السيئة إنما حصلت من أمراض القلوب وهم المنافقون، وإلا فلا يجوز لمؤمن أن يسيء الظن بالله تعالى، فإن الله ناصر دينه، ومعز أوليائه، سواء تقدم النصر أو تأخر، فإن الله تعالى منجز وعده، كما نصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ولا يزال وعده بنصر المؤمنين وإذلال اليهود والمشركين مستمرا، لكن لا بد من فعل الأسباب، فمتى ما وجدت الأسباب حصلت المسببات، ومتى ما تحققت الشروط تحقق المشروط، فانظروا إلى حال النبي صلى الله عليه وسلم وحال أصحابه، حينما فعلوا أسباب النصر نصرهم الله، وقد سمعتم من حالهم ما سمعتم من المعاناة والابتلاء، ابتداءً من مكة إلى غزوة الخندق، ثم بعد ذلك أعزهم الله ونصرهم، فصاروا هم الذين يغزون الكافرين، فقد روى البخاري عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ حِينَ أَجْلَى الْأَحْزَابِ عَنْهُ : " الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ " .

فقد أذل الله الأحزاب وردهم خائبين، إذ أرسل عليهم الخوف والرعب والضعف والوهن، وأرسل عليهم البرد والريح تكفاً قدورهم، ولا تدع لهم خيمة إلا اجتثتها من أصلها، فزلزلتهم فلم يقر لهم قرار، ثم رحلوا من ليلتهم تلك، والله يؤيد بنصره من يشاء، { **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ** **عَزِيزًا حَكِيمًا** } [سورة الفتح : 7]

فأخبر الله تعالى أنهم رجعوا خائبين ذليلين مغتاضين مهزومين ونصر الله المؤمنين بدون قتال وكفى الله المؤمنين القتال، وأمكن الله المؤمنين من بني قريضة الذين مالوا المشركين على قتال المسلمين فقتلوا رجالهم وغنموا أموالهم وسبوا نساءهم وأسروا صبيانهم جزاء غدرهم ومكرهم، قال الله في كتابه الكريم: { **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۖ وَكَفَى اللَّهُ** **الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (25)** **وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26)** **وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْنُوهَا ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (27)** } [سورة الأحزاب : 25 إلى 27]

قال ابن كثير في قوله : (**وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم**) أي : جعلها لكم من قتلكم لهم (**وأرضا لم تطنوها**) قيل : خير . وقيل : مكة . رواه مالك ، عن زيد بن أسلم . وقيل : فارس والروم . وقال ابن جرير : يجوز أن يكون الجميع مرادا " .

وفي آخر الأمر أرسل النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة رضي الله عنه ليأتيه بخبر القوم، كما عند الإمام مسلم، عن حذيفة رضي الله عنه قال: "لَقَدْ رَأَيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَأَخَذْتَنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ (أي: برد) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ ". فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ : " أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ ". فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ : " أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ ". فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ : " فَمَ يَا حَذِيفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ". فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ : " اذْهَبْ فَأَتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذَعِرْهُمْ عَلَيَّ ". فَلَمَّا وَلِيتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَامٍ، حَتَّى أَتَيْتُهُمْ فَرَأَيْتُ أَبَا سَفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ (أي: يذفئه)، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَلَا تَذَعِرْهُمْ عَلَيَّ ". وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَارْجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَعْتُ قُرْرَتِي، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَضْلِ عِبَادَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ : " فَمَ يَا نَوْمَانُ ."

وقول حذيفة: "فلما وليت من عنده جعلت كأنما أَمْشِي فِي حَمَامٍ فِي حَمَامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ (يعني : أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس . ولا من تلك الريح الشديدة شيئا ؛ بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذهابه فيما وجهه له ، ودعائه صلى الله عليه وسلم له ، واستمر ذلك اللطف به ومعافاته من البرد حتى عاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع ووصل عاد إليه البرد الذي يجده الناس ، وهذه من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقول رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَلَا تَذَعِرْهُمْ عَلَيَّ " أي: امش خفية ولا تشعرهم بنفسك فيقبلوا عليّ، أو لا تهيجهم علينا، فيستفاد من هذا أنه لا يجوز تهيج الكافرين على المسلمين وهم في حالة ضعف، كما لم يأذن الله تعالى لنبيه ومن معه بالجهاد في مكة؛ لأنهم كانوا في ضعف، ثم لما هاجروا إلى المدينة وقويت شوكة المسلمين أذن الله لهم بالجهاد، فأنزل الله: **{ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ۖ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ }** [سورة الحج : 39]

ولذلك كف حذيفة عن رمي أبي سفيان بالسهم، ولو شاء لقتله، لكنه تذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ولا تَذَعِرْهُمْ عَلَيَّ" ولو قتله لحصلت من الأضرار للمسلمين ما الله به عليم، فيجب طاعة أولياء الأمور من الأمراء والعلماء، والعمل بتوجيهاتهم، امتثالاً لقول الله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا { [سورة النساء : 59]

الخطبة الثانية/

الحمد لله وحده ،نصر عبده،وأعز جنده،وهزم الأحزاب وحده،والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فلنا في هذه المواقف التي حصلت لنبيينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم دروس وعبر وأسوة حسنة،قال الله: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ

وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ { [سورة البقرة : 214]

وقال تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [سورة التوبة : 16]

وقال سبحانه: { الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3) } [سورة العنكبوت : 1 إلى 3]

ومن هذا الابتلاء أنه قد يحصل ظفر للكفار والمشركين، وانهزام للمسلمين، ليتبين الصادقون من الكاذبين، ويتميز المؤمنون من المنافقين، ويمحق الله الكافرين، ويملي للظالمين، ويكرم من شاء بالشهادة من المسلمين، قال عز من قائل في كتابه الكريم: { إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141) } [سورة آل عمران : 140 إلى 141]

فيا عباد الله : إنه لم يصبنا عشر معشار ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من البلاء والفتن والمحن والقتل والتعذيب والتهجير، ولكن الله يبتلي عباده المؤمنين على قدر إيمانهم، ويسلط عليهم أعداءهم بسبب ذنوبهم، فالواجب التوبة والدعاء، والصبر على البلاء، والرجوع إلى دين الله، والتمسك بكتاب الله، والعمل بسنة رسول الله، فمن تمسك بهما فاز ونجى، ولن يضل بعدهما أو يشقى، ومن أعرض عنهما هلك وغوى، قال الله: { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127) } [سورة طه : 123 إلى 127]

وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: " **تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي** "

فإذا صدقنا مع ربنا ، وتمسكنا بديننا، فإنه سينصرنا على أعدائنا، وإذا رأى تقصيرنا وبعدنا عن ديننا سلط علينا أعداءنا، والله تعالى قد وعد بالنصر لمن نصر دينه، وعمل بأحكامه، قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }** [سورة محمد : 7]

وقال تعالى: **{ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41) }** [سورة الحج : 40 إلى 41]

والأدلة في هذا الباب مستفيضة، وأسباب النصر كثيرة.

اللهم إنا نسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت يا بديع السماوات والأرض يا حي يا قيوم يا منان الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، نسألك باسمك الأعظم الذي إذا دُعيت به أجبت، وإذا سُئلت به أعطيت، نسألك أن من أراد بالإسلام والمسلمين كيذا فاجعل كيده في نحره ، واجعل تدبيره تدميرا عليه، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم انصر من نصر الدين ، واخذل من خذل الدين، يا قوي يا متين.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، اللهم عليك باليهود الغاصبين، اللهم عليك بالنصارى المعتدين، اللهم دمرهم تدميرا ، ولا تبق منهم صغيرا ولا كبيرا، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللهم أنزل عليهم بأسك الشديد الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب ، اهزم اليهود شر هزيمة، واجعلهم للإسلام والمسلمين غنيمة، اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تبق منهم أحدا ، اللهم لقهم الردى، اللهم أرنا فيهم يوما أسود، اللهم الطف بإخواننا المستضعفين في شتى بقاع العالم، اللهم انصر إخواننا في فلسطين، اللهم قو شوكتهم، وثبت الأرض من تحت أقدامهم، اللهم تقبل شهداءهم ، وداو جراحهم، اللهم أمددهم بمدد من السماء وأيدهم بجنود من جنودك، برحمتك يا أرحم الراحمين.

خطبة بعنوان

[دروس وعبر من غزوات خير البشر ليهود المدينة وخيبر)]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

عباد الله:

إنه لما كان من المعلوم لدى كل مسلم أن من صفات اليهود الكفر والشرك والغدر والخيانة ونقض العهود غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم، فقتل بعضهم وهم بنو قريضة، وأجلى البعض الآخر فأخرجهم من ديارهم، وهم بنو النضير، وسلم البعض الآخر لابن سلول المنافق لعنه الله، وهم بنو قينقاع.

فأما بنو قينقاع فقد كانوا أول من نقض العهد فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الفترة ما بين غزوة بدر وغزوة أحد، فكان من خبرهم أنه لما كسر الله شوكة المشركين في غزوة بدر وأعز الله الإسلام والمسلمين، قام

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَهُمْ فِي سَوْقِ بَنِي قَيْنِقَاعِ ثُمَّ قَالَ :
" يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، اسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا ". قَالُوا : يَا
مُحَمَّدُ، لَا يَغُرُّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَعْمَارًا لَا يَعْرِفُونَ
الْقِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنْتَ لَمْ تَلَقَ مِثْلَنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ فِي ذَلِكَ : **{ قُلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغَلِبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ
الْمِهَادُ (12) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الَّذِينَ اتَّفَقُوا ۖ فَمِنْهُمْ ثَقَاتٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخَرَى
كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (13) }** [سورة آل عمران : 12 إلى 13] (14)

{ قُلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا } أي: قل يا محمد للذين كفروا من يهود بني قينقاع:
{ سَتَغْلِبُونَ } كما غلب المشركون في غزوة بدر ثم **{ تُخْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ ۚ
وَبِئْسَ الْمِهَادُ }**

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ أَنَّ بَنِي قَيْنِقَاعِ كَانُوا أَوَّلَ
يَهُودِ نَقَضُوا الْعَهْدَ وَحَارَبُوا فِيمَا بَيْنَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ [بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ] بَنَ الْمَسُورِ بَنَ
مَخْرَمَةَ عَنْ أَبِي عَوْنٍ قَالَ: كَانَ أَمْرُ بَنِي قَيْنِقَاعِ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ قَدِمَتْ
بِجَلْبٍ لَهَا فَبَاعَتْهُ بِسَوْقِ بَنِي قَيْنِقَاعِ وَجَلَسَتْ إِلَى صَائِغٍ هُنَاكَ مِنْهُمْ فَجَعَلُوا
يُرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا فَأَبَتْ فَعَمَدَ الصَّائِغُ إِلَى طَرَفِ ثَوْبِهَا فَعَقَدَهُ إِلَى
ظَهْرِهَا، فَلَمَّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوَائُهَا فَضَحِكُوا بِهَا فَصَاحَتْ فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّائِغِ فَقَتَلَهُ، وَكَانَ يَهُودِيًّا فَشَدَّتِ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ
فَقَتَلُوهُ، فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ فَأَغْضِبَ الْمُسْلِمُونَ، فَوَقَعَ
الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنِقَاعِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ قَالَ: فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ
سَلُولٍ حِينَ أَمَكَنَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَحْسِنْ فِي مَوَالِيٍّ وَكَانُوا حُلَفَاءَ
الْحَزْرَجِ قَالَ: فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَحْسِنْ

14- أخرجه أبو داود وابن إسحاق وابن جرير وغيرهم انظر البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله
والصحيح المصنف للشيخ سليم الهلالي حفظه الله.

في موالي، فَأَعْرَضَ عَنْهُ قَالَ: فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ دِرْعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَرْسِلْنِي"، وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى رَأَوْا لَوَجْهَهُ ظُلُمًا ثُمَّ قَالَ: "وَيْحَكَ أَرْسِلْنِي" قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أُرْسِكَ حَتَّى تَحْسَنَ فِي مَوَالِي: أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قَدْ مَنَعُونِي مِنَ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ إِنِّي وَاللَّهِ أَمْرُو أَحْشَى الدَّوَائِرِ.

قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هُمُ لَكَ". (15)

فتركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل هذا المنافق-لعنه الله- وقد كاد النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتلهم جميعاً، وهكذا المنافقون في كل زمان ومكان يدافعون عن أعداء الله، بل إنهم سبب كل نكسة تحصل للمسلمين، فإن المسلمين يتضررون من المنافقين أكثر من المشركين؛ لأنهم ينخرون الإسلام من الخلف، ثم أنزل الله في عبدالله بن أبي وفي أمثاله من المنافقين قوله: **﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾** [سورة المائدة : 52] إلى قوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾** [سورة المائدة : 56]

قال ابن كثير في تفسير قول الله: **(يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ)** أي : يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكفار بالمسلمين ، فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك" اهـ.

﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾

أما الطائفة الثانية من طوائف اليهود وهم بنو النضير، فقد كان من شأنهم أن كفار قريش كتبوا إلى اليهودِ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلَقَةِ (أي السلاح) وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا (يعنون النبي صلى الله عليه وسلم) أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ - وَهِيَ

الْخَلَاخِيلُ - فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ بِالْغَدْرِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلِيُخْرَجَ مِنَّا ثَلَاثُونَ حَبْرًا حَتَّى نَلْتَقِيَ بِمَكَانِ الْمُنْصَفِ، فَيَسْمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَآمَنُوا بِكَ آمَنَّا بِكَ. [يريدون الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم]. "وفي رواية: "أن اليهود قال بعضهم لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون من أصحابه كلهم يريد أن يموت قبله، فأرسلوا إليه: كيف تفهم ونفهم ونحن ستون رجلاً؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا، فليسمعوا منك، فإن آمنوا بك، آمنا كلنا وصدقناك، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من أصحابه، واشتملوا الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغه الخبر فرجع، "فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ " إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تَأْمُنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيْهِ ". فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ غَدَا الْغَدَ عَلَى بَنِي قُرَيْضَةَ بِالْكَتَائِبِ، وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ، فَعَاهَدُوهُ، فَأَنْصَرَفَ عَنْهُمْ وَغَدَا عَلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ، فَجَلَتْ بَنُو النَّضِيرِ، وَاحْتَمَلُوا مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ مِنْ أُمْتِعَتِهِمْ وَأَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ وَخَشَبِهَا، فَكَانَ نَحْلُ بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً، أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا وَخَصَّهُ بِهَا، فَقَالَ : { وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ } يَقُولُ : بَغِيرَ قِتَالٍ، فَأَعْطَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَهَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ، وَقَسَمَ مِنْهَا لِرَجُلَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَا دَوَى حَاجَةٍ، لَمْ يَقْسِمِ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْصَارِ غَيْرَهُمَا، وَبَقِيَ مِنْهَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي فِي أَيْدِي بَنِي فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. (16)

وذكر بعض أهل السير مكيدة أخرى دبرها يهود بني النضير لقتله صلى الله عليه وسلم فسلمه الله، قال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير ، يستعينهم في دية دينك القتيلين من بني عامر اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري ؛ للجوار الذي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عقد لهما ، فيما حدثني يزيد بن رومان ، وكان بين بني النضير ، وبني عامر عقد وحلف . فلما أتاهم

16- أخرجه أبو داود وغيره وصححه الشيخ سليم الهلالي حفظه الله في كتابه الصحيح المصنف

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا : نعم ، يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه . ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جنب جدار من بيوتهم - فمن رجل يعلو على هذا البيت ، فيلقي عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر ، وعمر ، وعلي رضي الله عنهم . فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعا إلى المدينة فلما استلبث النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسأله عنه ، فقال : رأيته داخلا المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم . ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقطع النخل والتحريق فيها .

وقد كان المنافقون بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لن نسلمكم ، إن قوتلتهم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، [قال الله عنهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (12) ﴾] {سورة الحشر : 11 إلى 12}

وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ، ففعل ، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيه فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام وخلوا الأموال إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث شاء ، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار.

هكذا أذلهم الله وأذن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل وحرقتها إذلالاً لهم، وأنزل الله إبان ذلك : { مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ } [سورة الحشر : 5]

وقسم أموالهم لمن ذكر الله في سورة الحشر، فقال سبحانه: { وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۗ وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7) } [سورة الحشر : 6 إلى 7]

والفيء هو ما أخذ من الكفار بدون قتال، وبينما الغنيمة هي ما أخذ من الكفار بقتال، فما أخذه النبي صلى الله عليه وسلم من أموال بني النضير هو من الفيء الذي أفاءه الله عليه.

وبعد أن حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حصونهم، صالحوه على أن يخرجوا من أرضهم وتحقن دماؤهم فأجلاهم إلى أرض أخرى إهانة لهم، وأذن لهم بأخذ ماتحملة الإبل إلا السلاح، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم ليأخذوا منها ما استطاعوا من الأثاث.

قال ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يخرجهم من أرضهم ، ومن ديارهم ، وأوطانهم ، وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاءً ،

فأنزل الله في شأنهم سورة الحشر، ومنها قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۚ وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۚ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (2) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ۚ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

عَذَابِ النَّارِ (3) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ^{١٧} وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (4) { [سورة الحشر : 2 إلى 4]

قال ابن كثير في تفسيره قوله : **(هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب)** يعني : يهود بني النضير . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والزهري ، وغير واحد : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما قدم المدينة هادئهم وأعطاهم عهداً ودية ، على ألا يقاتلهم ولا يقاتلوه ، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه ، فأحل الله بهم بأسه الذي لا مرد له ، وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يُصد ، فأجلاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون ، وظن اليهود أنها مانعتهم من بأس الله ، فما أغنت عنهم من الله شيئاً ، وجاءهم ما لم يكن ببالهم ، وسيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجلاهم من المدينة فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام وهي أرض المحشر والمنشر ، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر . وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم ، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي يمكن أن تحمل معهم ؛ ولهذا قال : **(يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار)** أي : تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله ، وكذب كتابه ، كيف يحل به من بأسه المخزي له في الدنيا ، مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم^{١٨}.

ثم غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر كما في البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلى لنا عندها صلاة الغداة بغلس ، فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وركب أبو طلحة ، وأنا رديف أبي طلحة ، فأجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في رفاق خيبر ، وإن ركبتي لتمس فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حسر الإزار عن فخذيه ، حتى إني أنظر إلى بياض فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل القرية قال : **" الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين "** . قالها ثلاثاً ، قال : **وخرج القوم إلى أعمالهم فقاتلوا : محمدٌ والحَمِيسُ يعني الجيش ، قال : فأصبناها عنوة⁽¹⁷⁾ فجمع السبني فجاء دحية ، فقال : يا نبي الله ، أعطني جارية**

¹⁷-يعني قهر وغلبة.

مَنْ السَّبْيِ، قَالَ : " اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً ". فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُبَيِّ" ثم أشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت سيدة قومها فاصفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه فأعتقها وتزوجها وصارت من أمهات المؤمنين رضي الله عنها.

ثم أخرجهم عمر رضي الله عنه من خيبر في خلافته، كما في البخاري ومسلم عن ابنِ عُمَرَ ، رضي الله عنهما أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَجْلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى خَيْبَرَ أَرَادَ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ مِنْهَا، وَكَانَتْ الْأَرْضُ حِينَ ظَهَرَ عَلَيْهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْمُسْلِمِينَ، وَأَرَادَ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ مِنْهَا، فَسَأَلَتِ الْيَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُقَرَّرَ بِهِمْ أَنْ يَكْفُوا عَمَلَهَا وَلَهُمْ نِصْفُ الثَّمَرِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " نُقَرِّكُمْ بِهَا عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا ". فَقَرُّوا بِهَا حَتَّى أَجَلَهُمْ عُمَرُ إِلَى تَيْمَاءَ وَأَرِيحَاءَ.

وتَيْمَاءَ وَأَرِيحَاءَ. قال الحافظ رحمه الله: "هما موضعان مشهوران بقرب بلاد طيئ على البحر في أول طريق الشام من المدينة، وقد ذكر البلاذري في " الفتوح " أن النبي صلى الله عليه وسلم لما غلب على وادي القرى بلغ ذلك أهل تيماء فصالحوه على الجزية وأقرهم ببلدهم" اهـ

إنهم لما اعتزوا بدينهم أعزهم الله، ولما طلب المسلمون اليوم العزة بغير الإسلام أذلهم الله، وسلط عليهم أراذل خلقه، ولا مخرج لهم من ذلك إلا أن يرجعوا إلى دينهم، حكما ومحكومين.

فيا أيها المسلمون، ويا حكام المسلمين، إن اليهود لن يرضوا عنكم مهما حابيتموهم، فسيغدرون بكم كما غدروا برسول الله من قبلكم، ولن يتركوكم إن تمكنوا منكم، فليس لكم حلٌ معهم إلا أن تقفوا في وجوههم صفا واحداً، وأن تحاصروهم كما حاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن تخرجوهم من أرضكم كما أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمر رضي الله عنه، فإنهم لا عهد لهم ولا أمان، فقد نقضوا العهود، وأخلفوا الوعود، وحقدوا على خير خلق الله، فكيف سيفون معكم، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، وقد شاهدتم صنائعهم، فإنهم لم يرحموا الأطفال والنساء فكيف سيرحمون الرجال المقاتلين؟! فلا ترجوا منهم الصلح والسلامة، فإنهم ليسوا أهلاً للسلام، فإن الذي سيسالهم ويفاوضهم، أو يواليهم ويتعاون معهم، فإنهم سيبدأون به ويكون أول فريسة لهم، فاعقلوها وتدبروا كلام الله وكلام

رسوله فيهم، فالحذر الحذر من مكر اليهود عليهم لعائن الله المتوالية إلى يوم الدين، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد:

فأما الآن نسمعكم خبر الطائفة الثالثة من طوائف اليهود، وهم بنو قريظة، وما أدراك ما بنو قريظة، فقد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالهم، وسبى نساءهم، وقسم أموالهم.

وكان من شأنهم أنهم نقضوا العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمالئوا مع الكفار في غزوة الأحزاب لاستئصال المسلمين، فردهم الله خائبين كما

ذكر الله في كتابه الكريم: { وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا } [سورة الأحزاب : 25]

فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة الأحزاب، تجهز لغزو بني قريظة لاستئصالهم، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلَاحَ، وَاغْتَسَلَ أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ : قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ. قَالَ : " فَأَلَيْ أَيْنَ ؟ " قَالَ : هَاهُنَا. وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ.

فحث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على الغزو، كما روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: « لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ » فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدِّ مِنَّا ذَلِكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُعْتَفَ وَاحِدًا مِنْهُمْ

وشاركت الملائكة في قتال بني قريظة، كما شاركت في غزوة بدر، فقد جاء جبريل عليه السلام بصورة دحية الكلبي رضي الله عنه في موكب عظيم من الملائكة، كما روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْعُبَارِ سَاطِعًا فِي رُقَاقِ بَنِي غَنَمٍ مَوْكِبَ جَبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.

فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة، ثم نزلوا على حكمه، فأنزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، وهو رجل من الأوس، وقد كان بنو قريظة حلفاء للأوس، وبينما بنو قينقاع كانوا حلفاء للخزرج، فحكم فيهم سعد بحكم الله من فوق سبع سموات، وكان به جرح فدعا الله ألا يميته حتى يقر عينه من يهود بني قريظة، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ : نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَعْدٍ، فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ : " قُومُوا إِلَي سَيِّدِكُمْ ". أَوْ : " خَيْرِكُمْ ". فَقَالَ : " هَوْلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ ". فَقَالَ : نَقُتِلُ

مُقاتِلَتَهُمْ، وَتَسْبَى ذُرَارِيَهُمْ. قَالَ : " قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ ". وَرُبَّمَا قَالَ : " بِحُكْمِ الْمَلِكِ ". وفي رواية: " **لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة** ". أي من فوق سبع سماوات.

فقتل النبي صلى الله عليه وسلم رجالهم وسبى ذراريهم وقسم أموالهم، وكانوا أربعمائة مقاتل، وذكر ابن كثير أنهم كانوا من السبعمائة إلى الثمانمائة، فحفرت لهم خنادق فقتلوا فيها جميعاً، هذا هو جزاء من كفر بالله، ونقض العهد بينه وبين الله، وبينه وبين رسل الله، هذا جزاؤهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقتل من أنبت منهم، أي قد بلغ الحلم، ويترك ما سوى ذلك، وكان ممن لم ينبت عطية القرظي فخلى سبيله فأسلم وهو من صغار الصحابة رضي الله عنه، فقد روى الترمذي عَنْ عَطِيَّةِ الْقُرْظِيِّ ، قَالَ : عُرِضْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ قُرَيْظَةَ، فَكَانَ مَنْ أَتَيْتَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ خُلِيَ سَبِيلُهُ، فَكُنْتُ مِمَّنْ لَمْ يُنْبِتْ فَخُلِيَ سَبِيلِي.

وأنزل الله في بني قريظة: **{ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (27) }** [سورة الأحزاب : 26 إلى 27]

قال ابن كثير رحمه الله: " قد تقدم أن بني قريظة لما قدمت جنود الأحزاب ، ونزلوا على المدينة ، نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد ، وكان ذلك بسفارة حيي بن أخطب النضري - لعنه الله - دخل حصنهم ، ولم يزل بسيدهم كعب بن أسد حتى نقض العهد ، وقال له فيما قال : ويحك ، قد جئت بك بعز الدهر ، أتيتك بقريش وأحابيشها ، وغطفان وأتباعها ، ولا يزالون هاهنا حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه . فقال له كعب : بل والله أتيتني بذل الدهر . ويحك يا حيي ، إنك مشئوم ، فدعنا منك . فلم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى أجابه ، واشترط له حيي إن ذهب الأحزاب ، ولم يكن من أمرهم شيء ، أن يدخل معهم في الحصن ، فيكون له أسوتهم . فلما نقضت قريظة ، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ساءه ، وشق عليه وعلى المسلمين جداً ، فلما أيد الله ونصر ، وكبت الأعداء وردهم خائبين بأخسر صفقة ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى المدينة مؤيدا منصورا ، ووضع الناس السلاح ... فأمره جبريل عليه السلام بغزو بني قريظة فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم من فوره ، وأمر الناس بالمسير إلى بني قريظة" ١.هـ

وقوله تعالى : **(وأنزل الذين ظاهروهم)** أي : أعانوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم **(من أهل الكتاب)** يعني : يهود قريظة ، من بعض أسباط بني إسرائيل ، كان قد نزل آبائهم الحجاز قديما ، طمعا في اتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، **(فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به)** [البقرة : 89] ، فعليهم لعائن الله المتتالية إلى يوم الدين.

وقوله : **(من صياصيههم)** يعني : حصونهم...

(وقذف في قلوبهم الرعب) : وهو الخوف ; لأنهم كانوا ماثوا المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس من يعلم كمن لا يعلم ، فأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليعزوا في الدنيا ، فانعكس عليهم الحال ، وانقلب الفال ، انشمر المشركون ففازوا بصفقة المغبون ، فكما راموا العز ذلوا ، وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا ، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة ، فصارت الجملة أن هذه هي الصفقة الخاسرة ; ولهذا قال تعالى : **(فريقا تقتلون وتأسرون فريقا)** ، فالذين قتلوا هم المقاتلة ، والأسراء هم الأصاغر والنساء" ١.هـ

اللهم إنا نسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت يا بديع السماوات والأرض يا حي يا قيوم يا منان الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرته في علم الغيب عندك، نسألك باسمك الأعظم الذي إذا دُعيت به أجبت، وإذا سُئلت به أعطيت، نسألك ألا تمتنا حتى تقرر أعيننا في يهود بني صهيون، اللهم اجعل لهم يوما كيوم بني قينقاع ويوما كيوم بني النضير، ويوما كيوم بني قريظة، اللهم فرق جمعهم، وشتت شملهم، ومزق صفوفهم، وأفشل خططهم، وخيب مكرهم، ورد كيدهم في نحورهم، وزلزل الأرض من تحت أقدامهم، واجعل بأسهم بينهم، ورد رصاصاتهم في نحورهم، ودمر من تعاون معهم، اللهم عليك باليهود والنصارى أجمعين، اللهم عليك بمن مكر بهذا الدين، اللهم عليك بمن اعتدى على

المسلمين، اللهم لا ترفع لهم راية، ولا تحقق لهم غاية، واجعلهم لمن خلفهم
عبرة وآية، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم، اللهم اجعل
لهم يوما كيوم عاد، وفرعون ذي الأوتاد، وثمود الذين جابوا الصخر
بالواد، اللهم كن لهم بالمرصاد، يا قوي يا متين.

اللهم امكر بمن مكر بهذا الدين، وامكر بمن مكر بالمسلمين، وامكر بكل حاقد
على حملة هذا الدين، اللهم دمرهم تدميرا، ولا تبق منهم صغيرا ولا كبيرا، الله
أرنا فيهم عجائب قدرتك يا ذا القوة والجبروت.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم احفظ إخواننا في
فلسطين، اللهم كن لهم عوناً ونصيراً، ومعيناً وظهيراً، اللهم انصر الإسلام
والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من
خذل الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خطبة بعنوان

[(دروس وعبر من غزوة الفتح)]⁽¹⁸⁾

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

¹⁸-المصادر بعد القرآن والسنة، الصحيح المصنف من سيرة النبي المصطفى للشيخ سليم الهلالي حفظه الله، وبعض كتب
السيرة، كالرحيق المختوم، وسيرة ابن هشام.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [سورة النساء : 1]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) }
سورة الأحزاب : 70 إلى 71]

عباد الله:

اعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأن خير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فيقول رب العزة والجلال في محكم التنزيل: **{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3) }** [سورة النصر : 1 إلى 3]

هذه السورة الكريمة فيها بشارة من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بفتح مكة وإعلام للنبي صلى الله عليه وسلم بقرب أجله، وهي آخر سورة نزلت من القرآن الكريم، كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي هذا اليوم نأخذ ما يسر الله من الدروس والعبر والفوائد والمواعظ من هذه الغزوة التي كانت الفيصل بين الإسلام والكفر، وكانت الفيصل بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومه من مشركي قريش، فإن الله عز وجل أعز فيها الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، وكسر شوكة كفار قريش إلى الأبد، وإن كان قد حصل لهم نكسة في غزوة بدر لكنهم قاموا بعدها في بعض الغزوات، أما في هذه الغزوة فإنها لم تقم لهم قائمة بعدها، بل دخل الناس في دين الله أفواجا كما أخبر الله في سورة النصر.

وقد كانت هذه الغزوة في شهر رمضان من السنة الثامنة من الهجرة النبوية.

وكان سببها أن نبي الله صلى الله عليه وسلم خرج مع مجموعة من أصحابه معتمرين وزائرين لبيت الله الحرام فصدتهم قريش ومنعتهم من زيارة البيت لذلك العام، فجرى صلح بين الفريقين على أن يرجعوا هذا العام وألا يطوفوا بالبيت، وإنما يعتمروا في العام القابل، فأخذ بعض الصحابة في أنفسهم بسبب الظلم التي تضمنته تلك الشروط التي أبرمت في صلح الحديبية، منهم عمر رضي الله عنه، فكان ظاهر هذه الشروط الظلم والجور على المسلمين، إذ كان منها: "أَنَّهُ لَا يَأْتِي الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ رَجُلٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِهِمْ، إِلَّا رَدَّه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ أَتَى الْكُفَّارَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ" فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: "بَلَى". قَالَ: أَلَيْسَ قَتَلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: "بَلَى". قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدِّيْنَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: "يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا" ثُمَّ جَاءَ أَبَا بَكْرٍ فَأَخْبَرَهُ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا. قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْفَنَحْ هُوَ؟ قَالَ: "نَعَمْ". فَطَابَتْ نَفْسُهُ، وَرَجَعَ. والحديث في الصحيحين.

فكان هذا الصلح تمهيدا لفتح مكة؛ لأن الله تعالى يعلم ما لا يعلمون، وقد أسلم كثير من الناس في تلك الحقبة من الزمن، وكان من شاء أن يدخل في حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده دخل، فدخلت خزاعة في حلف رسول الله، ولذلك أنزل الله عقب ذلك الصلح قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [سورة الفتح: 1]

قال ابن كثير رحمه الله: "نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ليقضي عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك على تكرهه⁽¹⁹⁾ من جماعة من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ... فلما نحر هديه

19- أي أن بعض الصحابة كره ذلك وهو الرجوع إلى المدينة بغير عمرة، وقبول تلك الشروط الجائرة.

حيث أحصر ، ورجع ، أنزل الله عز وجل ، هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم ، وجعل ذلك الصلح فتحا باعتبار ما فيه من المصلحة ، وما آل الأمر إليه ، كما روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - وغيره أنه قال : إنكم تعدون الفتح فتح مكة ، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية"اله.

وكان من فوائد تلك الهدنة أن دخل الناس في دين الله أفواجا،فقد جاء في بنود الصلح أن من شاء أن يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل،ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل،فدخلت خزاعة في عقد محمد عليه الصلاة والسلام وعهده، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم،فلبثوا في تلك الهدنة سبعة عشر شهرا أو ثمانية عشر شهرا، فاعتدت بنو بكر على خزاعة فوثبوا عليهم ليلا،ونقضت قريش الصلح فأمدت بني بكر بال سلاح والكراع وقاتلت معهم،فركب عمرو بن سالم الخزاعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره الخبر،فلما وصل المدينة قال هذه الأبيات:

يا رب إني ناشد محمدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلادا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ... ثمّة أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرنا أيذا...وإدع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا...أبيض مثل البدر يسمو صعدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا....إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكداوجعلوا لي في كداء رسدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا...وهم أذل، وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نصرت يا عمرو بن سالم" ثم عرضت له سحابة من السماء فقال: "إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب".

ثم ندمت قريش على ما صنعت فأرسلت أبا سفيان يجدد العقد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فدخل على ابنته أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان، رضي الله عنها، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه، فقال: يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرضي الله عن أم المؤمنين رمة بنت أبي سفيان، أثرت فراش رسول الله على أبيها، إنه الولاء لله ولرسوله، والبراء من أعداء الله وأعداء رسوله ولو كان أقرب قريب، ليس كما يفعل بعض المسلمين اليوم من الولاء لأعداء الله وأعداء رسوله والعياذ بالله.

ثم قال أبو سفيان : والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر. ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه، فلم يرد عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبي بكر، فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه، فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فو الله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به، رضي الله عن عمر فقد كان لا تأخذه في الله لومة لائم، ورضي الله عن الصحابة أجمعين.

ثم خرج أبو سفيان فدخل على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها، وعندها حسن بن علي، غلام يدب بين يديها، فقال: يا علي، إنك أمس القوم بي رحماً، وإنني قد جئت في حاجة، فلا أرجعن كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى رسول الله، فقال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

فسبحان الله كيف اجتمعت كلمة الخلفاء الأربعة على شيء واحد لم يختلفوا، ولم يحابوا ولم يداهنوا، وهذا هو سر الانتصار بإذن الله، بينما الخلاف والخianات فهي من أعظم أسباب الانهزام.

ثم رجع أبو سفيان خائباً وخابت قريش، وخاب كل غادر، وكل فاجر وكافر، فإن عواقب الغدر وخيمة، والعواقب الحميدة للمتقين.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: نعم، فتجهز، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدري. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ، فتجهز الناس وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها. فاستجاب الله دعوته فعمى الله خبر المسلمين عن قريش، فلم يبلغ قريشا شيء من خبره وما يدرون ما هو صانع بهم، حتى إن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتب إلى قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيغزوهم يريد بذلك أن يحموا قرابته عندهم، ولم يفعل ذلك ارتدادا عن دينه ولا سخطا له، فنزل الوحي بما فعله حاطب، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عليا ورجلين معه لأخذ الكتاب، فأدركوا المرأة التي حملت الكتاب إلى قريش فأخذوه منها فقال عليه الصلاة والسلام: "ما هذا يا حاطب" فاعتذر عذرا قبله منه، وأنزل الله في شأنه معاتبا له ومخاطبا له باسم الإيمان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [سورة الممتحنة : 1]

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مضين من رمضان في السنة الثامنة من الهجرة بعشرة آلاف مقاتل من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من جنود الإسلام وخرج أبو سفيان ومعه نفر يتحسسون خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا جيشا لا قبل لهم به، فأسلم العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسلم أبو سفيان بن حرب وعبدالله بن أمية.

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران، قال العباس بن عبد المطلب: فقلت: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

فجاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به، قال: فذهبت به إلى رحلي، فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد، قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً. فقال له العباس: ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك. قال: فشهد شهادة الحق، فأسلم.

وروى أبو داود عن ابن عباس، رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب، فأسلم بمر الظهران، فقال له العباس: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فلو جعلت له شيئاً. قال: "نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن". قال: فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

وفي رواية عند مسلم أن أبا سفيان، قال: يا رسول الله أبيت خضراء⁽²⁰⁾ فريش، لا فريش بعد اليوم. قال أبو سفيان: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن".

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عباس، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل أي ازدحامها، حتى تمر به جنود الله فيراها. قال: فيراها، ففعل، فمرت القبائل على راياتها، كلما مرت به قبيلة قال: يا عباس من هذه؟ فيقول: مثلاً-: سليم، فيقول: مالي ولسليم؟ ثم تمر به القبيلة فيقول: يا عباس من هؤلاء؟ فيقول: مزينة، فيقول: مالي ولمزينة؟ حتى نفدت القبائل، ما تمر به قبيلة إلا سأل العباس عنها، فإذا أخبره قال مالي ولبني فلان؟ حتى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال: سبحان الله يا عباس من

20-أي: معظمها وجماعتها.

هؤلاء؟ قال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار. قال: ما لأحد بهؤلاء قبْل ولا طاقة. ثم قال: والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً. قال العباس: يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: فنعم إذن.

ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال له العباس: النجاء إلى قومك. فأسرع أبو سفيان حتى دخل مكة، وصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد، قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه زوجته هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه، فصارت تسبه وتقبحه وتهدد بقتله، قال أبو سفيان: ويلكم، لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا: قاتلك الله، وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. فتنفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد، وبثوا أوباشاً لهم، وقالوا: نقدم هؤلاء [يعني لمواجهة جيش الإسلام] فإن كان لقريش شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا. فتجمع سفهاء قريش وأخفاؤها مع عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو بالخدمة ليقاتلوا المسلمين، وكان فيهم رجل من بني بكر - حماس بن قيس - كان يعد قبل ذلك سلاحاً، فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه قالت: والله ما يقوم لمحمد وأصحابه شيء.

فكان خالد بن الوليد وأصحابه رضي الله عنهم لا يلقاهم أحد من المشركين إلا أناموه، وقُتل من أصحابه من المسلمين كرز بن جابر الفهري وخنيس بن خالد بن ربيعة، كانا قد شذا عن الجيش، فسلكا طريقاً غير طريقه فقتلا جميعاً، وأما سفهاء قريش فلقبهم خالد وأصحابه بالخدمة فناوشوهم شيئاً من قتال، فأصابوا من المشركين اثني عشر رجلاً فانهزم المشركون، وانهزم حماس بن قيس - الذي كان يعدُّ السلاح لقتال المسلمين - حتى دخل بيته، فقال لامرأته: أغلقي علي الباب.

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى حتى انتهى إلى ذي طوى - وكان يضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى أن شعر لحيته ليكاد يمس واسطة الرحل - وهناك وزع جيشه وكان خالد بن الوليد على المجنبه اليمنى - وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب - فأمره أن يدخل مكة من أسفلها، وقال: إن عرض لكم أحد من

قريش فاحصدوهم حصداً، حتى توافوني على الصفا. وكان الزبير بن العوام على المجنبه اليسرى، وكان معه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمره أن يدخل مكة من أعلاها- من كداء- وأن يغرز رايته بالحجون، ولا يبرح حتى يأتيه. وكان أبو عبيدة على الرجالة والحسر وهم الذين لا سلاح معهم- فأمره أن يأخذ بطن الوادي، حتى ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصدق الله الكريم إذ يقول: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3) } [سورة النصر : 1 إلى 3]

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، الحمد لله منزل الكتاب ومجري السحاب وسريع الحساب وهازم الأحزاب.

أيها الإخوة المسلمون:

إن لنا في هذه الأحداث وهذه السير وهذه الفتوحات لعبر لأولي الألباب، فينبغي أن نتفكر ونعتبر كيف أعز الله أولئك الرجال ونصرهم، إنهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إنه الإخلاص والصدق، والتوحيد

والإيمان، أولئك قوم صدقوا ربهم فصدقهم الله، وتمسكوا بدينهم فأعزهم، فينبغي أن نكون مثلهم، ليعزنا الله كما أعزهم.

فتشبهوا إلم تكونوا مثلهم :::: إن التشبه بالكرام فلاحُ

فليس بيننا وبينهم فروق، فإنهم بشر مثلنا، إلا أنهم أبلوا في دينهم بلاءً حسناً، وآثروا الأخرى على الدنيا، فيجب أن نتأسى بهم في العقائد والأعمال والأقوال، فإنهم صححوا عقيدتهم، وحققوا توحيدهم لربهم، وتمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، واجتمعت كلمتهم ووجدوا صفوفهم، وكانوا إخوة على قلب رجل واحد منهم، وزهدوا في الدنيا ولم ينشغلوا بها فأتتهم وهي راغمة، وأما في هذا الزمان فحدث ولا حرج من المخالفات والفساد، فهناك فساد في الأخلاق، وفساد في العقائد، وفساد في المعاملات، وتقصير في الواجبات وبُعد عن الطاعات وموالاتة للكافرين، وانهماك في الدنيا، وهناك تفرقات وحزبيات إلا من رحم الله تعالى، فإذا أردنا أن يعزنا الله وأن ينصرنا على أعدائنا فعلينا بالسير على ما سار عليه أولئك، فنلزم غرضهم ونقتفي آثارهم ونسير على منارهم، ونفهم الدين على فهمهم، وإلا فلا نلوم إلا أنفسنا إن سلط الله علينا أعداءنا، فإن لنا عبرة بما حصل لسلفنا من النصر والتمكين والأمن والاستخلاف بسبب حسن سيرهم، وبإخلاصهم وتوحيدهم، وتوكلهم على ربهم، ولنا عبرة بما حصل لنا في هذا الزمان من تسلط أعدائنا علينا، كل ذلك راجع إلى ذنوبنا، وتخلفنا عن منهج نبينا الذي أرشدنا إليه، ومنهج سلفنا الذي دلنا عليه.

عباد الله:

دخل الجيش الإسلامي مكة وتحركت كل كتيبة من الجيش الإسلامي على الطريق التي كلفت الدخول منها، وأعز الله المسلمين وأذل الله المشركين، وأقبل خالد يجوس مكة حتى وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا كما وعده.

وأما الزبير فتقدم حتى نصب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون عند مسجد الفتح، وضرب له هناك قبة، فلم يبرح حتى جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام وظهره من الأصنام، والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله، فأقبل

إلى الحجر الأسود، فاستلمه، ثم طاف بالبيت طواف قدوم، ولم يسع، ولم يكن معتمراً، وفي يده قوس، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنهما بالقوس، ويقول: **{وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً} {قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد} والأصنام تتساقط على وجوهها، فله الحمد والمنة⁽²¹⁾**

فلما أكمل النبي صلى الله عليه وسلم طوافه دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، فأمر بها ففتحت، فدخلها، فرأى فيها الصور، ورأى فيها صورة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - يستقسمان بالأزلام، فقال: قاتلهم الله، والله ما استقسما بها قط.

ورأى في الكعبة حمالة من عيدان، فكسرها بيده، وأمر بالصور فمحييت، في هذا دليل على تحريم تصوير ذوات الأرواح سواء كانت منحوتة أو مرسومة، وأنه يجب تغييرها، بتكسير المنحوت منها، وبمحو المرسوم، ويدخل في التحريم الصور الفتوغرافية الشمسية، فإن العلة واحدة وهي المشابهة لخلق الله تعالى.

بعد ذلك صلى نبينا صلى الله عليه وسلم - في الكعبة ثم خطب أمام قريش، ثم أغلق عليه الباب، وعلى أسامة وبلال، فاستقبل الجدار الذي يقابل الباب، ثم صلى هناك، ثم دار في البيت، وكبر في نواحيه، ووحد الله، ثم فتح الباب، وقريش قد ملأت المسجد صفوفًا ينتظرون ماذا يصنع؟ فأخذ بعضادتي الباب، وهم تحته، فقال: **"لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة⁽²²⁾ أو مال أو دم فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ"**

وكان دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وهو راكب على ناقته وعلى رأسه المغفر، ورأسه يكاد يمس مقدمة الرجل من تواضعه لربه عز وجل، واغتسل النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أم هانئ وصلى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين.

21- والحديث في الصحيحين
22- أي مفخرة من مفاخر العرب

فيا عباد الله: إننا نحتاج إلى مثل هذا الجيش، وإلى مثل هؤلاء الرجال، وإلى مثل هؤلاء الأبطال الموحدين لربهم، المتابعين لنبيهم، الصادقين في دينهم، نحتاج إلى مثلهم لتطهير بيت المقدس من درن اليهود وإخراجهم من بلاد الشام، كما طهر رسول الله عليه الصلاة والسلام الكعبة من رجس الأصنام، وكما أخرج اليهود من المدينة وخيبر، وسيأتي هذا الجيش في آخر الزمان كما وعد بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وكان من حلم النبي صلى الله عليه وسلم وعفوه أنه آمن الناس يوم الفتح إلا أناسا معدودين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهجونه، وكانوا حربا على الإسلام والمسلمين، ومنهم من ارتد عن الإسلام وهو ابن خطل، كما عند النسائي عن سعد، رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ آمَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَأَمْرَاتَيْنِ، وَقَالَ: " أَقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ". عِزْرَمَةُ بِنْتُ أَبِي جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطْلٍ، وَمِقْيِسُ بْنُ صُبَابَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ، فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطْلٍ فَأُذِرَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا، وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ فَقَتَلَهُ، وَأَمَّا مِقْيِسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأُذِرَكَ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَقَتَلُوهُ، وَأَمَّا عِزْرَمَةُ فَارْكَبَ الْبَحْرَ، فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ أَخْلَصُوا؛ فَإِنَّ إِلَهَكُمْ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا. فَقَالَ عِزْرَمَةُ: وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ لَا يُنَجِّنِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ، فَلَأَجِدَنَّهُ عَفْوًا كَرِيمًا. فَجَاءَ فَأَسْلَمَ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ، فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ، حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايَعْتُكَ عَنْ رَأْسِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: " أَمَّا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَأَيْتُ كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟ " فَقَالُوا: وَمَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، هَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ؟ قَالَ: " إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةٌ أَعَيْنَ "

وكانت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح فبين حرمة مكة وأنها لم تحل لأحد قبله ولا تحل لأحد بعده، وقد أحلت له ساعة من نهار، وهي غير ساعته تلك حرام.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه قال إن رسول الله من الغد من يوم فتح مكة حمد الله وأثنى عليه ثم قال: " **إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْصِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا؛ فَقُولُوا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ، وَلَمْ يَأْذِنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**"

وهو معنى قوله تعالى: **{ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ }** [سورة البلد : 2] أي أن الله أحل له القتال فيها ساعة من نهار ثم عادت على الحرمة كما كانت وإلى الأبد.

ثم بعث النبي صلى الله عليه وسلم السرايا إلى من حول مكة من أحياء العرب يدعوهم إلى الإسلام، وكان في تلك البعوث بعث خالد إلى العزى، وكان بيتا تعظمه قريش وكنانة وجميع مضر، فدمرها رضي الله عنه من إمام وشجاع، وكان عكرمة بن أبي جهل قد هرب إلى اليمن، فلحقته امرأته وهي مسلمة وهي أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فردته بأمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم وحسن إسلامه، وكذا صفوان بن أمية كان قد فر إلى اليمن، فتبعه صاحبه في الجاهلية عمير بن وهب بأمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فردته، وسيره صلى الله عليه وسلم أربعة أشهر، فلم تمض حتى أسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين والحمد لله رب العالمين.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، اللهم عليك باليهود والنصارى والمنافقين، اللهم عليك بهم وبمن تعاون معهم ضد الإسلام والمسلمين، اللهم أصلح الراعي والرعية، وارحم الأمة المحمدية، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

خطبة بعنوان

[(دروس وعبر من غزوة حنين)]⁽²³⁾

الخطبة الأولى/

²³-المصادر بعد القرآن والسنة، الصحيح المصنف من سيرة النبي المصطفى للشيخ سليم الهلالي حفظه الله، وبعض كتب السير، كسيرة ابن هشام، وكتاب دلائل النبوة للبيهقي.

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [سورة النساء : 1]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) }
سورة الأحزاب : 70 إلى 71]

عباد الله:

اعلموا أن أصدق الحديث كتابُ الله تعالى، وأن خيرَ الهدى هدى نبينا محمدٍ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

أما بعد:

فيقول رب العزة والجلال في محكم التنزيل: **{ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۚ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۖ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ }** [سورة التوبة : 25]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله وأن ذلك من عنده تعالى، وبتأييده وتقديره، لا بعددهم ولا بعددهم، ونبههم على أن النصر من عنده، سواء قل الجمع أو كثر، فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئاً فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . ثم أنزل [الله] نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه، .. ليعلمهم أن النصر من عنده تعالى

وحده وبإمداده وإن قل الجمع ، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ،
والله مع الصابرين ...".^{١٥}

وفي هذا اليوم نأخذ بعض الدروس والعبر من هذه الغزوة العظيمة التي كانت موطنًا عظيمًا من مواطن العز والتمكين التي أعز الله به الإسلام والمسلمين، فإن في معرفة مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وقراءة سيرهم لعبرة لأولي الألباب، فإن المسلم يستفيد من سيرهم وغزواتهم ، ويأخذ منها العبر والعظات والدروس في حياته ، ويزيد بذلك إيمانه، ويعلم ماذا جرى لأولئك الأخيار الأبرار، من المهاجرين والأنصار والذين لحقوهم من القرى والأمصار، فيتأسى بهم ويسير على نهجهم، فرضي الله عنهم وأرضاهم، فقد قدموا للإسلام والمسلمين كل غالٍ ونفيس، وبذلوا في سبيل ذلك دمائهم، وتركوا أوطانهم، وهاجروا من أجل دينهم، يبتغون رضا ربهم، وحموا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يحمون منه أنفسهم وأعراضهم، وفدوه بأرواحهم وجعلوا نحورهم دون نحره، وأعز الله بهم دينه، ووصل إلينا الدين غصًا طريًا عن طريقهم، فهم سلفنا يجب علينا أن نجلهم ونتأسى بهم ونتبعهم كما أمرنا الله بذلك، وأمرنا نبيه كذلك، فقد مات عليه الصلاة والسلام وهو عنهم راضٍ، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله؛ لأنهم أولياؤه وأصفياءه وصحابة نبيه، فقد رضي عنهم وشهد لهم بالجنة، فلا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، ولن يبلغ أحد إلى ما بلغوا، ولا يسبقهم أحد بالشرف والفضل مهما كثرت عبادته، وكيفما كان عمله؛ لأن شرف الصلبة لا يعدلها شيء.

قال تعالى: **{ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }** [سورة التوبة : 100]

أيها المسلمون:

إن في غزوة حنين دروسًا وعبرًا وفوائد يستفيد بها المسلم في حياته، فمن هذه الفوائد التي نستفيد بها من هذه الغزوة: أن النصر ليس بالكثرة وأن الهزيمة ليست بالقلّة، وإنما النصر من عند الله، وله أسباب منها الإيمان والإخلاص والطاعات والتوكل على الله والأعتماد عليه والثقة به، والبعد عن المخالفات والمنكرات والبدع والمحدثات والاختلافات فإنها سبب للإنهزام وسبب للذلة

والانتكاسة وتسلب الأعداء، وقد نصر الله نبيه ومن معه من المسلمين في غزوة بدر وهم قلة قليلة، بل كانوا غير مستعدين للقتال؛ لأنهم خرجوا لاعتراض القافلة، فنصرهم الله بإيمانهم وتوحيدهم ودعائهم وتوكلهم على الله، وأهلك عدوهم وهم ثلاثة أضعافهم، قال تعالى: **{ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }** [سورة آل عمران : 123]

ونصر الله طالوت وجنوده وهم قلة قليلة، فقد كانوا على عدد أهل بدر وهم ثلاثمائة وبضعة عشر، وهزم الله جالوت وجنوده وهم كثرة هائلة، كما أخبر الله عنهم في كتابه: **{ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۚ }** [سورة البقرة : 249 إلى 251]

وبالمقابل فقد هُزم المسلمون في غزوة حنين في أول الأمر وهم كثرة، إذ كانوا اثني عشر ألفاً، فأعجبوا بكثرتهم، فقال بعضهم: لن نهزم اليوم من قلة، فحصلت الهزيمة في أول المعركة ولم يبق إلا القليل ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم نحو المائة، فثبتهم الله عز وجل فسطوا على عدوهم وهزموهم بإذن الله تبارك وتعالى، لتعلموا أن الكثرة ليست سبباً للنصر، وليست الأكثرية أيضاً حجة، كما قال تعالى: **{ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ }** [سورة يوسف : 103] وقال سبحانه: **{ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ }** [سورة الأنعام : 116]

وتكون الأكثرية ممدوحة إذا كانت على الحق، ولن تكون الكثرة سبباً للنصر إلا مع الإخلاص والتواضع والتضرع بين يدي الله والاعتماد عليه كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه في غزوة الفتح وعددهم عشرة آلاف مقاتل، لكنهم دخلوها متواضعين لله متضرعين بين يديه يدعون الله بالنصر والتمكين فنصرهم الله ومكنهم ودخل الناس في دين الله أفواجا.

قال ابن كثير في تفسيره في شأن غزوة حنين: "وقد كانت وقعة " حنين " بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة ، وذلك لما فرغ عليه السلام من فتح مكة ، وتمهدت أمورها ، وأسلم عامة أهلها ، وأطلقهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبلغه أن هوازن جمعوا له ليقاتلوه ، وأن أميرهم مالك بن عوف النضري ، ومعه ثقيف بكمالها ، وبنو جشم وبنو سعد بن بكر ، وأوزاع من بني هلال ، وهم قليل ، وناس من بني عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، وقد أقبلوا معهم النساء والولدان والشاء والنعم ، وجاءوا بقضهم وقضيضهم فخرج إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جيشه الذي جاء معه للفتح ، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب ، ومعه الذين أسلموا من أهل مكة ، وهم الطلقاء في ألفين أيضا ، فسار بهم إلى العدو ، فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له " حنين " ، فكانت فيه الواقعة في أول النهار في غلس الصبح ، انحدروا في الوادي وقد كمنت فيه هوازن ، فلما تواجهوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد ثاوروهم ورشقوا بالنبال ، وأصلتوا السيوف ، وحملوا حملة رجل واحد ، كما أمرهم ملكهم ، فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين ، كما قال الله - عز وجل - وثبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها إلى نحر العدو ، والعباس عمه أخذ بركابها الأيمن ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أخذ بركابها الأيسر ، يثقلانها لثلا تسرع السير ، وهو ينوه باسمه - عليه الصلاة والسلام - ويدعو المسلمين إلى الرجعة [ويقول] أين يا عباد الله ؟ إليّ أنا رسول الله ، ويقول في تلك الحال : " **أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبٌ** **أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ** "

وثبت معه من أصحابه قريب من مائة ، ومنهم من قال : ثمانون ، فمنهم : أبو بكر ، وعمر - رضي الله عنهما - والعباس وعلي ، والفضل بن عباس ، وأبو سفيان بن الحارث ، وأيمن بن أم أيمن ، وأسامة بن زيد ، وغيرهم - رضي الله عنهم - ثم أمر - صلى الله عليه وسلم - عمه العباس - وكان جهير الصوت - أن ينادي بأعلى صوته : يا أصحاب الشجرة - يعني شجرة بيعة الرضوان ، التي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها ، على ألا يفروا عنه - فجعل ينادي بهم : يا أصحاب السمرة ويقول تارة : يا أصحاب سورة البقرة ، فجعلوا يقولون : يا لبيك ، يا لبيك ، وانعطف الناس فجعلوا يترجعون إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى إن الرجل منهم إذا

لم يطاوعه بغيره على الرجوع ، لبس درعه ، ثم انحدر عنه ، وأرسله ، ورجع بنفسه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فلما رجعت شزيمة منهم ، أمرهم عليه السلام أن يصدقوا الحملة ، وأخذ قبضة من التراب بعدما دعا ربه واستنصره ، وقال : **"اللهم أنجز لي ما وعدتني"** ثم رمى القوم بها ، فما بقي إنسان منهم إلا أصابه منها في عينيه وفمه ما شغله عن القتال ، ثم انهزموا ، فاتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون ويأسرون ، وما تراجع بقية الناس إلا والأسارى مجدلة بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وكان من شأن أمير هوازن مالك بن عوف النصري أن أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس وهي وادٍ في ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين، اجتمع إليه الناس، وفيهم دريد بن الصمة في شجار له يقاد به، وكان رجلاً مسناً أعمى ذا رأي فيهم، وقد كان أميرهم السابق، فلما نزل قال: بأي وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل! ثم قال: ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء ؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم لئلا يفروا، قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك ودعي له، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام. ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولم ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله، ليقا تل عنهم، فزجره ثم قال: وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدا منها أحد، قال: غاب الحد والجدة، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب، (يعني لو تركوا الغزو) يا مالك، ارفعهم إلى متمنع بلادهم وعليا قومهم، (يعني النساء والصبيان والشاء) فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك ألك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك. قال: والله لا أفعل ذلك، إنك قد كبرت وكبر عقلك، والله لتطعينني يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري. وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأي، فقالوا: أطعناك،

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة، فكانوا اثني عشر ألفاً، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن، ثم مر النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وفيهم من الأعراب حديثو عهد بإسلام فمروا على شجرة للمشركين يتبركون بها ويعلقون بها أسلحتهم فقالوا يا رسول الله اجعل لنا شجرة مثلهم نتبرك بها ونعلق أسلحتنا بها لتنكي بالعدو فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، وبين لهم أن التبرك بالشجر أو الحجر أو القبور ونحو ذلك شرك، كما عند الترمذي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى حنين مرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهُ: **ذَاتُ أَنْوَاطٍ**. يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا **ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ**. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **سُبْحَانَ اللَّهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ } وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** ".

وروى مسلم عن عباس رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت أنا، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار، قال عباس: وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **أي عباس، ناد أصحاب السمرة (24)** ". فقال عباس - وكان رجلاً صبيّاً - فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله، لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفاً البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك. قال: فاقننلوا والكفار، والدعوة (25) في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار. قال: ثم فصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا

24- أي شجرة بيعة الرضوان التي بايعوا تحتها.

25- أي: الاستغاثة والمناداة إليهم.

بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ. فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " هَذَا حِينَ حَمَى الْوُطَيْسُ (26) ". قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصِيَّاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: " انْهَزْمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ ". قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصِيَّاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا (27)، وَأَمَرَهُمْ مُدْبِرًا. وَقَالَ: " انْهَزْمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، انْهَزْمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ". وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ: حَتَّى هَرَمَهُمُ اللَّهُ قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكُضُ خَلْفَهُمْ عَلَى بَغْلَتِهِ.

وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما قال: لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِي حُنَيْنٍ، قَالَ: انْحَدَرْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ أَجُوفَ حَطُوطٍ (28)، إِنَّمَا نَنَحِدُ فِيهِ انْحِدَارًا، قَالَ: وَفِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ (29)، وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ كَمَثُوا لَنَا فِي شِعَابِهِ، وَفِي أَحْنَائِهِ (30) وَمَضَائِقِهِ، قَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيَّئُوا وَأَعَدُّوا، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا رَاعَنَا وَنَحْنُ مُنْحَطُّونَ إِلَّا الْكَتَائِبُ قَدْ شَدَّتْ عَلَيْنَا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَانْهَزَمَ النَّاسُ رَاجِعِينَ، فَاسْتَمَرُّوا لَا يَلُوي (31) أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ، وَانْحَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ الْيَمِينِ، ثُمَّ قَالَ: " إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمَّ إِلَيَّ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ". قَالَ: فَلَا شَيْءَ احْتَمَلْتُ إِلَّا بَعْضُهَا بَعْضًا، فَانْطَلَقَ النَّاسُ، إِلَّا أَنْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَهْطًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ غَيْرَ كَثِيرٍ، ثَبَتَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَابْنُهُ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَيُّمُنُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَهُوَ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنَ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: وَرَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرٌ، فِي يَدِهِ رَايَةٌ لَهُ سَوْدَاءُ، فِي رَأْسِ رُمْحٍ طَوِيلٍ لَهُ أَمَامَ النَّاسِ وَهَوَازِنُ خَلْفَهُ، فَإِذَا أَدْرَكَ طَعَنَ بِرُمْحِهِ، وَإِذَا فَاتَهُ النَّاسُ رَفَعَ لِمَنْ وَرَاءَهُ فَاتَّبَعُوهُ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: بَيْنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ هَوَازِنَ صَاحِبُ الرَّايَةِ عَلَى جَمَلِهِ ذَلِكَ، يَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ إِذْ هَوَى لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُرِيدَانِهِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ عَلِيٌّ مِنْ خَلْفِهِ فَضَرَبَ عِرْقُوبِي الْجَمَلِ، فَوَقَعَ عَلَى عَجْزِهِ، وَوَثَبَ الْأَنْصَارِيُّ عَلَى الرَّجُلِ، فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً أَطْنَّ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ،

26- أي: اشتدت الحرب.

27- أي: قوتهم ضعيفة.

28- أي: واسع كبير القعر.

29- أي: ظلمة الصبح.

30- أي: منعطفاته.

31- أي: لا يلتفت ولا يميل.

فَانْجَعَفَ عَنْ رَحْلِهِ، وَاجْتَلَدَ النَّاسُ، فَوَاللَّهِ مَا رَجَعْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ حَتَّى وَجَدُوا الْأَسْرَى مُكَتَفِينَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وروى مسلم عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: "فَلَمَّا غَشُّوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَقَالَ: " شَاهَتِ (32) الْوُجُوهُ ". فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنِيهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أثبت القوم لم يفر ولم يجبن، فلعمرو الله لقد كان أشجع القوم وأقواهم، وكان يكون في المقدمة، بل يتقدم ببغلته نحو العدو، وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا حمي الوطيس اتقوا به عليه الصلاة والسلام، فقد روى الإمام أحمد عن **عليٍّ** رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا حَضَرَ الْبَاسُ يَوْمَ بَدْرٍ **اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ مَا كَانَ، أَوْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْهُ.

وفي غزوة أحد كان كذلك فر من فر وهو في قلب المعركة حتى أهدق المشركون به، حتى قُتِلَ حوله سبعة من أصحابه دفاعاً عنه صلى الله عليه وسلم، وفي غزوة حنين كان كذلك، فقد روى البخاري أن رجلاً قال **لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاءً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ فَأَنْهَزَمُوا، فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْغَنَائِمِ وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَخَذَ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ"

فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتبعهم فيها المسلمون يقتلونهم وغنمهم الله نساءهم، وذرايرهم، وشاءهم، وفر رأسيسهم مالك بن عوف، حتى دخل حصن الطائف في ناس من أشراف قومه، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وإعزازه دينه.

ولقد كان لنساء الصحابة مواقف مشرفة في الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عندهن شجاعة وبسالة عجيبة، حيث كن يثبتن المجاهدين ويشجعنهم، ويدفعن بأزواجهن وأبنائهن إلى أرض القتال، ويشاركن في المشورة، من هذه النسوة أم سليم رضي الله عنها كما عند مسلم عَنْ أَنَسٍ، رضي الله عنه أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خَنْجَرًا فَكَانَ مَعَهَا، فَرَأَاهَا أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خَنْجَرٌ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا هَذَا الْخَنْجَرُ ؟ " . قَالَتْ : اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ. فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلُقَاءِ (33) ؛ انْهَزَمُوا بِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ " .

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على نبيه المجتبي ورسوله المرتضى، بعثه الله إلى الورى بالنور والهدى، وبالسنة الغراء ليلها كنهارها، وعلى آله الأتقياء وصحابته الأبرياء وعلى من تبعهم إلى يوم الدين.

33- هم الذين خلى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقهم.

أما بعد:

فمن المعجزات لنبينا صلى الله عليه وسلم، والكرامات لأصحابه رضوان الله عليهم، أن الملائكة شاركت مع المؤمنين في هذه الغزوة كما شاركت في غزوة بدر والأحزاب وغيرها من الغزوات، فثبت الله بهم المؤمنين وهزم بهم المشركين، كما قال تعالى: **{ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ }** [سورة الأنفال : 12]

وفي غزوة الأحزاب قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا }** [سورة الأحزاب : 9]

وفي هذه الغزوة أيد الله المؤمنين بالملائكة بعد أن ولوا مدبرين ولم يبق إلا القليل منهم بسبب ما حصل لهم من كيد ومكر من المشركين إذ كمنوا لهم في تلك الشعاب وباغتوهم في ذلك الوقت قبل أن يسفر الصفح فحصلت لهم الربة والاضطراب، وهذا من طبيعة البشر أن يحصل لهم من هذه الأمور عند المفاجآت، لكن الله ثبت نبينا صلى الله عليه وسلم ومن معه وأيدهم بجنود لم يروها، قال تعالى: **{ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ }** [سورة التوبة : 26]

قال المفسر السعدي رحمه الله: "والسكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفطعات، مما يثبتها، ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد. **{ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا }** وهم الملائكة، أنزلهم الله معونة للمسلمين يوم حنين، يثبتونهم، ويبشرونهم بالنصر **{ وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا }** بالهزيمة والقتل، واستيلاء المسلمين على نسائهم وأولادهم وأموالهم. **{ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ }** يعذبهم الله في الدنيا، ثم يردهم في الآخرة إلى عذاب غليظ" اهـ.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، (أنه حدث) عن جبير ابن مطعم، قال: لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد (34)

34-أي الكساء الأسود.

الأسود، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت، فإذا نمل أسود ماثوث قد ملأ الوادي، لم أشك أنها الملائكة، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم.

وروى الإمام أحمد عن أبي عبد الرحمن الفهري رضي الله عنه قال كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، فَسِرْنَا فِي يَوْمٍ قَائِظٍ شَدِيدِ الْحَرِّ. وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ثُمَّ قَالَ: "ثُمَّ أَفْتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ فَرَسِهِ، فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ ثَرَابٍ، فَأَخْبَرَنِي الَّذِي كَانَ أَذْنَى إِلَيْهِ مِنِّي: ضَرَبَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، وَقَالَ: "شَاهَتِ الْوُجُوهُ". فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ يَعْلَى بْنُ عَطَاءٍ: فَحَدَّثَنِي أَبْنَاؤُهُمْ، عَنْ آبَائِهِمْ، أَنَّهُمْ قَالُوا: لَمْ يَبْقَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا امْتَلَأَتْ عَيْنَاهُ وَفَمُهُ ثَرَابًا، وَسَمِعْنَا صَلَاصَةً بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا مَرَّارِ الْحَدِيدِ عَلَى الطَّسْتِ الْحَدِيدِ"

هكذا نصر الله دينه بنبيه صلى الله عليه وسلم وبصحابته رضوان الله عليهم، فقد أبلوا بلاءً حسناً، وعانوا عناءً شديداً، وصبروا صبراً جميلاً، وقد ابتلاهم الله بالفقر والجوع والقتل والجراحة وأنواع البلايا، فرضي عنهم ورفع درجاتهم، ووعدهم بالجنة قال تعالى: **{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ }** [سورة البقرة : 214]

وقال سبحانه: **{ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }** [سورة التوبة : 100]

فيجب على كل مسلم أن يعرف لهم حقهم ويدعو لهم ويقتدي بهم، ومن لم يكن كذلك، أو عاداهم فليس من الإسلام في شيء، وقد جمع الله المهاجرين والأنصار ومن والاهم ممن جاء بعدهم في ثلاث آيات متتاليات في سورة الحشر فقال تعالى: **{ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**

وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (10) { [سورة الحشر : 8 إلى 10]

ولا يجوز تنقصهم ولا سبهم ولا الطعن فيهم، فإن ذلك علامة النفاق، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ"

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»

وروى البخاري ومسلم عن البراء رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي الْأَنْصَارِ: " لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ". والأحاديث في فضل الصحابة كثيرة جدا.

اللهم إنا نشهدك ونشهد ملائكتك وجميع خلقك أننا نحبهم ونحب من يحبهم ونبغض من يبغضهم، اللهم فاحشرنا معهم، اللهم احشرنا مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، اللهم إنا نسألك مرافقة نبيك محمد في أعلى درجات الخلد، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين يا قوي يا متين، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الثالث

خطب عامة متفرقة

- 1 - خطبة بعنوان [(آداب يوم الجمعة)]
- 2 - خطبة بعنوان [(أسباب الكوارث والزلازل التي تنزل بالمسلمين)]
- 3 - خطبة بعنوان [(مراحل أهل السعادة وأهل الشقاوة)]
- 4 - خطبة بعنوان [(مفاسد كرة القدم)]
- 5 - خطبة بعنوان [(من عجائب القرآن في تأثيره على القلوب)]

خطبة بعنوان

[(آداب يوم الجمعة)]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله:

يقول رب العزة والجلال في محكم التنزيل: **{ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۚ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }** [سورة القصص :

[68

أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه خلق ما شاء وفضل ما شاء على ما يشاء، فخلق الأزمنة وفضل بعضها على بعض، ففضل بعض الشهور على بعض، وفضل بعض الأيام على بعض، ففضل يوم الجمعة على أيام الأسبوع، وجعله عيد المسلمين، وخصه بخصائص كثيرة، ومزايا عديدة، فقد روى مسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا ".

فإذا كان كذلك فينبغي تعظيم هذا اليوم والتأدب بآدابه، فإن اليهود والنصارى يعظمون السبت والأحد وهم كفار، فينبغي على المسلمين أن يكونوا أشد

تعظيما لعيدهم، فإننا نرى تقصيرا عند كثير من المسلمين في تعظيم هذا اليوم، بل نجد الكثير لا يبالون بهذا اليوم ولا يهتمون به، فلا يتجملون فيه، ولا يبكرون للصلاة، بل وينشغلون عن ذلك بالأعمال الدنيوية، وربما بعضهم يضع الخطبة، وبعضهم ربما ضيع صلاة الجمعة والعياذ بالله، وهذا يدل على ضعف إيمان صاحبه، وعدم تعظيمه لشعائر الله، قال تعالى: **{ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ }** [سورة الحج : 32]

فيخشى على المتهاونين بالجمعة أن يطمس الله على قلوبهم، وأن تصيبها الغفلة، فقد روى مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهم ، أَنَّهِمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَلَى أَعْوَادٍ مِنْبَرِهِ : " لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ " .

وروى أبو داود عن أَبِي الْجَعْدِ الضَّمَرِيِّ – رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعٍ تَهَاوَنًا بِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ " .

وفي هذا اليوم المبارك، وفي هذا المقام العظيم نتطرق إلى ذكر بعض آداب الجمعة لمن أراد أن يغتنم هذا اليوم بالخيرات، وأن يظفر بالأجور والدرجات ، وتكفير السيئات، التي غفل عنها كثير من المسلمين.

-**فمن آداب يوم الجمعة يا عباد الله:** الاغتسال في هذا اليوم المبارك، فقد أوجبه كثير من أهل العلم، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ**" رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وتوسط بعض أهل العلم، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقالوا إن الغسل واجب إذا كان الجسد متسخا، أو تنبعث منه روائح كريهة ، ويكون الغسل مستحبا إذا كان الجسم نظيفا، لحديث سَمُرَةَ بِنْتِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَمَنْ اغْتَسَلَ فَالْغُسْلُ أَفْضَلُ** " .

ومن المؤسف أن بعض الناس يأتي الجمعة وعليه روائح كريهة وثيابه متسخة، تنبعث منه روائح العرق والسجائر، ألا يستحيي هذا الصنف من الله تبارك وتعالى، ومن ملائكته الكرام، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، أما يعلمون أنهم في خير الأيام، وفي خير البقاع، وأحبها إلى الله تعالى

،كيف سيناجي المسلم ربه ويسجد بين يديه،وهو في حالة غير مرضية،فأين هو من قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [سورة الأعراف : 31]

فالذي ينبغي على المسلم أن يكون في أحسن هيئة،لا سيما في بيت الله قال السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾...ويحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن، ففي هذا الأمر بستر العورة في الصلاة، وباستعمال التجميل فيها ونظافة السترة من الأدناس والأنجاس"الهـ

-ومن آداب يوم الجمعة التبكير إلى المسجد،ويستحب أن يمشي مشيا،وإن ركب فلا بأس،لكن المشي إلى الجمعة أفضل،وكلما جاء في الساعات الأولى كان الأجر أكثر،فقد روى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ ؛ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَهُ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ " .

وانظر في قوله:"فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ " الله أكبر!الملائكة تحرص على سماع الذكر!وإن تعجب فعجب ممن يفوت على نفسه هذا الخير ولا يأتي إلا في الخطبة الثانية،أو ربما ما يحضر إلا وقت الإقامة،وبعضهم ربما ضيع الصلاة والعياد بالله.

فاستحضروا هذا يا عباد الله،وهو أن الملائكة تحضر الجمعة ويستمعون الذكر من أول الخطبة،بل ويجلسون مع المصلين في بيوت الله وتحفهم وتستغفر لهم،فيا سبحان الله كم نغفل عن هذا،الملائكة تجالسنا في هذه الأماكن الطيبة،فوالله إنه شرف لنا ورفعة،لكن المحروم من حرم نفسه ،وألهته دنياه عن آخرته.

وروى البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ ، يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَّأَ الصُّحُفَ ، وَجَاءُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ " ،وفي الحديث أن المتأخرين عن الجمعة إلى أن يصعد الخطيب المنبر لا يكتبون في صحف الملائكة مع الأوائل.

فلا ينبغي لمسلم أن ينشغل يوم الجمعة أو يتشاغل بالأعمال والتجارات، لا ينبغي أن يضيع هذه الفضائل العظيمة، وهذه الأجور الجزيلة، فمن بكر إلى الجمعة فكأنما قرب ناقة أو بقرة أو كبش خير من ريالات زائلة، فاحرص على ما ينفعك، وقدم الباقي على الفاني، أجب داعي الله ولا تتأخر عن الخطبة فإنها واجبة، ومن فاتته خطبة الجمعة فهو آثم، لقوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11) }** [سورة الجمعة : 9 إلى 11]

فهنيئاً لمن بكر إلى الجمعة وأتى المسجد ثم صلى ما كتب له، وقرأ ما تيسر من القرآن، ودعا الملك الديان، وصلى على المصطفى العدنان، عليه الصلاة والسلام، وسبح واستغفر، وهلل وكبر، ما إن يأتي الخطيب ويصعد المنبر إلا وقلبه حي قد ملئ إيماناً، يعي ويفهم ما يلقي عليه من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وينتفع بما يتلى عليه من العلم والحكمة، فيزداد إيماناً مع إيمانه، فقد روى أبو داود عن أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ ؛ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلٌ سَنَةٍ ؛ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا " .

وانظر إلى قوله: " كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلٌ سَنَةٍ ؛ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا " ترتب على ذلك أجور كثيرة جداً، والغالب على الأحاديث التي فيها مبالغة في الأجور تكون ضعيفة، إلا هذا الحديث فإنه صحيح، صححه العلامة الألباني وغيره من المحققين.

فقد ترتب على هذه الأعمال المباركة أجور كثيرة، بالشروط المذكورة في الحديث، وهي التبكير، والاعتسال، والمشى دون الركوب، والقرب من الإمام، والاستماع إلى الخطبة، والانصات وعدم اللغو بشيء من الأقوال أو الأفعال، فمن كان كذلك فله بكل خطوة يخطوها إلى الجمعة عمل سنة أجر صيامها وقيامها، أي: كأجر صيام سنة وأجر قيامها، فهل من

مشمر؟كم من أجور ضيعناها،وكم من خطوات فوتناها-يا عباد الله- والله المستعان.

-ومن آداب يوم الجمعة التجميل بأحسن الثياب، والتطيب بأجمل الأطياب،تعظيما لهذا اليوم المبارك،واستعدادا لسماع الذكر الحكيم،ومناجاة للغفور الرحيم،فقد روى البخاري عن سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ،رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ، وَيَدَّهْنُ مِنْ دُهْنِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يَنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ إِلَّا غَفَرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْآخَرَى "

وروى أبو داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ،رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَمَسَّ مِنْ طِيبِ امْرَأَتِهِ إِنْ كَانَ لَهَا، وَلَبَسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ لَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ، وَلَمْ يَلْغُ عِنْدَ الْمُوَعِظَةِ ؛ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُمَا، وَمَنْ لَغَا وَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ كَانَتْ لَهُ ظَهْرًا ".

قال ابن رجب رحمه الله:"لا خلاف بين العلماء نعلمه في استحباب لبس أجود الثياب لشهود الجمعة والأعياد".هـ

-ومن آداب الجمعة عدم أذية المصلين بإزعاجهم أو بتخطي رقابهم أو نحو ذلك،فإن من الناس من يأتي متأخرا فيتقدم إلى الصفوف الأولى فيؤذي الناس بالمرور بينهم،فقد روى أبو داود عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ رضي الله عنه قَالَ جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اجْلِسْ فَقَدْ أَذَيْتَ ".

وتقدم حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قوله عليه الصلاة والسلام:" ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يَنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ إِلَّا غَفَرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْآخَرَى "

ولا شك أن الصفوف الأولى أفضل من الصفوف الأخرى،لكن هي لمن سبق إليها،إلا أن يكون هناك مجال في الصف الأول فلا بأس من الذهاب إليه إذا لم يتخط رقاب الناس،فإنه يوجد من يزهد في الصف الأول ويجلس في آخر المسجد وهذا من أخطاء بعض المصلين،فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا،.." الحديث

أي: لو يعلم الناس فضل الأذان والصف الأول لتسابقوا إليهما ولو عن طريق القرعة، وقد جاء الوعيد في حق الذي يترك الصفوف الأولى ثم يجلس في مؤخرة المسجد، كما عند مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا، فَقَالَ لَهُمْ : " تَقَدَّمُوا فَأَتْنُمُوا بِي، وَلِيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ " .

وروى أبو داود عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ " .

-ويستحب القرب من الإمام، وقد تقدم حديث أَوْسُ بْنُ أَوْسٍ الثَّقَفِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاعْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ ؛ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ ؛ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا " .

وينبغي أن يكون خلف الإمام العقلاء وأولو العلم والفضل كما روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لِيَلْنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثَلَاثًا، وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ " .

-ومن آداب الجمعة: الانصات للخطيب إذا خطب، والانتباه لما يقول الخطيب لينتفع الحاضرون بما يلقي عليهم من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وألا ينشغلوا عنه بكلام أو نحوه، فقد روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ ؛ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى ؛ فَقَدْ لَغَا " .

"وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى ؛ فَقَدْ لَغَا " .أي: من مس شيئاً فلا أجر له في جمعته، وكذلك من تكلم فقد لغا، لما روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ : أَنْصِتْ. يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ ؛ فَقَدْ لَغَوْتَ " .

وروى أبو داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : " مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَمَسَّ مِنْ طِيبٍ امْرَأَتِهِ إِنْ كَانَ

لَهَا، وَلَيْسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ لَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ، وَلَمْ يَلْغُ عِنْدَ الْمُوَعِظَةِ ؛
كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُمَا، وَمَنْ لَغَا وَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ كَانَتْ لَهُ ظَهْرًا ."

"وَمَنْ لَغَا وَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ كَانَتْ لَهُ ظَهْرًا . " أي ليس له أجر الجمعة.

فمن هنا يتبين خطأ الذين يتكلمون أثناء الخطبة، أويلقي السلام على الحاضرين، وبعض الحاضرين يرد السلام، وبعضهم يصافح البعض، والبعض ينشغل بطفله أو بجواله، والبعض يخرج من المسجد لغير ما حاجة، وربما بعضهم يضحك أثناء الخطبة، هذا كله لغو ياعباد الله، ومن لغى فلا جمعة له، أي لا أجر له في جمعته، أما صلاته فهي صحيحة، ويدخل في ذلك من كان في صرح المسجد، فإن أحكام الصرح المعد للصلاة هي نفس أحكام المسجد، فمن لغا في صرح المسجد فلا جمعة له، فمن اضطر إلى كلام أو خروج فليخرج بين الخطبتين عند سكوت الخطيب، ويجوز للمستمع أن يتكلم مع الخطيب عند الحاجة كما فعل بعض الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم، ويجوز للخطيب أن يكلم من شاء من الحاضرين كما كالم النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، كما عند مسلم عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رضي الله عنه، قال : دَخَلَ رَجُلٌ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ : " أَصَلَّيْتَ ؟ " قَالَ : لَا . قَالَ : " ثُمَّ فَصَّلَ الرَّكَعَتَيْنِ " .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إمام الأولين والآخرين، وسيد الأنبياء والمرسلين، والصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد ذكرنا أهم آداب الجمعة وهي الآداب التي يتحلى بها المسلم عند ذهابه إلى الجمعة حتى يصل إليها، والآن نذكر بعض المخالفات التي تصدر من بعض الناس يوم الجمعة، والمحدثات التي ليس عليها دليل.

اعلموا -يا عباد الله- أن العبادات توقيفية، أي متوقفة على الدليل، فلا يجوز لعبد أن يتعبد لله بشيء ليس عليه دليل، ولم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال الله في كتابه الكريم: **{ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ }** [سورة الأعراف : 3]

وقال تعالى: **{ وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }** [سورة الحشر : 7]

فمن عمل عملاً أو تعبد لله بشيء من الأقوال والأفعال وليس عليه دليل فهو مردود وغير مقبول، لما روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ** " وفي رواية لمسلم: " **مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ** " .

فمن تلك المخالفات التي انتشرت عند كثير من العامة أن يهنئ بعضهم بعضاً يوم الجمعة بقولهم: **(جمعة مباركة)** هذه التهنئة لم يفعلها السلف الصالح، أي: لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته، فخير الهدى هديهم، ولو كانت هذه التهنئة خيراً لسبقونا إليها، وقد حكم أهل العلم على هذه التهنئة يوم الجمعة بالبدعة، فإن قال قائل: هذا كلام طيب ودعاء، يقال له: ما جاء أهل البدع إلا من هذا الباب، ففعلوا البدع بحجة أن هذا ذكر، وهذا قرآن، وهذا دعاء، وهذا عمل خير، ونحو ذلك من البدع، فأدخلوا في الدين ما ليس منه، فاختلط الحابل بالنابل والحق بالباطل عند بعض الناس، والله تعالى قد أكمل دينه وختم عليه وأغلق الباب دون أهل البدع، فلا يجوز التشريع في دين الله وقد قال تعالى: **{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }** [الآية] سورة المائدة : 3

وقال سبحانه: **{ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }** [سورة الشورى : 21]

-ومن المخالفات التي تصدر من المصلين: المصافحة بعد السلام والدعاء لبعضهم البعض بالمغفرة، وهذا العمل ليس عليه دليل ولم يفعله الصحابة رضوان الله عليهم أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمشروع بعد السلام هو الذكر: وهو قراءة آية الكرسي والتسبيح والتحميد والتكبير، فمن العجيب أن كثيرا من المصلين ما إن يسلم إلا وبادر إلى مصافحة الذين بجانبه ويدعو لهم بالمغفرة، ثم ينصرف ولا يؤدي الأذكار المشروعة عقب الصلاة، فهؤلاء أحدثوا شيئا ليس عليه دليل، وفوتوا على أنفسهم خيرا كثيرا وفضائل عظيمة، وهي الأذكار بعد الصلاة، فقد روى النسائي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت "

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ ". وَقَالَ، تَمَامَ الْمِائَةِ : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ".

هذه هي السنة يا عباد الله، ثم ما هو الداعي من المصافحة بعد السلام؟ والكل يرى بعضهم بعضا قبل الصلاة، وربما التقوا وتصافحوا قبل الصلاة؟ فهذا يدل على أن بعض الناس يظن أن المصافحة بعد السلام سنة أو لها فضل على غيرها، وهذا غير صحيح.

ولا بأس بمصافحة أخ غريب أو ضيف عزيز بعد الصلاة ويكون ذلك بعد أداء الأذكار، فإن للمصافحة أجورا عظيمة، لكن لا يوجد دليل على تخصيصها بعد السلام أو في وقت دون وقت، فقد روى أبو داود عن البراء رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ، إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا "

-ومن المخالفات التي تحصل من بعض أصحاب المساجد تشغيل القرآن الكريم يوم الجمعة في مسجل إعلانا للناس أن هذا اليوم جمعة، وهذا أيضا خلاف هدي السلف، لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا صحابته، فإنهم لم يكلفوا شخصا يقرأ القرآن لينبه الناس أن هذا اليوم جمعة، فإن الله أنزل القرآن لتلاوته وتدبره والعمل به، ولم يجعله مجرد دعايات وإعلانات حاشا

وكلا، فإن في هذا الفعل امتهاناً للقرآن الكريم وعدم تعظيم له، فهذه بدعة منكورة، وكذلك تشغيل القرآن الكريم عند الموت، هذا من البدع والمحدثات، فقد صار بعض الناس يتضايق من سماع القرآن الكريم يظن أن القرآن ما يتلى إلا عند الموت، فأين تعظيم القرآن يا أمة الإسلام، فإن الله تعالى يقول: **{ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ }** [سورة الحج : 32]

الشاهد أنه لا يجوز اتخاذ القرآن الكريم إعلانات للموت أو للجمعات أو لإيقاظ النائمين ونحو ذلك، فإن هذا من المحدثات، فإن الناس سيعلمون بالجمعة وبالموت ونحو ذلك بدون تشغيل القرآن، لا سيما في هذا الزمان مع توفر وسائل الاتصالات والمواصلات، فلا داعي للبدع والمحدثات.

ونحب أن نختم خطبتنا حول أمر مهم جهله كثير من أئمة المساجد: وهو الأذان الأول من يوم الجمعة، فإنه ليس من السنة إلا الأذان الثاني، فقد يستغرب بعض الناس من هذا الكلام، لكن لابد من بيان الحق، فاسمعوا علمنا الله وإياكم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر مؤذنه إلا بأذان واحد، وهو حينما يصعد الخطيب المنبر للخطبة، ثم جاء بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه لم يؤذن إلا أذاناً واحداً وهو عند صعود الخطيب المنبر، ثم عمر رضي الله عنهما لم يؤذنوا إلا أذاناً واحداً كذلك، وإنما اجتهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث كان يرسل مؤذناً إلى السوق قبل أن يصعد الخطيب المنبر، كما عند البخاري عن السائب بن يزيد، قال: كَانَ النَّدَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوَّلُهُ إِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ عَلَى الْمُنْبَرِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَثُرَ النَّاسُ، زَادَ النَّدَاءُ الثَّلَاثَ عَلَى الرَّوَاءِ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: الرَّوَاءُ مَوْضِعُ بِالسُّوقِ بِالْمَدِينَةِ.

فنقول خير الهدى هدى النبي صلى الله عليه وسلم، فقد اعتمد أذاناً واحداً، وقد صار على ذلك ثلاثة من خلفائه الراشدين والأئمة من بعدهم، وأما فعل عثمان رضي الله عنه فيغني عنه المكبرات هذه الأيام فإنها تبلغ الأذان إلى الأسواق، فلا داعي للأذان الأول يوم الجمعة، والسنة أحب إلينا، وأحب إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وعثمان رضي الله عنه اجتهد وله أجر على اجتهاده إن شاء الله تعالى فلا يجوز الطعن فيه، فقد مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم راضٍ عنه وبشره بالجنة. فينبغي تحري السنة

واجتناب البدع ،فالأجور تترتب على السنة، وأما البدع فإنها مردودة،وأصحابها آثمون،قال ابن مسعود رضي الله عنه:"الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة"

عباد الله:

اعلموا أن صلاح الأمة وفوزها يكون بالعمل بالسنة،وفسادها وضياعها بل وهلاكها بفعل البدع وإحيائها،وهل دمر البلاد والعباد إلا البدع وأهلها؟ونختم بهذا الحديث العظيم،وبهذا الأصل الأصيل، الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم وصححه الإمام الألباني وحسنه الإمام الوادعي عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" فَإِنَّهُ مَنْ يَعْشُ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، **فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي** وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّدِينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ "وكل ضلالة في النار"

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى،اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها،أنت وليها ومولاها،اللهم وفقنا للعمل بالسنة واجعلنا من أهلها،وجنبنا البدع والمحدثات،ووفقنا للعمل بكتابك وسنة نبيك،اللهم تقبل منا الصالحات ،واغفر لنا الذنوب والسيئات،والحمد لله رب العالمين.

خطبة بعنوان:

[(أسباب الحوادث والكوارث والزلازل التي تنزل بالمسلمين وما فيها من

الحكم والعبر)]

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أيها الناس: (إنما توعدوننا لآت وما أنتم بمعجزين) يقول رب العزة والجلال في محكم التنزيل: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ} وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا} وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [سورة الإسراء : 59]

{وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} أي أن الله تعالى يرسل آياته تخويفا لعباده، فيرسل الزلازل والفيضانات والعواصف والكسوفات لعلمهم يرجعون إلى طاعته، ويقنعون عن معصيته، ولكن كثيرا من الناس عن هذا لغافلون، قال المفسر السعدي رحمه الله: وقوله: **{وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا}** أي: لم يكن القصد بها أن تكون داعية وموجبة للإيمان الذي لا يحصل إلا بها، بل المقصود منها التخويف والترهيب ليرتدعوا عن ما هم عليه".هـ.

فهذه الآيات يا عباد الله إنذارات للناس من ربنا، وليست حوادث طبيعية كما يتفوه بذلك أعداء الله ومن تبعهم من جهلة المسلمين الذين لا عناية لهم بالدين ولا بالعقيدة الصحيحة، بل إن هذه الآيات من فعل رب البشر سبحانه وتعالى، يخوف بها عباده، وينزل عقوبته على من شاء من خلقه، فإن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين، فهل من معتبر؟ وهل من مدكر؟

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: **{وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا}**

قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ اللَّهَ خَوَّفَ النَّاسَ بِمَا يَشَاءُ (4) مِنْ آيَاتِهِ لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ وَيَذْكُرُونَ وَيَرْجِعُونَ، ذَكَرْنَا أَنَّ الْكُوفَةَ رُجِفَتْ عَلَى عَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ يَسْتَعْتَبِكُمْ فَأَعْتَبُوهُ.

وهكذا روي أَنَّ الْمَدِينَةَ زُلْزِلَتْ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مَرَّاتٍ، فَقَالَ عُمَرُ: أَحَدْنْتُمْ، وَاللَّهِ لَئِنْ عَادَتْ لَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ" هـ.

ثم اعلموا يا عباد الله أن الله سبحانه وتعالى لو يؤاخذ الناس بجميع ذنوبهم ما ترك على ظهر الأرض من أحد، كما أخبر سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: **{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}** [سورة النحل : 61]

فما يحصل من النكبات والأزمات والفيضانات في الأرض ما هو إلا بمقابل جزء يسير من ذنوب العباد، فيكون ذلك عقوبة لبعضهم وتكفيرا للبعض الآخر

وعبرة لآخرين، قال الله في كتابه الكريم: **{ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا**

كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } [سورة الشورى : 30]

وقال سبحانه: **{ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم**

بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [سورة الروم : 41]

فساد في المعاش، فساد في الأنفس، فساد في الزروع والثمار، فساد في البلاد والعباد، كل ذلك بما كسبت أيدي الناس من الذنوب والمعاصي.

فيا عباد الله :إن الله تبارك وتعالى لا يزال حليما بعباده وهم يعصونه في الليل والنهار، فإن الشرك والكفر والزندقة والإلحاد والزنا واللواط والرشا والربا وقتل النفس التي حرم الله، كل ذلك موجود في أوساط المسلمين، فهذه المعاصي كفيلة بأن يزلزل الله الأرض من تحت أقدامنا ويجعل عاليها سافلها، لكنه حليم بنا يعفو عنا ويصفح، لكنه يمهّل ولا يهمل، فلا يجوز الأمن من مكر الله ، فإنه إذا أخذ الظالم لا يفلته، قال تعالى **{ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا**

أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۖ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } [سورة هود : 102] وروى

البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ " . قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ : **{ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ }**.

"إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ" أي يؤخره ويمهله ويطيل عمره، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

فلنا عبرة بمن سبق من الأمم السابقة الهالكة التي عصت ربها وكذبت رسلها، فأهلكها بذنوبها، قال تعالى: **{ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ**

كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ۚ [سورة

محمد : 10]

أمرنا الله تبارك وتعالى أن نأخذ العظة والعبرة ممن سبقنا حتى لا يصيبنا ما أصابهم، وأن نعتبر بمساكنهم وآثارهم، وأن نمر عليها باكين ومعتبرين، لا أن نتخذها آثارا ومتاحف للفسحة والفكاهة، فقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِ الْحِجْرِ : " لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُعَذِّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ ؛ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ " .

فقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أنه أغرق قوم نوح وأغرق فرعون وقومه، وأخذت الرجفة ثمود قوم صالح وهي الزلزلة الشديدة، وأرسل الريح العقيم على عاد قوم هود، وأخذت قوم شعيب الصيحة الشديدة، وأرسل الله على قوم لوط حجارة من السماء وقلب قراهم فجعل عاليها سالفها، فقد أخذها جبريل عليه السلام بجناحه إلى السماء ثم قلبها عليهم وأتبعهم بحجارة من سجيل منضود، كل ذلك بسبب ذنوبهم وظلمهم وكفرهم وعتوهم ومخالفة رسلهم.

قَالَ اللَّهُ: { فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا } وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [سورة العنكبوت : 40]

وقال الله: **{ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ۖ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۚ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (13) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (14) }** [سورة يونس :

13 إلى 14]

{ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا }

فاحذروا الظلم يا عباد الله، فإن عاقبته وخيمته، في الدنيا والآخرة ، والظلم أقسامٌ ثلاثة، ظلم العبد لنفسه بالشرك، وظلم العبد لنفسه بالمعاصي، وظلم العبد

لغيره بالقول أو الفعل، كل هذه الأقسام خطيرة على العبد، وأخطرها ظلم العبد لنفسه بالشرك، ثم ظلم العبد لغيره، وانظروا إلى قوله تعالى في الآية التي بعدها: **{ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}**

ففيها إنذار لهذه الأمة وعبرة بمن سبقها، وفيها وعيد إن هم عصوا أمر الله تعالى، قال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: **{ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ}** أيها المخاطبون **{خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}** فإن أنتم اعتبرتم واتعظتم بمن قبلكم واتبعتم آيات الله وصدقتم رسله، نجوتم في الدنيا والآخرة

وإن فعلتم كفعل الظالمين قبلكم، أحل بكم ما أحل بهم، ومن أنذر فقد أعذر".^١ ه قال الله متوعدا هذه الأمة إن هي عصت ربها وخالفت نبيها: **{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ۚ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ }**

سورة الأنعام : 65]

وروى البخاري في صحيحه عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : **{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ}** . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **أَعُوذُ بِوَجْهِكَ** " . قَالَ : **{ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ }** . **{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ }** . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **هَذَا أَهْوَنُ** " . أَوْ : " **هَذَا أَيْسَرُ** " .

أي أن تفرقهم إلى فرق وأحزاب متناحرة متقاتلة عقوبة لهم أهون من أن ينزل عليهم عذاب من السماء بالرجم والحصب بالحجارة ، أو يخسف بهم الأرض من تحت أقدامهم، فإن بعض المصائب أهون من بعض.

فالله الله يا عباد الله في تقوى الله، والرجوع إلى الله، وعدم الأمن من مكر الله، فإن الله يبتلي عباده بالخير والشر وبالسراء والضراء لعلهم يرجعون، فإن رجعوا

وَالَا أَخَذُوا وَعُوقِبُوا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) ﴾ [سورة الأنعام : 42 إلى 44]

فيا عباد الله: إن المصائب والعقوبات إذا نزلت عمت المسلم والكافر والبر والفاجر، والصالح والطالح، فلا تظنوا أن هذه العقوبات خاصة بالكفار والمشركين، وإن كان الغالب أن العذاب نزل على الكافرين، لكن الوعيد عام في جميع العصاة، وقد توعده الله جميع عباده بالعقوبات العاجلة إن هم خالفوا أمره وأمر رسوله، أو ارتكبوا نهيه ونهي رسوله صلى الله عليه وسلم، وها نحن نشاهد أكثر الزلازل والعواصف والفيضانات تحل بالمسلمين، وتقل على الكافرين لأن عقوبتهم آجلة في الدار الآخرة، فالحذر من الأمن من مكر الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف : 99]

فما تسلط الكفار على المسلمين إلا بسبب ذنوبهم، وما نزلت العقوبات بالمسلمين إلا لمخالفتهم لكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وما حصلت لهم الذلة والصغار إلا بسبب ذلك، فقد روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **..وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي ."**

فكيف وقد وجد في أوساط المسلمين كفره ومشركون، وزنادقة وملحدون، كيف وقد وجد في أوساط المسلمين من يدعو إلى النصرانية، ومن يدعو إلى

الماسونية، كيف وقد وجد في أوساط المسلمين من يحارب دين الله، ومن يحتقر شعائر الله، ووجد في أوساط المسلمين من يؤذي أولياء الله، يوجد في أوساط المسلمين من يحارب السنة والعقيدة الصحيحة، يوجد في أوساط المسلمين من يترك الصلاة، ويشرب الخمر ويعق والديه ويسيء الجوار، فكيف لا يستحق مثل هؤلاء العقوبة من ربهم تبارك وتعالى: **{ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (43) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ (44) سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الدُّبُرَ (45) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ (46) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (47) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (48) }** [سورة القمر : 43 إلى 48]

عباد الله: وجد في أوساط المسلمين الزناة والذين يعملون عمل قوم لوط، بل يوجد في أوساط المسلمين من يدعو إلى نكاح الذكر ويروج لذلك علنا بلا حياء ولا خجل.

وقد رتب الله هذه الجريمة الشنعاء عقوبة شديدة، فإن عقوبة الذي يعمل عمل قوم لوط أن يُقتل أو يرمى من شاهق على رأسه كما فعل الله بقوم لوط جعل عاليهم سافلهم؛ لأنهم قلبوا سنة الله، وقد ثبت عند الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ " .

فانتبهوا على أبنائكم يا أيها المسلمون لا ينحرفون وراء هؤلاء السفلة والفسقة من البشر الذين صاروا أضل من الكلاب والحمير، بل إن هذه الحيوانات أرفع منهم؛ لأنها لا تعمل هذا العمل، لم تقلب سنة الله فيها، فإن الذكر من الحيوان لا يقع على الذكر كما يفعل هؤلاء المثليون، فهم أضل من الحيوانات، الكلاب

والحمير أرفع منهم، فنسأل الله أن يدمر أمريكا وحلفاءها الذين يدعون إلى نكاح المثليين، نسأل الله أن يجعل عاليهم سافلهم وأن يدمر عليهم كما دمر قري قوم لوط، وأن يجعلهم عبرة للمعتبرين وكل من دعا إلى هذه الفاحشة القبيحة.

فهذه المعاصي وأمثالها مما يُزاول في أوساط المسلمين بلا نكير كفيلة بأن يدمر الله عليهم، وأن يجعل عاليهم سافلهم، لكن رحمة الله تعالى غلبت غضبه، فيخشى على الناس إذا رأوا المنكرات وسكتوا عنها ولم يغيروها يوشك أن تنزل عليهم العقوبات، فقد روى أبو داود عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا : **{ عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ }**. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ " .. وفي رواية: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا ثُمَّ لَا يُغَيِّرُوا إِلَّا يَوْشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ " .

وأعظم من هذا مخالطة أصحاب المعاصي والجرائم والرضا بها، فإنها تنزل العقوبات فتأخذ الصالحين والطالحين، قال الله في كتابه الكريم: **{ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }** [سورة الأنفال : 25]

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: **{ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً }** بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتقوى هذه الفتنة بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن". هـ.

قالت زينب بنت جحش رضي الله عنها : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : " نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ " متفق عليه

ومعنى الخبث: قال النووي رحمه الله: " وفسره الجمهور بالفسوق والفجور ، وقيل : المراد الزنا خاصة ، وقيل : أولاد الزنا ، والظاهر أنه المعاصي مطلقاً" هـ.

وروى البخاري من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَغْزُو جَيْشُ الْكُفَّةِ، فَإِذَا كَانُوا بَبْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ". قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَأُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : " يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ .

فانظر -يارعاك الله-، إلى هؤلاء الناس فإن بعضهم ما جاءوا لغزو البيت وإنما جاءوا للتكسب والتجارة، وربما فيهم أناس صالحون، لكنهم بسبب مخالطتهم لأصحاب المعاصي وسكوتهم عن المنكر خسف الله بهم معهم، ابتلعتهم الأرض إلى باطنها، "يُخَسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ". أما الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فإنهم ينجون إذا نزلت

العقوبات، كما قال الله في كتابه الكريم: { وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا يَهْدِي اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُم وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (164) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165) } [سورة الأعراف :

164 إلى 165]

يستفاد من هذه الآية أنه ينبغي على الناصحين أن يستمروا في النصح والإرشاد مهما أصر المخالفون وعاند المذنبون براءة للذمة، وتوقيا للفتنة، ففعل الله أن يهدي المخالفين وينجي الناصحين إذا نزلت عقوبة رب العالمين،

{مَعْذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} ،فإن تَمَادَوْا فِي غِيهِمْ فَقَدْ أَقِيمَتْ عَلَيْهِم
الحجة وحق عليهم القول ،قال الله :{فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ
يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}

فيا أيها المسلمون،ويا أيها الصالحون،ويا أيها الناصحون،إننا إذا أخذنا بأيادي
الظلمة نجوا ونجونا معهم، وإذا سكتنا عنهم وتركناهم في غيهم وطغيانهم
ورضينا بمعاصيهم أخذنا الله معهم،ونزلت العقوبات علينا وعليهم، فقد روى
الإمام البخاري من حديث الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ**
قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ
الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا
خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا ارَادُوا هَلَكُوا
جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا " .

فاسمع يا مسلم إلى هذا المثل البليغ الذي ضربه المصطفى صلى الله عليه وآله
وآله وصحبه وسلم في أصحاب المنكرات وموقف الذين يأخذون بأيديهم
،وموقف الذين يسكتون عنهم وعن منكراتهم، مثلهم كمثل سفينة في البحر
تتكون من طابقين، فيها أناس في الطابق الأعلى وأناس في الطابق الأسفل،
فإذا أراد الذين في الطابق الأسفل الماء صعدوا إلى الطابق الأعلى ليأخذوا
من الماء ما يحتاجون، فرأوا رأيا واستحسنوا أمرا،وهو أن يخرقوا خرقا في
أسفل السفينة ليأتيهم الماء من تحتها،فإن فعلوا ذلك،وسكت عنهم الذين في
أعلاها غرقت السفينة بهم جميعا،وإن أخذوا بأيديهم فمنعوهم وحذروهم من
خطر صنيعهم وسوء عاقبة أمرهم نجوا جميعا، وهذا المثل ينطبق على
أصحاب البدع وأصحاب الهوى، إذ يستحسنون بدعا ومحدثات في دين الله

فِيَهْلِكُونَ وَيُهْلِكُونَ، فَإِنْ نَصَحَهُمُ النَّاصِحُونَ وَزَجَرَهُمُ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِلَّا
نَزَلَتِ الْعُقُوبَاتُ وَعَمَتِ الصَّالِحِينَ وَالْفَاسِدِينَ، كَحَالِ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ هَذِهِ
،وَهَكَذَا أَصْحَابُ الْمَعَاصِي إِنْ أَخَذُوا بِأَيْدِيهِمْ وَحَذَرُوهُمْ مِنْ سُوءِ عَوَاقِبِهَا وَإِلَّا
هَلَكُوا جَمِيعًا، وَصَدَقَ الْإِمَامُ مَالِكُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِذْ شَبِهَ السَّنَةَ بِسَفِينَةِ نُوحٍ
فَقَالَ: "السَّنَةُ كَسَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ"؛ لِأَنَّ الْخَيْرَ
مَنْوُوطٌ بِالسَّنَةِ، وَالشَّرُّ مَنْوُوطٌ بِمُخَالَفَتِهَا، فَالسَّنَةُ تَحْتِ عَلَى الْخَيْرِ وَتَحْذَرُ مِنَ
الشَّرِّ وَالْفِتَنِ، وَأَهْلُ السَّنَةِ هُمْ أَنْصَحُ النَّاسِ لِلنَّاسِ، وَأَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْبِدْعِ وَعَنِ
الْفِتَنِ، فَهَمُ الَّذِينَ يَحْذَرُونَ النَّاسَ مِنَ الْفِتَنِ وَمَنِ الْبِدْعِ وَمَنِ الْمُنْكَرَاتِ، بَيْنَمَا
أَهْلُ الْبِدْعِ هُمُ الَّذِينَ يُؤْجِجُونَ الْفِتْنَ وَالْمُنْكَرَاتِ وَيَدْعُونَ النَّاسَ إِلَيْهَا، فَعَلَيْكُمْ
بِالسَّنَةِ يَا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنْ التَّمَسَّكَ بِالسَّنَةِ فُوزٌ وَنَجَاةٌ، وَالْدُخُولُ مَعَ أَهْلِ الْبِدْعِ
هَلَاكٌ وَخُسْرَانٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ مَا نَزَلَ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ
الْفِتَنِ وَالْبَلَايَا وَالْأَزْمَاتِ وَالنَّكَبَاتِ وَتَسَلَّطِ الْأَعْدَاءِ مَا هُوَ إِلَّا بِسَبَبِ أَهْلِ الْبِدْعِ،
وَبِسَبَبِ مُخَالَفَةِ سُنَّةِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا
الله ولي الصالحين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد:

عباد الله: إنه لا يخفى علينا ما يحصل في هذا الزمان من أزمات ونكبات ومن زلازل وفيضانات كل هذا كما سمعتم في قوله تعالى: **{ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ }** [سورة الشورى : 30] أي يعفو عن كثير من خطاياكم وذنوبكم ولو يؤاخذكم بجميع ذنوبكم ما ترك منكم أحدا يمشي على وجه الأرض ،فهذه الزلازل والفيضانات هي من جملة العقوبات التي تنزل بسبب ذنوب العباد ليزيقهم الله بعض الذي عملوا لعلمهم يرجعون،وهي أيضا من علامات الساعة ومقدمات لها. كما ثبت عند الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ،رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِضَ ".

فإن قال قائل لماذا تنزل الكوارث على المسلمين ولا تنزل على الكافرين،يقال: إن الله تعالى يمحص المسلمين ويكفر بها ذنوبهم،وأما الكفار فيدخر لهم العذاب في الآخرة؛لأن عذاب الآخرة أشد وأنكى، وأضع وأخزى، فقد روى أبو داود عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتْنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ ".

وأكثر ما تظهر الزلازل والفتن من نحو المشرق جهة العراق لكثرة الفتن هناك كما أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام،كما في البخاري عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا ". قَالَ : قَالُوا : وَفِي نَجْدِنَا. قَالَ : قَالَ : " اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا "، قَالَ : قَالُوا : وَفِي نَجْدِنَا. قَالَ : " هُنَاكَ الزَّلَازِلُ، وَالْفِتْنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ ".

وفي الصحيحين عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ، فَقَالَ : " أَلَا، إِنَّ الْفِتْنَةَ

هَاهُنَا، إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ" أَوْ قَالَ : " قَرْنُ الشَّمْسِ ."

ثم اعلموا يا عباد الله أن هذه الحوادث والكوارث تذكرنا بأهوال يوم القيامة لبيعنا ذلك على الاستعداد لهذا اليوم العظيم ،الذي تتزلزل فيه الأرض، وتندك فيه الجبال، وتتشقق السماء، وتفيض البحار، ويفر المرء من أخيه وأمه وأبيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، فإذا كانت هذه الزلازل اليسيرة الخفيفة تهلك الحرث والنفس، فكيف بأحداث وزلازل يوم القيامة؟! وقد قال الله سبحانه وتعالى : **{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107) }** سورة طه : 105 إلى 107]

ويقول سبحانه: **{ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) }** [سورة الزلزلة : 1 إلى 4] **{ وأخرجت الأرض أثقالها }** أي: كنوزها وأمواتها، **{يومئذ تحدث أخبارها}**: أي: تشهد على الناس بما عملوا على ظهرها.

وقال تعالى: **{ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا (4) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا (5) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا (6) }** [سورة الواقعة : 4 إلى 6]، ويقول جل في علاه: **{ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (7) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (8) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (9) }** سورة النازعات : 6 إلى 9]

والآيات التي تصف يوم القيامة وشدائدها وأهوالها كثيرة مما يجعل القلوب تنخلع عن أماكنها وتضع الحوامل أجنتها وتذهل المرضعات عن أولادها فكل إنسان مشغول بنفسه، بل ويفر من قريبه وحبيبه، قال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا**

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2) [سورة الحج ١ إلى 2]

فلنتقِ الله في هذا اليوم الذي سنرجع فيه إلى الله تعالى ،ثم توفى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون.

ولنا عبرة بما حصل لإخواننا في بعض البلدان،فلنتقِ الله عز وجل فيما أمرنا ونهانا،فلا نخالف أوامرهم،ولا نرتكب نواهيه، ولا نقدم على مساخطه ولا نسكت على المنكرات التي من حولنا، حتى لا يصيبنا ما أصابهم،وعلينا أن نستعد للقاء الله عز وجل فإن الساعة قريب، فإن هذه الزلازل والحوادث والفتن من علاماتها، قال تعالى: { فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ } [سورة محمد : 18] وقد أخبر الله أن الساعة قريب، قال سبحانه: { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2) } [سورة الأنبياء : 1 إلى 2]

ويقول عزوجل: { وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [سورة النحل : 77]
ويقول عز من قائل: { يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَمَا يُذِيرُكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا } [سورة الأحزاب : 63]

فلا تلتفتوا إلى أقوال الذين ليس لهم في الآخرة من خلاق،احذروا الطبايعيين الذين يؤمنون الناس من مكر الله، ويزعمون أن هذه الحوادث والكوارث

طبيعية أحدثتها الطبيعة وهذا نفاق صراح وكفر بواح يرده الشرع والعقل والواقع، وقد أخبر الله أن هذه الحوادث من علامات الساعة، وآيات يخوف الله بها عباده، فما أشبه حال هؤلاء الطبايعيين بحال المشركين الذين كذبوا بالآيات وكذبوا بالبعث والنشور، كما أخبر تعالى عنهم: **{ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُغْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ (3) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ (6) خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ (7) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ }** [سورة القمر : 1 إلى ٨]

وهكذا حال كثير من الناس أنهم لا يفيقون من غفلتهم إلا إذا طلعت الشمس من مغربها، حينها يؤمنون أجمعون في وقت لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمن من قبل، قال تعالى: **{ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۖ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۖ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ }** [سورة الأنعام : 158]

نسأل العظيم رب العرش العظيم، أن يأخذ بأيدينا إلى كل خير، وأن يدفع عنا كل سوء ومكروه وضير، اللهم ادفع عنا وعن بلادنا وسائر بلاد المسلمين الفتن والمصائب والمحن، اللهم من أراد بنا أو بديننا أو ببلادنا وسائر بلاد المسلمين كيذا فاجعل كيده في نحره واجعل تدبيره في تدميره وأشغله بنفسه واجعل الدائرة عليه يا متين، اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تشمت بنا الأعداء

والحاقدین، اللهم اذفع عنا وعن إخواننا المصائب والفتن، والزلازل والمحن، اللهم
فرج عن إخواننا المنكوبين، اللهم ارحم موتاهم، وضمد جراحهم، واجبر
كسيرهم، واحفظ أيتامهم وضعفاءهم، واكتب لموتاهم الشهادة برحمتك يا أرحم
الراحمين.

خطبة بعنوان

[(مراحل أهل السعادة والتعاسة)]

الخطبة الأولى/

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا}.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}

ثم اعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أما بعد:

فقد اقتضت حكمة الله تعالى أنه جعل الخلق فريقين، أولياء أبرار، ومجرمين فجار، أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فريق في الجنة وفريق في السعير، فأهل الجنة هم المؤمنون، وأهل السعير هم الكافرون، صنف في أعلى عليين، في السماء السابعة عند سدرة المنتهى، وفيها أرواح المؤمنين، وصنف في أسفل سافلين في الأرض السابعة وفيها أرواح الكفار، قال سبحانه: **{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ (18) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ (19) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (20) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (21)}** [سورة المطففين : 18 إلى 21]

وقال في الصنف الآخر: **{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ (7) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينُ (8) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (9) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10)}** [سورة المطففين : 7 إلى 10]

ثم نفى المساواة بين الفريقين فقال: **{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}** [سورة الحشر : 20] وقال سبحانه

{ أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) }

سورة القلم : 35 إلى 36]

فجعل السعادة للأتقياء، والتعاسة للأشقياء ،وفي هذا المقام المبارك،وفي هذا اليوم المبارك،نستعرض أهم المراحل التي يمر بها أولياء الرحمن،وأولياء الشيطان،ونذكر أحوالهما ما بين السعادة والتعاسة،وقبل أن نذكر هذه المراحل نحب أن نتعرف على أولياء الله وعلى أعدائه في ميزان الشرع،لا بميزان العقل والهوى.

فأما أولياء الرحمن فإنهم المقصودون في قوله تعالى: **{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (31) }** [سورة فصلت : 30

إلى 31]

قال المفسر السعدي رحمه الله: فكل من كان مؤمناً تقياً كان الله [تعالى] ولياً،و**{لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}**أما البشارة في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق.

وأما في الآخرة، فأولها البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}**

وفي القبر ما يبشر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم.
وفي الآخرة تمام البشرى بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم"هـ.

يتبين مما سبق أن أولياء الله هم أهل الإيمان والتوحيد والتقوى، وليسوا أهل الكفر والشرك والنفاق، أولياء الله هم الذين يمتثلون أوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم بفعل الطاعات، ويجتنبون النواهي والمحرمات والبدع والمنكرات.

وأما أعداء الله فهم الذين شاقوا الله ورسوله من الكفرة والمشركين والمنافقين، والقرآن والسنة مليئان بذكر أوصافهم والتحذير من صفاتهم وأعمالهم.

-فأما المرحلة الأولى التي يمر بها الفريقان، فهي في الحياة الدنيا، فإن أولياء الله يعيشون في حياة طيبة، وفي سعادة وطمأنينة، لما يحملونه من إيمان في قلوبهم، ويعملون الصالحات في جوارحهم، قال تعالى: **{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }** [سورة النحل : 97]

{ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ } أي: في الحياة الدنيا مما حسن وطاب من أنواع المآكل والمشارب والمناكح والراحة النفسية والبدنية، قال تعالى: **{ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَّآبٍ (29) }** [سورة الرعد : 28 إلى

[29

بينما الفريق الآخر يعيش في تعاسة وشقاوة، صدورهم حرجة، وقلوبهم ضيقة، كأنما تصعدُ في السماء، قال تعالى: **{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) }** [سورة طه : 124 إلى 126]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: **(ومن أعرض عن ذكري)** أي : خالف أمري ، وما أنزلته على رسولي ، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداية **(فإن له معيشة ضنكا)** أي : في الدنيا ، فلاطمأنينة له ، ولا انشراح ل صدره ، بل صدره [ضيق] حرج ل ضلاله ، وإن تنعم ظاهره ، ولبس ما شاء وأكل ما شاء ، وسكن حيث شاء ، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى ، فهو في قلق وحيرة وشك ، فلا يزال في ريبة يتردد . فهذا من ضنك المعيشة" . هـ

وروى الإمام أحمد رحمه الله عن ابن عمر ، رضي الله عنهما قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " .. وَجَعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي ، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ " .

-المرحلة الثانية أحوالهما عند الموت:

فأما المؤمن فتهون عليه سكرات الموت، وتحضره ملائكة الرحمة، وتبشره بالجنة، وتؤمنه مما هو قادم عليه ، وتشيعه إلى السماء السابعة، قال ربنا في كتابه العزيز: **{ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ**

لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64) { سورة يونس : 62

[إلى 64]

قال المفسر البغوي رحمه الله: "وقال عطاء عن ابن عباس : البشري في الدنيا ، يريد : عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة ، وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن ، يعرج بها إلى الله ، ويبشر برضوان الله".هـ

وروى الإمام أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنهما في حديثه الطويل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَاقْبَالَ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَانَ وَجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ : أَيَّتْهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفَرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ". قَالَ : " فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّيْقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِسْكٍ وَجَدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ". قَالَ : " فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمْرُونَ - يَعْنِي بِهَا - عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟ فَيَقُولُونَ : فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ. بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ ؛ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أَخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى "

أما العبد الكافر أو الفاجر أو المنافق، فيضيق صدره عند الموت كأن السماء طبقت عليه، وتحضره ملائكة العذاب، تضربه في وجهه وظهره، قال تعالى: {

وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا

عَذَابَ الْحَرِيقِ { [سورة الأنفال : 50]

وقال تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ } الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } [سورة الأنعام : 93]

وروى الإمام أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سَوْدُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ ". قَالَ : " فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيُنْتَزَعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّقُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيفَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ ؟ فَيَقُولُونَ : فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ. بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ ". ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " { لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَأَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ }، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِينٍ، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى. فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا ". ثُمَّ قَرَأَ : " { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ }، فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، "الحدِيث

-المرحلة الثالثة من مراحل أهل السعادة وأهل الشقاوة:أحوالهما عند حمل الجنازة:

فأن المؤمن حينما يحمل على الجنازة يكاد أن يطير فرحا لحسن ما بشر به عند موته،فينادي بالإسراع بجنازته، يحب لقاء ربه،ويريد أن يصل إلى ما وُعد به من النعيم في قبره ويوم معاده ،ولذلك يشرع الإسراع في الجنازة،وأما الكافر أو الفاجر

فإنه يصيح وينادي بالويل والثبور في جنازته خوفاً وذعرا من سوء ما بُشِّرَ به، فقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ فَأَحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ : **قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي**، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ : يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا ؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ "

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ : " أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ، فَإِنْ تَكَ صَالِحَةً ؛ فَخَيْرٌ تَقْدِّمُونَهَا عَلَيْهِ وَإِنْ تَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ "

ثم تأتي المرحلة الرابعة من أحوال أولياء الله وأعدائه في القبر:

فإنه لا يخفى على المسلم أن عقيدة أهل السنة والجماعة التي نزل بها القرآن وجاءت بها السنة: هي ثبوت عذاب القبر ونعيمه، فالمؤمنون ينعمون في قبورهم، والكفار يعذبون في قبورهم، والأدلة في ذلك كثيرة ومستفيضة، نكتفي هنا بذكر دليل واحد على نعيم أولياء الله في قبورهم، وعلى عذاب أعداء الله في الحياة البرزخية حياة القبور، فأما المؤمن فإن الله يثبت له على سؤال الملكين، ويوسع له قبره مد بصره، وينعم عليه فيه، ويرى مقعده من الجنة، ويقال له نم نومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثك الله، فقد روى الإمام أحمد في حديث البراء المتقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في العبد المؤمن: " قَالَ : " فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : دِينِي الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَيَقُولَانِ لَهُ : وَمَا عِلْمُكَ ؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي،

فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ". قَالَ : " فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ". قَالَ : " وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ : أَبَشِّرُ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فَيَقُولُ : رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي "

"رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي "أي في الجنة، فإذا أقيمت الساعة فإنه ينتقل من نعيم القبر إلى نعيم الجنة، فيجتمع بأهله وذريته هناك.

وأما العبد الكافر أو الفاجر أو المنافق فإنه لا يهتدي للإجابة على سؤال الملكين، ثم يعذب في قبره، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويضرب بمطرقة من حديد حتى يشتعل عليه قبره نارا، يصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الجن والإنس، أعادنا الله وإياكم من عذاب القبر، فقد روى الإمام أحمد في الحديث المتقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في العبد الكافر: " وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ. فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ : أَبَشِّرُ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ ؟ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، كُنْتَ بَطِينًا عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَجَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا. ثُمَّ يُقَيِّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمٌ، فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ ثَرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ ثَرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَيَصِيحُ صِيحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ". قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ : " ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ، وَيُمَهَّدُ مِنْ فُرْشِ النَّارِ "

-المرحلة الخامسة: أحوال أهل السعادة وأهل الشقاوة عند الحشر:

فأما المؤمنون فيحشرون وفودا إلى الرحمن، راجين رحمته، منتظرين إحسانه، مؤملين الفوز برضوانه، والمقامة في دار كرامته، فيجعلهم الله على منابر من نور، ويظلمهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله، قد ابيضت وجوههم، وانشرحت صدورهم، واطمأنت نفوسهم، قال تعالى: **{ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا }** [سورة مريم : 85]

وقال الله: **{ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) }** [سورة القيامة : 22 إلى 23] وقال سبحانه: **{ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (39) }** [سورة عبس : 38 إلى 39] وقال سبحانه: **{ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (8) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9) }** [سورة الغاشية : 8 إلى 9]

وأما المجرمون فيحشرون إلى جهنم وردا أي: عطاشا، سود الوجوه عمي العيون، زرق الأبدان، قد ازرققت من شدة الخوف والهلع والقلق، قال تعالى: **{ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا }** [سورة طه : 102]

وقال تعالى: **{ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) }** [سورة طه : 125 إلى 126]

وقال سبحانه: **{ وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ (42) }** [سورة عبس : 40 إلى 42]

وقال الله: **{ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ }** [سورة آل عمران : 106]

وقال سبحانه: **{ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (3) تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (6) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (7) }** [سورة الغاشية : 2 إلى 7]

نسأل العافية والسلامة.

الخطبة الثانية/

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة، عراة، غرلا، بهما، أي: ليس معهم شيء، قد أصابهم من الهم والغم ما الله به عليم، يوم تشخص أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، قد اشتد بهم الظمأ، ثم يردون الحوض فيشرب المؤمنون منه شربة لا يظمأون بعدها أبدا، فيزاد عنه المجرمون، وأهل البدع المحدثون، ويبقى الموحدون، فمنه ينهلون، فيشربون ويرتوون، فقد روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ

شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرَدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ". وزاد أبو سعيد رضي الله عنه : " إِنَّهُمْ مِنِّي. فَيُقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بِعَدِّكَ. فَأَقُولُ : سَحَقًا سَحَقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي ".

-المرحلة السابعة:مرحلة تطاير الصحف وأخذ الكتب باليمين أو الشمال:

فأما المؤمن فيأخذ كتابه بيمينه،فيوقن بالنجاة،فيفرح فرحا لا يعلمه إلا الله،كما أخبر الله في كتابه: { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَفْرَعُوا كِتَابِيهِ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24) } [سورة الحاقة : 19 إلى 24]

وقال تعالى: { يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (71) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا (72) } [سورة الإسراء : 71 إلى 72]

وأما الكافر فيؤتى كتابه بشماله فيوقن بالهلاك،ويدعو على نفسه بالويل والثبور،قال تعالى: { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ۖ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (29) خُدُوهُ فَعُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34) } [سورة الحاقة : 25 إلى 34]

-المرحلة الثامنة مرحلة الحساب:

فأما المؤمن فيحاسب الحساب اليسير،إذ يقرره ربه بذنوبه ثم يغفرها له،قال تعالى: { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9) } [سورة الإنشقاق : 7 إلى 9]

وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " يُدْنِي الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ - وَقَالَ هِشَامٌ : يَدْنُو الْمُؤْمِنُ - حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ (35) ، فَيَقَرُّهُ بِذُنُوبِهِ : تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ يَقُولُ : أَعْرِفُ ، يَقُولُ : رَبِّ أَعْرِفُ. مَرَّتَيْنِ ، فَيَقُولُ : سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا ، وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. ثُمَّ تُطَوَّى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ ، أَوِ الْكُفَّارُ فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ : { هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ } "

وأما الكافر فإن الله تعالى يحاسبه حسابا عسيراً، فيضيق عليه ويستقصي، فيناقشه على الصغير والكبير وعلى النقيير والقطمير حتى يظن أنه هالك، قال تعالى: { وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11) وَيَصْلَى سَعِيرًا (12) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (13) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (14) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (15) } [سورة الإنشقاق : 10 إلى 15]

وروى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عَنْ عَائِشَةَ ، رضي الله عنها عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عَذِبَ " . قَالَتْ : قُلْتُ : أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : { فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا } ؟ قَالَ : " ذَلِكَ الْعَرْضُ "

أي أنه يعرض على المؤمن حسابه عرضاً فينجو، أما الكافر فإنه يناقش الحساب نقاشاً فيهلك.

-المرحلة التاسعة من مراحل أهل السعادة وأهل الشقاوة:مرحلة الموازين:

أما المؤمن فتوزن أعماله وصحائفه وبدنه، فترجح حسناته على سيئاته فينجو، وأما الكافر فترجح سيئاته ، إذ ليس له حسنات تثقل ميزانه، فلا يوزن وزن مقابله لقوله تعالى: { أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا } [سورة الكهف : 105]

وقال الله: { وَالْوِزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (9) } [سورة الأعراف : 8 إلى 9]

35-أي ستره وحفظه.

وقال سبحانه: { فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (7) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ (10) نَارٌ حَامِيَةٌ (11) } [سورة القارعة : 6 إلى 11]

-المرحلة العاشرة:مرحلة المرور على الصراط:

والصراط يا عباد الله هو جسر ممدود على ظهر جهنم، أهدى من السيف وأدق من الشعر، يثبت الله عليه من ثبت على صراط الدنيا وهو الإسلام، فأما المؤمنون فيجاوزون الصراط ويمرون عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كالمح الطرف، ومنهم كالريح، ومنهم كالخيل، ومنهم كشدة الرجال، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، تجري بهم أعمالهم، فمنهم من ينجو منها، ومنهم من تخذشه النار، ومنهم من يسقط فيها، فناج مسلّم، ومخدوش مرسل، ومكردس في نار جهنم ممن شاء الله من أهل المعاصي، ثم يخرجهم الله منها بإيمانهم وتوحيدهم، وأما الكافرون فيسقطون فيها من أول أمرهم ومخلدون فيها أبد الأبد، وأما المنافقون فتتطفئ أنوارهم فيتساقطون فيها، فلا يخرجون منها أبداً، وكل هذا ثابت عن نبينا صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: { وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا (72) } [سورة مريم : 71 إلى 72]

-المرحلة الأخيرة والمحطة النهائية لأولياء الله ولأعدائه، إما الجنة نسأل الله من فضله، وإما النار نعوذ بالله من عذابه، قال تعالى: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ } [سورة الشورى : 7]

فأما المؤمن فمثواه الأخير جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال الله : { إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (119) } [سورة طه : 118 إلى 119] وقال سبحانه: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي

**جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ { [سورة الحجر : 45] إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ { [سورة
الدخان : 51] إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ { [سورة الذاريات : 15]
{ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ { [سورة الطور : 17] إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي
ظِلَالٍ وَعُيُونٍ { [سورة المرسلات : 41] إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ
(54) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ (55) { [سورة القمر : 54 إلى
[55**

هؤلاء هم المتقون ، وهم أولياء الله الصالحون، وهذا هو جزاؤهم، جعلنا الله
وإياكم منهم.

وأما أعداء الله فمثنواهم الأخير هو النار وبئس القرار، طعامهم من نار وهو
القيح والصدید والغسلين، وشرابهم من نار وهو الحميم الحار الذي يقطع
أمعاءهم، ولحافهم من نار، وسقوفهم من نار، وثيابهم قد قطعت من نار، وهم
في سجون من نار، نسأل الله العافية والسلامة، ونعوذ بالله من النار، قال ربنا
في كتابه الكريم: **{ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ { [سورة التوبة : 68]**

وقال الله: **{ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ { [سورة الزخرف : 74
[{ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (47) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى
وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (48) { [سورة القمر : 47 إلى 48]**

اللهم اجعلنا من عبادك المتقين، وأوليائك الصالحين، الذين لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون، اللهم إنا نسألك الجنة وما يقرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ
بك من النار وما يقرب إليها من قول أو عمل، اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا
بالمؤمنين، واحشرنا مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، برحمتك
يا أرحم الراحمين.

خطبة بعنوان

[تحذير أصحاب الهمم من مفسد كرة القدم]

الخطبة الأولى/

إِن الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنُسْتَغِيثُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا ضَلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [سورة النساء : 1]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) } [سورة الأحزاب : 70 إلى 71]

عباد الله:

اعلموا أن أصدق الحديث كتابُ الله تعالى، وأن خيرَ الهدى هدى نبينا محمدٍ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

أما بعد:

فيقول رب العزة والجلال في محكم التنزيل: **{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) }** [سورة الذاريات : 56 إلى 58]

بين الله في هذه الآية الكريمة الحكمة من خلق الناس والغاية من وجودهم، وهي عبادته وحده لا شريك له، فيسر لهم السبل إلى ذلك، وأمدهم بأنواع من النعم التي بها يستعينون على عبادته، ووعدهم بجنته، وحذرهم من معصيته، وتوعدهم بناره إن هم عصوا أمره، فيجب على الناس أن يحققوا الغاية التي من أجلها خلقهم الله تعالى، ثم أخبر الله تعالى أنه ما خلق الناس سدى، ولا أوجدهم عبثاً لا يؤمرون ولا يُنهون، بل ما خلق الله السماوات والأرض إلا بالحق، والحق هو أن يعبد ويوحد، ويشكر ولا يكفر، ويذكر ولا ينكر، فحذرهم من أن يتخذوا دينهم لهوا ولعباً، قال سبحانه: **{ وَمَا خَلَقْنَا**

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا عِيبَ (38) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (39) { [سورة الدخان : 38 إلى 39]

ثم اعلّموا أن الله تبارك وتعالى لم يأمر عباده إلا بما كان فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولم ينههم إلا عما كان فيه مفسدة خالصة أو راجحة، ثم إن الشرع الحنيف جاء بتحقيق المصالح وتكميلها، والتحذير من المفساد وتقليلها، وأمر بالوسائل المؤدية إلى الأمور المحمودّة، وفي القاعدة الشرعية: **(ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)**، وحذر من الوسائل المفضية إلى القبائح، وفي القاعدة الشرعية: **(ما كان وسيلة إلى حرام أو إلى ترك واجب فهو حرام)**.

فحرم كثيرا من البيوع؛ لأنها تؤدي إلى الشحناء والبغضاء، وهي البيوع التي فيها غرر أوجهالة أو ظلم أو ربا، وحرّم الغيبة والنميمة والتنايز بالألقاب؛ لأنها تفسد الأخوة، وتؤدي إلى الفرقة والنفرة.

وفي هذا اليوم نذكر لكم لعبة ترتبت عليها مفسد عظيمة، وأدت إلى مخالفات كثيرة، وتسببت في ترك واجبات شرعية، هذه اللعبة سحرت كثيرا من الناس، فأذهبت عقولهم وأخذت قلوبهم، وكأنها واجبة عندهم، وكأنهم سيسألون عنها في قبورهم ويوم معادهم، ولم يعلم الكثير أنها غزو غربي لزرع العداوة والبغضاء بين المسلمين، ولهوهم عما ينفعهم، فإن أول ما جاءت هذه اللعبة من عند الكفار، ألا وهي كرة القدم، وما أدراك ما كرة القدم.

عباد الله: اعلّموا أن الله تعالى حرم لعبة النردشير وما كان في بابها كالشطرنج ونحوه لما يترتب عليها من المفساد، منها: القمار، ومنها: ضياع الأوقات، ومنها: جلب الشحناء والبغضاء بين اللاعبين، ومنها: الصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ومنها التشبه بالكافرين، وغير ذلك من المفساد، فقد روى الإمام مسلم رحمه الله عن بُرَيْدَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **" مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خَنْزِيرٍ وَدَمِهِ "**.

وهكذا كرة القدم فإنه يترتب عليها مفسد كثيرة.

- فمن مفسد كرة القدم يا عباد الله: كشف اللاعبين عن شيء من عوراتهم والناس ينظرون، بل والعالم يشاهدون، بل والنساء تنظر إليهم، ومعلوم شرعا أن كشف العورات أو شيء منها أمام الناس لا يجوز، فقد أمر الله بالتستر

والتجمل، ونهى عن التعري وكشف العورات، فإن هؤلاء اللاعبين يلبسون أنصاف السراويلات التي تصف العورة وتحجمها، ويبقى الفخذ مكشوفاً، والفخذ عورة، كما ثبت عند أبي داود وغيره عن جرّهد رضي الله عنه وكان من أصحاب الصُّفَّة ، قَالَ : جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَنَا وَفَخِذِي مُنْكَشِفَةً، فَقَالَ : " أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْفَخِذَ عَوْرَةٌ ؟ " .

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من لم يستتر عورته، فإن من أسباب عذاب القبر عدم التستر عند قضاء الحاجة، كما عند البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ : مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ : " أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ " .

ومن معاني : "لا يستتر من بوله" : أي لا يستتر عورته عند بوله ولا يستتر عن أعين الناس.

فلا يجوز هذا اللباس للاعب كرة القدم ولا لغيرهم ، ولا يجوز للناظرين أن ينظروا إليهم وهم في هذه الحالة، ومن باب أولى النساء فإن النظر منهن أقبح من نظر الرجال، بل ذهب بعض أهل العلم إلى عدم جواز نظر المرأة إلى الرجل أصلاً، فكيف بالنظر إلى عورته أو إلى شيء من عورته، قال تعالى: **{ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا }** {الآية} [سورة النور : 31]

-ومن مفسد كرة القدم اختلاط الرجال بالنساء في ملاعب كرة القدم ونظر بعضهم إلى بعض ، وربما التقطوا صوراً لهذه النسوة، ثم يبيثنها على شاشات التلفاز فيعم الشر، وقد حرم الله الاختلاط والنظر إلى النساء، قال تعالى: **{ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ } ذَلِكَ أَرْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ }** {الآيتان، [سورة النور : 30 إلى 31]

وقال تعالى: **{ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ }** {الآية} [سورة الأحزاب : 53]

وروى البخاري ومسلم عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **إِيَّاكُمْ وَالْدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ** ". فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمَوَ ؟ قَالَ : " **الْحَمَوُ الْمَوْتُ** " .

-ومن مفسد كرة القدم -يا عباد الله القمار-، وقد حرم الله القمار في كتابه وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** } [سورة المائدة : 90] والميسر هو القمار، وصفته أن يدفع الفريقان مالا ثم يأخذه الفريق الفائز، فيربح فريق ويخسر فريق، وهكذا فإن كل مسابقة أو لعبة تقوم على ربح أو خسارة من مال الفريقين، بأن يربح طرف ويخسر الطرف الآخر فهي قمار، وهذا من أكل أموال الناس بالباطل، ولذلك حرم الله القمار؛ لأنه يؤدي إلى الشحناء والبغضاء بين الناس، قال تعالى: { **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ** } [سورة المائدة : 91]

وقال الله: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** } [سورة النساء : 29]

-من مفسد كرة القدم- يا عباد الله- الصد عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل قد هل سمعتم لاعبا أو مشاهدا يذكر الله أو يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهل قد رأيتم اللاعبين أو المشجعين يتوقفون عن اللعب وقت الصلاة ثم يقيمون الصلاة؟ هل رأيتموهم يجيبون داعي الله إذا قال المؤذن حي على الصلاة؟ الجواب لا، بل ربما يلعبون من قبل صلاة العصر إلى بعد صلاة المغرب لأن هذا الوقت هو المناسب لهم، فيضيعون صلاتي العصر والمغرب، اللاعبين والمشجعون، فمن الذي أباح لهم أن يلعبوا وقت الصلاة؟ ومن الذي أسقط عنهم الصلاة بحجة اللعب، وما هو عذرهم أمام الله

تعالى، ونبينا صلى الله عليه وسلم لم يعذر المجاهدين في أرض المعركة، فقد صلى بهم العصر صلاة الخوف.

فالخسارة كل الخسارة هي في ضياع الصلوات، وإن زعموا أنهم فازوا بإدخال الكرة بين عمودين، فأى فوز هذا والله تعالى يقول: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }** [سورة المنافقون : 9]

وقال سبحانه: **{ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا }** [سورة مريم : 59]

ومن هذه الشهوات الملهية عن الصلوات شهوة كرة القدم لعباً ومشاهدةً وتشجيعاً، وقد توعد الله مضيعي الصلاة بغى: **{ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا }** وهو عذابٌ عظيم.

فيا عباد الله: إن كرة القدم من الملهيات عن ذكر الله وعن الصلاة وربما تعدى شرها إلى بلدان شتى، فيبقى الكثير منهم أمام التلفاز يشاهدون اللاعبين فتشغلهم المباريات عن أداء الصلوات حتى يخرج وقتها.

واعلموا - عباد الله - أن أول ما يُسأل العبد عنه يوم القيامة هو الصلاة، ما سيسأل عن المباراة لماذا لم يشاهدها، ولا عن الكرة لماذا لم يلعبها، فهل لهؤلاء من عقول أم قد أخذها باريها؟

فالصلاة الصلاة يا عباد الله، الله في الصلاة، فإن كل شيء يشغل عن الصلاة فهو محرم، وقد علمتم أن من أسباب تحريم الميسر أنه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، حيث قال تعالى: **{ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ }** [سورة المائدة : 91]

ولا يشترط وجود دليل على كل معصية أو مخالفة بعينها، فهناك عمومات يدخل تحتها مسائل وأحكام كثيرة، وهناك أدلة عامة وقواعد شرعية يدخل تحتها فروع كثيرة، مثل حديث: **" كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ "** متفق عليه عن أبي موسى رضي الله عنه.

فهذا الحديث عام يدخل تحته كل مسكر، مأكولا كان أو مشروباً، شجرة كانت أو ثمرة، ورقة كانت أو عشبة؛ لأن العلة واحدة وهي الإسكار، فكل ما أسكر فهو حرام بهذا الدليل العام، وهكذا كل خبيث أو مُضِر فإنه حرام، بدليل قوله تعالى: **{ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ }** [سورة الأعراف: 157]

فهكذا كرة القدم فإن علل التحريم موجودة، فإنها قد اشتملت على مخالفات كثيرة، ومنكرات عديدة، فيها أدلة صريحة في تحريمها قد ذكرنا بعضها وسيأتي ما تبقى منها.

فيا أيها المسلمون: يقول ربنا: **{ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ }** أي: هل أنتم منتهون عما يليه عن الصلاة؟، فإن كرة القدم من أعظم الوسائل لترك الصلوات، فاتقوا الله يا أيها المولعون بكرة القدم، ويا أيها المشجعون لكرة القدم، فإن الراضي كالفاعل في الحكم ولو لم يشارك، فقد روى أبو داود عن العُرس بن عميرة الكندي، رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكْرَهَا - وَقَالَ مَرَّةً : أَنْكَرَهَا - كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا ".

-ومن مفسد كرة القدم يا عباد الله: ضياع الأوقات، فقد صار كثير من الشباب هذه الأيام مولعون بها لا يكاد يمر يوم من الأيام إلا وهم في ملاعب الكرة، ويظنون أن هذه الأوقات التي تهدر في سبيل كرة القدم غير محاسبين عليها؟ كلا والله، سيحاسب كل إنسان عن كل ساعة قضاها، وسيندم على كل ساعة ضيعها، فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ؛ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ "

وروى الترمذي عن أبي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ".

الشاهد قوله: "حتى يسأل عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ" سيسأل عن عمره، وهو ساعاته وأيامه، وشهوره وأعوامه، أين قضاها؟

قال ابن القيم رحمه الله: "من لم يجعل وقته كله لله، فالموت خير له من الحياة" وقال يحيى بن أبي كثير رحمه الله: "الفوت أشد من الموت" أي فوات الوقت أشد على الإنسان من الموت.

وقتك يا أيها المسلم هو رأس مالك، وهو سبب سعادتك أو شقاوتك، ولهذا أقسم الله بكثير من الأوقات لأهميتها، فأقسم بالفجر وأقسم بالضحى، وأقسم بالعصر، وأقسم بالليل، وأقسم بالنهار ونحو ذلك؛ ولأنها محل أعمال العباد فاعمل فيها فإنها تعمل فيك، ولا تضيعها في اللهو واللعب والمنكرات.

-ومن مفسد كرة القدم ضياع الأموال وإهدارها بالباطل، وقد أمر الله ورسوله بحفظ الأموال والمحافظة عليها، وأمر بوضعها في مكانها المناسب لها، ونهى الله عن التبذير فقال سبحانه: **{ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27) }** [سورة الإسراء : 26 إلى 27]

وروى البخاري عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا : قِيلَ وَقَالَ ، وَإِضَاعَةَ **الْمَالِ** ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ "

فكم تهدر من أموال في سبيل كرة القدم، كم تُنفق من أموال في تجهيز الملاعب واللاعبين؟ إنها مليارات الدولارات تهدر في تجهيز الملاعب واللاعبين، وتبذل ملايين الدولارات جوائز للفائزين، ولو أنفقت هذه الأموال للأسر الفقيرة والمحتاجة والنازحة لسدت حاجات كثير من الشعوب والدول، وتالله ليسألن أصحاب هذه الأموال عن كل ريال، "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه"، إن كانت في حلال فحساب، وإن كانت في حرام فعقاب، فكيف لو أنفقت هذه الأموال في الباطل، وكيف لو أنفقت رياء وسمعة كحال كثير من المشجعين، ربما يأتيه المسكين ما يعطيه شيئاً، وربما جاره فقير يبيت جائعاً، ثم يأتي موسم اللعب

فيهلك الأموال الطائلة للاعبين يعبثون بها، والله المستعان، فقد روى البخاري عَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

فيا أرباب الأموال اتقوا الله في هذه الأموال التي أعطاكموها ، اجعلوها في بابها، يوجد أسر فقيرة لا تجد ماتقات به، يوجد فقراء ومساكين قد ملأوا البلاد، يوجد أرامل اكفلوهم، ويوجد عزاب زوجوهم، ويوجد مرضى داووهم، شاركوا في بناء المساجد واتركوا هذه الملاعب، أبواب الخير مفتوحة، ما رأيتم أين تضعون أموالكم إلا في ملاعب الكرة؟ فهذا والله من الخذلان، الذي يؤدي بصاحبه إلى الحرمان، ويترتب عليه الخسران، والله المستعان.

-وربما ترتب على كرة القدم -يا أيها المسلمون-: إزهاق أرواح، وإهلاك أنفس وسفك دماء:

قد يقول قائل: أما هذه مبالغة فإنه لا يوجد ذلك، نقول بل يوجد والواقع خير شاهد، فإنه يحصل في بعض الملاعب مشاحنات ومضاربات من قبل اللاعبين أو المشجعين، ثم تتطور القضية حتى تصل إلى القبائل وربما نشبت حرب بين قبيلتين ويحصل أمور لا يحمد عقباها من القتل والتهاجر والثارات والمقاطعات ونحو ذلك.

الأمر الآخر لا يخفى عليكم من إطلاق الرصاص إلى الهواء عند فوز بعض المنتخبات، فيروعون الأمنين، ويخوفون الأطفال، ويزعجون المرضى، وترجع بعض الرصاص من الهواء فتصيب بعض الناس، فتقتل أطفالا وتصيب آخرين ،ولا يبالون بمن قُتل أو أصيب، فمن يحمل مسؤولية هذه الجرائم يا عباد الله؟

يحمل وزرها كل من أطلق الرصاص إلى الهواء وشارك ورضي بذلك، فلكل واحد منهم نصيب من وزر هذه الأنفس التي قتلت ظلما، فيا عباد الله: بأي ذنب قتلت ؟ وفي سبيل من أزهدت؟ هل قتلت في معركة بين المسلمين والكفار، أم أنه الفرح المذموم، والطيش المعلوم ؟ ولو أن قيمة هذه العيارات

والرصاص جهزت بها جيوش لقتال اليهود لنفع الله بها، ولكنها أحرقت في الهواء وذهبت هباء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم اعلّموا يا عباد الله أن نفس المؤمن أغلى عند الله من الدنيا وما فيها، بل إن حرمتها أعظم من حرمة الكعبة المشرفة، لأن نزول الكعبة حجراً حجراً أهون من أن تقتل نفس مسلمة، ولأن نزول السماوات والأرض أهون من قتل مسلم بغير حق، فقد روى الترمذي وغيره عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ** ".

فأين تعظيم الأنفس التقية والدماء الزكية، قال الله: **{ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ }** [سورة الحج : 32]

ثم كيف يسوغ لهؤلاء أن يفرحوا بالانتصارات الرياضية، وإخوانهم يقتلون ويقصفون ويهجّرون، وتُدمر بيوتهم، كان الأولى بهم أن يحزنوا بحزن إخوانهم وأن يدعوا لهم، كيف يفرحون بالانتصارات الرياضية وهم مهزومون في الحروب العسكرية، فهذه مصائب نزلت بالمسلمين، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

-ومن مفاصد كرة القدم أيها المسلمون: أنها تجلب الشحناء والبغضاء بين الناس؛ لأنها تقوم على القمار كما تقدم، فإلم يكن هناك قمار فهناك أسباب أخرى تسبب الشحناء وتوغر الصدور، منها ما يسمى بتسديد الأهداف على حد تعبيرهم، وأن الفريق الذي يتم تسديد الأهداف عليه يحمل الحقد والبغضاء والشحناء على الفريق الآخر، ربما لا تجد هذا الحقد والكرهية لليهود والنصارى، فيصير الفريق المهزوم يكره الفريق الآخر أكثر من اليهود والنصارى، وهم من إخوانه المسلمين، وقد حرم الله البغضاء والحسد والشحناء، فقد روى الإمام مسلم عن أَنَسٍ، رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا** ".

وروى الترمذي عن الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ ؛ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَاقَّةُ، لَا أَقُولُ : تَخْلُقُ الشَّعْرَ. وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا**

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَنْبَيْتُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ "

وقد سمعتم أن الله تعالى حرم الخمر والميسر لأسباب، منها: أنها تجلب الشحناء والبغضاء بين الناس، ويقاس على ذلك كل ما كان وسيلة إلى الشحناء والبغضاء فإنه حرام، قال تعالى: **{ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ }** [سورة المائدة : 91]

نسأل الله العافية والسلامة

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن تاريخ كرة القدم قديم، فقد أحدثها الصينيون منذ قرون بعيدة، ولعبها الانجليز وغيرهم فترة من الزمن حتى لحقهم الضرر ثم منعوها؛ لأنهم رأوا أنها ستعيقهم عما هو أنفع لهم وأهم، ثم أدخلوها إلى بلاد الإسلام ليشغلهم بها عما هو أنفع لهم فنجحوا بذلك، فصار أكثر المسلمين مشغولين بهاء، بل صار بعضهم يسافر من بلد إلى بلد من أجلها، وينفق الأموال الطائلة في سبيلها.

كرة القدم جاءت من عند الكفاريا عباد الله، ما جاءت من عند الصحابة ولا التابعين ولا من أصحاب القرون المفضلة. فمن مفايدها: أن اللعب بها على نظام تلك المنتخبات تشبه بالكفار، وقد روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ ".

وروى البخاري ومسلم عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جَحْرٍ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ ". قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: " فَمَنْ؟ ".

وفي رواية عند الحاكم: " وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلموه "

فليس العز والتمكين بالتشبه بالكافرين، إنما العز منوط بالتمسك بأحكام الدين، وهل يريد الكفار للمسلمين خيرا؟ لو كان في كرة القدم خير للمسلمين لمنعهم منها، ولحاربوهم عليها، كيف لا وقد قال الله في كتابه الكريم: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۚ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ

الْهُدَى ۖ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۖ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ { [سورة البقرة : 120]

-ومن مفسد الكرة الموالاة والمعاداة المحرمة، بحيث صار بعض المسلمين
يوالي اللاعبين الفسقة بل والكفرة ويشجعونهم، ويعادي اللاعبين المسلمين
،حتى بلغ الحد ببعض المغفلين من المسلمين إلى أنه يناص ويوالي ويحب
اللاعب فلان اليهودي الذي يطعن في رب العالمين سبحانه، ويناصر اللاعب
النصراني الذي يقول إن عيسى هو الله ،كيف يناصرون ويشجعون أناسا هم
أكفر خلق الله، يناصرون ويوالون أناسا يقتلون إخواننا في فلسطين و يفعلون
بهم الأفاعيل، حتى قال أحد القروء من اليهود :أنا لا أتشرف أن يشجعني كلب
عربي!ويقول: لو كانت أصبعي عربية لقطعتها، فانظروا إلى حقدهم الدفين
على العرب والمسلمين، فكيف ذهب بعض المسلمين يواليهم ويهين نفسه
عندهم؟! فانظروا إلى المستوى الذي وصل إليه بعض المسلمين من الإهانة
والانحطاط والذلة! نسأل الله العافية.

اعتز بدينك يا مسلم فإنك خير من اليهود والنصارى كلهم، بل مسلم واحد
موحدٌ لله ولو كان عاصيا فاسقا خيرا من ملء الأرض كفارا، فموالاتهم
ذل، وبغضهم عز، قال عمر الفاروق رضي الله عنه :**"نحن قوم أعزنا الله
بالإسلام فإذا ابتغينا والعزة بغيره أذلنا الله"**

ومن القبائح والفضائح عند بعض أصحاب كرة القدم أنهم يستضيفون الكفرة
والفجرة والفسقة ويتكثرون بهم، ومنهم أولئك السقط والشواذ من المثليين
من الرجال والنساء الذين يعملون عمل قوم لوط، ومعلوم أن حكم الله في
الذين يعملون عمل قوم لوط القتل، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنهم يقذفون
على رؤوسهم من شاهق مرتفع ثم يرمون بالحجارة؛ لأنهم قلبوا سنة الله، وقد
قلب الله قري قوم لوط فجعل عاليها سافلها وأتبعهم حجارة من سجيل؛ لأنهم
أتوا الذكران من العالمين، فعاقبهم بأشد عقوبة لشناعة ما عملوه ، إذ أرسل
جبريل عليه السلام فاقتلع قراهم بجناحه فرفعها إلى السماء ثم قلبها عليهم
وأتبعهم بالحجارة، فقد روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **" مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ
لُوطٍ فَأَقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ "**.

وقد خاف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته من هذا الذنب القبيح، ومن هذا الفعل الشنيع، فقد روى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ أَخُوفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي **عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ** "

فكيف يفرح هؤلاء بالمثلين ويتكثرون بهم ويفتخرون بتشجيعهم؟ اللهم سلم سلم

- ومن مفسد كرة القدم -ونختم بهذه المفسدة- أن أصحاب كرة القدم صاروا يعظمون الكأس الذي يسمى بكأس العالم وفيه مافيه من المنكرات، وربما بعضهم يحبه أشد من حب الله وهذا شرك أكبر مخرج من الملة والعياذ بالله، قال تعالى: **{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ }** [سورة البقرة : 165]

بالإضافة إلى أن في ذلك الكأس الذي يتهاكون عليه ويتسابقون إليه صورة صنم كما في كأس سابق لعام من الأعوام السابقة، وهذه الصورة بشكل تمثال ربما يعبدونه من دون الله، أو يشير إلى عقيدة باطلة من عقائد اليهود والنصارى يدعون الناس إليها بواسطة هذا الكأس، فلا يستبعد منهم ذلك فإنهم قوم مشركون، فانتبه لدينك وعقيدتك يا مسلم، فما هذه الغفلة التي أصابت كثيرا من المسلمين وأطبقت على الكثير منهم فإلى الله المشتكى.

هذه أهم المفسدات التي تترتب على كرة القدم وهناك مفسدات أخرى أعرضنا عنها خشية الإطالة، بالإضافة إلى أن هناك مفسدات دنيوية، فإن كرة القدم ضعيت كثيرا من الناس حتى عن أمور دنياهم، وقصر كثير من الناس في طاعة آبائهم وأمهاتهم، وقصر كثير من الناس في نفقات زوجاتهم وأولادهم، فكرة القدم ضياع للناس بمعنى الكلمة، فقد ضعيت كثيرا من الناس في دينهم ودنياهم والله المستعان.

تلك البالونة البلاستيكية المملوءة بالهواء التي إذا دخلت بين عودين يفرحون ويصيحون ويطلقون الرصاص وكأنهم حرروا فلسطين أو انتصروا على اليهود، وفي الحقيقة إنما انتصر عليهم اليهود والنصارى لأنهم نفذوا خطتهم ونجحوا في ضياع المسلمين، إذ أغرقوهم في الملهييات، وشغلهم عما هو

أنفع لهم، بل شغلهم عن دينهم وزرعوا بينهم العداوات والمشاحنات وغير ذلك مما ذكرنا.

ألا فلنتق الله يا عباد الله في أوقاتنا وفي صلاتنا وفي أخوتنا وفي أموالنا وفي جميع أمورنا، لا يضحك علينا اليهود والنصارى في كل شئونا، فقد صار كثير من المسلمين يقلدون اليهود والنصارى في جميع شئونهم، حتى في لباسهم وقصاتهم وكثير من عاداتهم وتقاليدهم.

فنسأل الله أن يصلح المسلمين ويأخذ بأياديهم إلى كل خير، اللهم ردنا إلى دينك ردا جميلا، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ، اللهم انصر الإسلام والمسلمين، واخذل الشرك والمشركين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل الدين، اللهم عليك باليهود المعتدين والنصارى الضالين وسائر الكفر والمشركين ومن تعاون معهم من المنافقين يا قوي يا متين.

خطبة بعنوان

«من عجائب القرآن الكريم في تأثيره على القلوب»

إِن الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا ضَلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا. }

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

عباد الله:

يقول رب العزة والجلال في محكم التنزيل: **{ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى ۚ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۚ أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ }** [سورة الرعد : 31]

يخبر تعالى في كتابه العزيز عن عظمة القرآن الكريم، وعن تأثيره على الإنس والجن والجمادات، وذلك أنه لو كان هناك كتاب سماوي تتصدع به الجبال وتسير عن أماكنها، أو تنشق به الأرض فتصير بساتين وأنهاراً، أو كُلم به الموتى في قبورهم فأحياءهم الله به لكان هذا القرآن الكريم، لعظمته وقوة تأثيره، ولفضله على الكتب السابقة وهيمنته عليها، فلو أراد الله تعالى أن يسير الجبال بالقرآن أو يقطع به الأرض أو يكلم به الموتى لفعل، ولكن الله تعالى حكيم يفعل ما يشاء لحكمة، ويمنع ما يشاء لحكمة، ويربط الأسباب بمسبباتها، ويبتلي عباده بالأمور الغيبية، ولكن كثيراً من الناس عن هذا غافلون، وعن تعظيم القرآن متساهلون، فما عظموه حق عظمتهم، ولا قدروه حق قدره، كيف لا يُعظم وهو كلام الرحمن الذي هو صفة من صفاته العظيمة، وهو المعجزة الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلو لا رحمة الله ما أطاق أحد قراءته، ولا استطاع أحد سماعه، ولكنه تعالى يسره لذكره، وسهله على السنة خلقه، ليتعبدوا بتلاوته، وليتوسلوا إلى ربهم بحفظه والعمل به، وليتدبروا معانيه ويتعظوا بمواعظه، وليقفوا عند حدوده فيمتثلوا وأوامره ويجتنبوا نواهيه، وينزجروا بزواجره، ويرتفعوا درجات عند تلاوته، قال تعالى: **{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ }** [سورة القمر : 17]

فمن قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، فنسأل الله من فضله.

قال المفسر ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى مادحا للقرآن الذي أنزله على محمد - صلى الله عليه وسلم - ومفضلاً له على سائر الكتب المنزلة قبله : **(ولو أن قرآنا سيرت به الجبال)** أي : لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها ، أو تقطع به الأرض وتنشق أو تكلم به الموتى في قبورها ، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره ، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك؛ لما

فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله ، ولا بسورة من مثله"هـ.

وقال عزّ من قائل: **{ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }** [سورة الحشر : 21]

فيجب الانقياد لكلام الرحمن، والاتعاظ بهذا القرآن، وأن يكون له أثر إيجابي في كل إنسان، كما لو أنزله الله على الجبال الصماء لتأثرت وخشعت، ولتصدعت وانقادت ، فيجب تعظيمه كما عظمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن كثيرا من الناس في غفلة وإعراض عن القرآن الكريم إلا من رحم الله .

قال المفسر الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: **(لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)** يقول جلّ ثناؤه: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وهو حجر، لرأيت يا محمد خاشعاً؛ يقول: متذللاً متصدّعا من خشية الله على قساوته، حذراً من أن لا يؤدي حقّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخفّ، وعنه عما فيه من العبر والذكر مُعرّض، كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقراً"هـ.

فإن القرآن الكريم هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما أخبر الله عنه؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد؛ ولأن الذي تكلم به هو العزيز المجيد، وانظروا إلى أوله وخاتمته، فقد استفتح بأعظم سورة وهي الفاتحة التي هي أم القرآن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، والمتأمل فيها يرى أن القرآن الكريم يندرج تحتها، فقد ذكر الله فيها أقسام التوحيد الثلاثة، توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، وفيها إثبات الرسالة لنبينا صلى الله عليه وسلم، وإثبات المعاد، وبدأت بالحمد والثناء والتمجيد للملك الغلاب سبحانه وتعالى، وهكذا خُتم القرآن بسورة الناس وفيها إثبات الألوهية والملك

لله تعالى والحث على اللجوء إلى الله والالتصاق بجنابه والتوكل عليه والتعلق به، والاستعاذة به من شر كل ذي شر هو آخذ بناصيته؛ لأن جميع المخلوقات تحت قهره وتسخيره، ولا يفوت شيء من قبضته ولا يغيب عن علمه ومراقبته، ولعظمة هذا القرآن أكد الله في أول سورة البقرة على صدقه وبلاغته، وعلى إعجازه وعصمته، وعلى يقينه ونفى الشك فيه، فقال سبحانه وتعالى: **{ الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) }** [سورة البقرة : 1 إلى 2]

{ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ } أي: لا شك فيه، فكل كتب المخلوقين وكتاباتهم ورسائلهم يعترئها الأخطاء والجهل والنسيان والسقط والزيادة والنقصان، إلا القرآن أبى الله إلا أن تكون العصمة له، فكل من كتب أو تكلم يعتذر إن وجد الخطأ والسهو أو الجهل أو الشك ونحو ذلك، إلا الله تبارك وتعالى ابتداء كتابه بنفي ذلك فقال تعالى: **{ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ }**، فقد ذكر لنا أن بعض الناس تأثر وأسلم بمجرد قراءة هذه الآية التي بدئ بها هذا الكتاب العظيم لما تحمل من معنى عظيم يدل على عظمته ويقينه، وعلى قوة تأثيره وعصمته، فينبغي على كل مسلم أن يتدبر هذا القرآن، وأن تؤثر فيه مواعظه، وأن يجعله أمامه لا من ورائه، فكما سمعتم لو أنزل هذا القرآن على الجبال لتأثرت به وانقادت، وسنذكر في هذا المقام بعض القصص من تأثر كثير من الناس به فأسلم الكثير منهم بمجرد سماعه، ولذلك لجأ المشركون إلى الإعراض عنه والتحذير منه لقوة تأثيره على القلوب والتحذير من الاستماع له، فكانوا يقولون لأتباعهم لا تسمعوا لمحمد لا يسحركم فإنه ساحر، قال الله عز وجل عنهم: **{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ }** [سورة فصلت : 26]

فيقول أحدهم إنني أعرف الشعر والسحر والكهانة، سأسمع من محمد وأنظر ماذا عنده، فما إن يسمع القرآن إلا ويتأثر به فيسلم، لأن للحق

وقعا في القلوب، وتأثيرا في النفوس، ولذلك يسعى أهل الباطل في تشويه الحق وتحذير الناس منه لئلا يعرفوه فيتبعوه.

قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: **{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ }**: "أي : إذا تلي لا تسمعوا له . كما قال مجاهد : **(والغوا فيه)** يعني : بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا قرأ القرآن" اهـ.

ولنبداً بذكر تأثير القرآن الكريم على الجن قبل الإنس، فإن الجن شر من الإنس، فلهم نفوس شريرة وطبائع عدوانية، ومع هذا فقد سمع نفر منهم القرآن الكريم فأعجبهم وأثر فيهم فأمنوا به ثم رجعوا إلى قومهم منذرين، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أمرا له أن يخبر الناس عن قصة الجن مع القرآن الكريم: **{ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (3) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (4) وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (5) }** [سورة الجن : 1 إلى 5]

قال المفسر السعدي رحمه الله في تفسيره أي: **{ قُلْ }** يا أيها الرسول للناس **{ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ }** صرفهم الله [إلى رسوله] لسماع آياته لتقوم عليهم الحجة [وتتم عليهم النعمة] ويكونوا نذرا لقومهم. وأمر الله رسوله أن يقص نبأهم على الناس، وذلك أنهم لما حضروه، قالوا: أنصتوا، فلما أنصتوا فهموا معانيه، ووصلت حقائقه إلى قلوبهم، **{ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا }** أي: من العجائب الغالية، والمطالب العالية.

وقال تعالى: **{ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ**

يَدِيهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (32) [سورة الأحقاف : 29 إلى 32]

وهكذا تأثر مشركو قريش بالقرآن الكريم بمجرد سماعه، وعلموا أنه ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة، ولا يمكن أن يقوله بشر؛ لأنهم أهل اللغة وأهل الفصاحة والبلاغة، وقد تحداهم بأن يأتوا ولو بسورة قصيرة من مثله فلم يستطيعوا، فأسلم الكثير منهم وجد الأكثر ظلماً وعلوا وكبرا وحسدا، فهذا جبير بن مطعم رضي الله عنه كان سبب إسلامه آية من كتاب الله سمعها فأثرت في قلبه واقشعر بها جلده فسارع بالإيمان بربه، وغيره ممن أسلم كثير، فقد روى البخاري عن **جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ**، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ : **{ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ } { أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ } { أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ }** كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ.

وهذا لبيد بن ربيعة رضي الله عنه، فقد كان من شعراء العرب الفصحاء، ومن أصحاب المعلقات، وهو ممن تأثر بالقرآن الكريم إذ سمعه فأسلم وترك الشعر واكتفى بالقرآن الكريم، فلم يقل بعد ذلك إلا بيتاً واحداً من الشعر وهو قوله:

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي**** حتى ارتديت من الإسلام سربالاً.

وهو الذي قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ ؛ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ** وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسَلِّمَ "متفق عليه.

قال ابن كثير رحمه الله: " وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد وقعة بدر في فداء الأسارى ، وكان إذ ذاك مشركا ، وكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد ذلك "

وهذا الوليد بن المغيرة يعترف بفضل القرآن وعظمته، ويقر ببلاغته وتأثيره، إذ أثنى عليه وأبلغ في الثناء، ولكن جلساء السوء، والعصبية الطائفية والنعرات الجاهلية منعتة من الإيمان، فاستمر على الكفر والطغيان.

قال المفسر البغوي رحمه الله: "لَمَّا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، إِلَى قَوْلِهِ: {الْمَصِيرُ}] غَافِرٍ: 1- 3]

قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ قَرِيبٌ مِنْهُ يَسْمَعُ قِرَاءَتَهُ فَلَمَّا فَطِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَاسْتِمَاعِهِ لِقِرَاءَتِهِ أَعَادَ قِرَاءَةَ الْآيَةِ، فَانْطَلَقَ الْوَلِيدُ حَتَّى أَتَى مَجْلِسَ قَوْمِهِ بَنِي مَخْزُومٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ أَنْفًا كَلَامًا مَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ، وَإِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُعْدِقٌ، وَإِنَّهُ يَعْلُو وَمَا يُعْلَى، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ " .. ا.هـ

فخافت قريش من إسلامه حيث أثنى على القرآن الكريم وزينه، فأرسلوا إليه أبا جهل لعنه الله ليلبس عليه في شأن القرآن الكريم، وذكره بمكانته في قومه وأنه غني عما في يد محمد صلى الله عليه وسلم وعن طعامه، ففكر ماذا يقول في القرآن، ثم نظر، فأدبر وأستكبر ، فقدر أن يقول: إنه سحر يؤثر، فأنزل الله تعالى فيه : { إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ (24) إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سَأُصْلِيهِ

سَقَر (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَر (28) لَوَاحَةٌ
لِّلْبَشَر (29) عَلَيْهَا تِسْعَةٌ عَشَرَ (30) } [سورة المدثر : 18 إلى
 [30]

وصدق الله تعالى إذ يقول فيه وفي أمثاله من الجاحدين بالقرآن
 الكريم، قال الله: **{ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ**
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } [سورة الأنعام : 33]

وهذا عتبة بن ربيعة رأس من رؤوس المشركين يؤثر فيه القرآن
 حتى شهد له بأنه ليس بكلام بشر ولا هو بالسحر ولا بالشعر ولا
 بالكهانة، فقد ذكر البغوي في تفسيره وحسنه بعض المحققين عَنْ
 جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ الْمَلَأُ: مِنْ قُرَيْشٍ وَأَبُو جَهْلٍ:
 قَدْ التَّبَسَّ عَلَيْنَا أَمْرُ مُحَمَّدٍ فَلَوْ التَّمَسَّتُمْ رَجُلًا عَالِمًا بِالشَّعْرِ وَالْكَهَانَةِ
 وَالسِّحْرِ، فَأَتَاهُ فَكَلَّمَهُ ثُمَّ أَتَانَا بَيَانٍ مِنْ أَمْرِهِ، فَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ:
 وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ الشَّعْرَ وَالْكَهَانَةَ وَالسِّحْرَ وَعَلِمْتُ مِنْ ذَلِكَ عِلْمًا وَمَا
 يَخْفَى عَلَيَّ أَنْ كَانَ كَذَلِكَ أَوْ لَا، فَأَتَاهُ فَلَمَّا خَرَجَ إِلَيْهِ قَالَ: فَقَالَ أَنْتَ يَا
 مُحَمَّدُ خَيْرٌ أَمْ هَاشِمٌ؟ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدِ اللَّهِ؟
 فِيمَ تَشْتُمُ الْهَتَنَاتِ؟ وَتُضِلُّ أَبَاءَنَا فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الرِّيَاسَةَ عَقَدْنَا لَكَ الْوَيْتَنَا
 فَكُنْتَ رَأْسًا مَا بَقِيتَ، وَإِنْ كَانَ بِكَ الْبَاءَةُ زَوْجُنَاكَ عَشْرَ نِسْوَةٍ تَخْتَارُ
 مِنْ أَيِّ بَنَاتِ قُرَيْشٍ؟ وَإِنْ كَانَ بِكَ الْمَالُ جَمَعْنَا لَكَ مَا تَسْتَغْنِي أَنْتَ
 وَعَقِبُكَ مِنْ بَعْدِكَ؟

وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَلَمَّا فَرَغَ قَرَأَ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم: **{ (1) تَنْزِيلٌ**
مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) } **{ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ**
يَعْلَمُونَ }، إِلَى قَوْلِهِ **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ**
عَادٍ وَثَمُودَ (13) }، الْآيَةِ فَأَمْسَكَ عُتْبَةُ عَلَى فِيهِ وَنَاشَدَهُ بِالرَّحِمِ
 وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى قُرَيْشٍ فَاحْتَبَسَ عَنْهُمْ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ:

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ مَا نَرَى عُتْبَةَ إِلَّا قَدْ صَبَأَ إِلَى دِينِ مُحَمَّدٍ، وَقَدْ
أَعْجَبَهُ طَعَامُهُ..

وفي رواية عن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ: حَدَّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رِبِيعَةَ
كَانَ سَيِّدًا حَلِيمًا، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ وَرَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ وَحْدَهُ فِي الْمَسْجِدِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَلَا
أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأُكَلِّمُهُ وَأُعْرِضُ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ مِنَّا بَعْضَهَا،
فَنُعْطِيهِ وَيَكْفَ عَنَّا، وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ، فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ فَقُمْ
إِلَيْهِ فَكَلِّمُهُ، فَقَامَ عُتْبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ عَلِمْتَ مِنَ الْبَسْطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ وَالْمَكَانِ
فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ، فَرَقَّتْ جَمَاعَتُهُمْ وَسَفَّهَتْ
أَحْلَامَهُمْ، وَعَبَتْ آلِهَتُهُمْ وَكَفَرَتْ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي
أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: "قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ"، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنْ كُنْتُ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا
جِئْتُ بِهِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ [مِنْ] أَكْثَرِنَا مَالًا، وَإِنْ
كُنْتُ تُرِيدُ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي بِكَ رِئْيَا تَرَاهُ لَا
تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ طَلَبْنَا لَكَ الطِّبَّ، وَلَعَلَّ هَذَا شِعْرٌ جَاشَ بِهِ صَدْرُكَ، فَإِنَّكُمْ
لِعَمْرِي بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ تَقْدِرُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُكُمْ
، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مَا عِنْدَهُ مِنْ سَائِرِ الْأُمُورِ الَّتِي يَزْعُمُ أَنَّهَا تَرُدُّهُ عَمَّا
يَقُولُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَوْقَدْ فَرَعْتَ يَا أَبَا
الْوَلِيدِ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:

"فَاسْتَمِعْ مِنِّي"، قَالَ: أَفْعَلْ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ
آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا، ثُمَّ مَضَى فِيهَا يَقْرَأُ فَلَمَّا سَمِعَهَا عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهُ
وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْتَمِعُ مِنْهُ حَتَّى انْتَهَى رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّجْدَةِ فَسَجَدَ، ثُمَّ قَالَ: "قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا
الْوَلِيدِ فَأَنْتَ وَذَاكَ"، فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:

نَخْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ، فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: وَمَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ فَقَالَ: وَرَائِي أَنِّي قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ قَطُّ، مَا هُوَ بِالشَّعْرِ وَلَا السِّحْرِ وَلَا الْكِهَانَةِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي خَلُّوا مَا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ وَاعْتَزِلُوهُ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأًا [عَظِيمٌ] فَإِنْ تُصِبْهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِنْتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَى الْعَرَبِ فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ، فَأَنْتُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ، فَقَالُوا:

سَحَرَكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ، قَالَ [وَاللَّهِ مَا سَحَرَنِي] : هَذَا رَأْيِي لَكُمْ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ.

وقد تأثر بعض المستشرقين من المعاصرين الذين جندوهم للطعن في القرآن الكريم حيث وجدوا له تأثيرا عجيبا على القلوب وأن فيه حقائق لا يعلمها أحد في ذلك الزمان الذي نزل فيه فأسلم بعضهم، وهكذا من علم الله في قلبه خيرا وفقه لسماع كتابه وجعله سببا لهدايته.

ومن تأثير القرآن الكريم على الأبدان والقلوب أنه شفاء من الأمراض الحسية والمعنوية، شفاء لأمراض القلوب والأبدان، شفاء لأمراض الشبهات والشهوات، قال تعالى: **{ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا }** [سورة الإسراء :

[82

وقال تعالى: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (57) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (58) }** [سورة يونس : 57

إلى 58]

وقال تعالى: **{ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۚ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا**

**يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرَّ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ
بَعِيدٍ { سورة فصلت : 44]**

قال المفسر ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **(شفاء ورحمة للمؤمنين**) أي : يذهب ما في القلوب من أمراض ، من شك ونفاق ، وشرك وزيف وميل ، فالقرآن يشفي من ذلك كله . وهو أيضا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه ، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقته واتبعه ، فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة . وأما الكافر الظالم نفسه بذلك ، فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدا وتكديبا وكفرا . والآفة من الكافر لا من القرآن..".هـ

قال المفسر السعدي: "فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة... وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والأجل".هـ

وهو شفاء من سموم الحيات والعقارب، وشفاء ووقاية من أمراض السحر والعين والمس، فقد روى البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه، قَالَ : انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرَةٍ سَافَرُواهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلَدَغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا ؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ. فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا : يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدَغَ وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا. فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَاِنْطَلَقَ يَتَفَلُّ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ ، (أي: كأنما انفك من قيد) فَاِنْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلْبَةٌ (أي علة) ... فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَذَكِّرُوا لَهُ فَقَالَ : " وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ ؟ " . ثُمَّ قَالَ : " قَدْ أَصَبْتُمْ ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا " . فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وروى مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ " . قَالَ مُعَاوِيَةُ : بَلَّغْنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ : السَّحَرَةُ .

فتعلم سورة البقرة وحفظها وتلاوتها بركة في الحال والمآل، وفي القلوب والأبدان، وفي المال والعيال، وهي مطردة للشيطان.

وهكذا القرآن عموماً، فإنه وقاية من شياطين الجن والإنس

قال تعالى : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا } [سورة الإسراء : 45]

وقال تعالى : { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (100) [سورة النحل : 98 إلى 100]

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، الحمد لله الذي جعل القرآن تبياناً للناس ونوراً مبيناً، ثم نحمده تعالى إذ جعله هادياً وشافعاً وسراجاً منيراً، وجعله شفاءً ورحمةً للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً.

أما بعد:

عباد الله:

إذا كان للقرآن تأثيرٌ على الأحجار والجبال وعلى الكفار والمشركين، فمن باب أولى أن يكون له تأثير على المؤمنين الحافظين له العاملين به أعظم من غيرهم؛ لأنهم أهل الإيمان، وهم أهل الإسلام، فلا بد أن يؤثر فيهم القرآن، فإذا لم يتأثر المؤمن بالقرآن الكريم فإن هناك أشياء تمنعه من ذلك، وهي الذنوب والمعاصي، وحب الدنيا وموثرتها على الآخرة وغير ذلك من الموانع والحواجز التي تحول بين المرء وقلبه، قال ابن القيم رحمه الله: "اطلب قلبك في ثلاثة مواطن: عند سماع القرآن، وفي مجالس الذكر، وفي أوقات الخلوة؛ فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمنَّ عليك بقلب؛ فإنه لا قلب لك" اهـ.

فأين نحن يا عباد الله من قول الله تعالى: **{ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ }^{٢٨} أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** [سورة الرعد : 28]

{ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } فيا عبد الله إن القلوب تطمئن وتسكن وتتأثر بذكر الله تعالى، ومن ذلك القرآن الكريم، فإذا لم يؤثر القرآن في قلبك وتسكن له جوارحك فاسع في صلاح قلبك، فإن قلبك ميت، ومن أسباب صلاحه تلاوة القرآن بتدبر وتأمل، ثم العمل به، قال

تعالى: { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [سورة محمد : 24]

وقال تعالى: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } [سورة ص : 29]

قال المفسر السعدي رحمه الله: "...فمعنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام" اهـ.

قال عز من قائل: { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } [سورة المائدة : 83]

فإن الذين لا يتأثرون بالقرآن الكريم أصحاب قلوب غافلة أو قاسية، قال تعالى: { أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۖ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (22) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ (23) } [سورة الزمر : 22 إلى 23]

فمن علامة قوة الإيمان وزيادته التأثير بالقرآن الكريم وتدبره، والخوف عند وعيده والرجاء عند وعده، والوقوف عند حدوده، فقد حصر الله الإيمان بذلك في قوله: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [سورة الأنفال : 2]

فيا عباد الله إنه لا يحصل التأثر بالقرآن والانتفاع به إلا مع التدبر لمعانيه والتأمل في عجائبه، أما من قرأه هذا كهذا الشعر وكان قارئه غافلا وقلبه ليس حاضرا فإنه لا يؤثر فيه، قال تعالى: **{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }** [سورة ق: 37]

قال البغوي: **(إن في ذلك لذكرى)** تذكرة وعظة **(لمن كان له قلب)** قيل: له قلب حاضر مع الله. **(أو ألقى السمع)** استمع القرآن، واستمع ما يقال له، لا يحدث نفسه بغيره، أي استمع **(وهو شهيد)** أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه "انتهى مختصرا.

ولكن من المؤسف أن كثيرا من المسلمين قد هجر القرآن، وكثير منهم لم يقرأه إلا في رمضان، فمن أين سيؤثر فيه القرآن ومن أين سينتفع به وهو معرض عنه، فهذا الصنف يصدق عليه قوله تعالى: **{ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا }** [سورة الفرقان: 30]

فمن هجران القرآن عدم قراءته وعدم تدبره وعدم العمل به، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يسمعون، كما قال تعالى: **(وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)** [فصلت: 26] وكانوا إذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعه. فهذا من هجرانه، وترك [علمه وحفظه أيضا من هجرانه، وترك] الإيمان به وتصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتنال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره - من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره - من هجرانه "هـ.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وذهاب همومنا، وجلاء أحزاننا، اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، واجعله خالصا

لوجهك الكريم، اللهم اجعله شاهدا لنا لا علينا، اللهم ارفعنا به الدرجات العالية
والمنازل الرفيعة واجعله شافعا لنا يوم القيامة برحمتك يا أرحم الراحمين.

الخاتمة

تم الفراغ من كتابته وتجهيزه بفضل الله وعونه يوم الجمعة
الموافق ٢١/رجب/١٤٤٥ للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم
والتسليم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فאלله أسأل أن يجعله خالصا
لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يكون سلاحا للخطباء
والواعظين، وأن يجعله ذخرا لنا إلى يوم الدين، إنه جواد كريم، كما نسأله
تعالى أن يغفر لنا ذنوبنا، ويستتر لنا حوباتنا، وأن يعفو عن زلاتنا، وأن يغفر
لوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، كما أسأله تعالى أن يجزي
خيرا كل من أعان، وأشار، وراجع، وطبع، ونشر، وخطب، ومن كان السبب
في كتابته ونشره، كما أسأله تعالى أن يحفظ لنا مشايخنا الذين علمونا
وشجعونا وأعانونا وأن يجزيهم عنا وعن الإسلام والمسلمين خيرا الجزاء،
والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم على خير خلقك أجمعين، وعلى آله
وصحابه أجمعين.

وكتب/

أبو عبدالرحمن موفق الفاضلي العودي سده الله.

مركز الإمام الشافعي/قرية ماتر/محافظة إب.

القائم عليه شيخنا المفضل/

أبو الحسن قاسم الحبشي

حفظه الله تعالى.

فهارس الخطب

- المقدمة.....٢-
- الفصل الأول:
- ١-خطب في أحوال أهل الكتاب قديما وحديثا، ومواقف المسلمين منهم.....٤
- ٢-خطبة بعنوان : [(مكر بني إسرائيل منذ زمن قديم)]5
- ٣- خطبة بعنوان: [(مناهج اليهود السوداء عبر التاريخ)].....17
- ٤- خطبة بعنوان: [(يوشك أن تداعى عليكم الأمم)].....32
- ٥-خطبة بعنوان: [(إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع)]45
- ٦- خطبة بعنوان: [(أسباب نصر المسلمين على أعدائهم)].....57
- ٧- خطبة بعنوان: [(أسباب انهزام المسلمين أمام أعدائهم)].....71
- ٨-خطبة بعنوان: [(أهم أسباب النصر أو الهزيمة)].....85
- ٩-خطبة بعنوان: [(أهمية الدعاء في النصر على الأعداء)].....102
- ١٠- خطبة بعنوان: [(أسباب عز المسلمين وأسباب ذلهم)].....117
- ١١- خطبة بعنوان: [(وعد الله بخفظ هذا الدين من كيد الكائدين والماكرين)].....131
- ١٢- خطبة بعنوان: [(إعلام الناس بأن قوة الله أعظم من قوة أمريكا وحلفائها الأرجاس)].....14
- ١٣-خطبة بعنوان: [(تحذير أمريكا وحلفائها من العقوبات التي نزلت بأسلافها)].....153

١٤-خطبة بعنوان: [للتبعين سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة]..... ١٦٥

الفصل الثاني: أهم خطب غزوات النبي صلى الله عليه وسلم...

١- غزوة بدر الكبرى..... ١٧٨

٢- غزوة أحد..... ١٩٣

٣- غزوة الأحزاب (الخدق)..... ٢٠٦

٤- غزوة بني قريظة وبني قينقاع وبني النضير..... ٢١٧

٥- غزوة الفتح..... ٢٣٠

٦- غزوة حنين..... ٢٤٣

الفصل الثالث: خطب عامة متفرقة:

1 - خطبة بعنوان [آداب يوم الجمعة]..... ٢٥٦

2 - خطبة بعنوان [أسباب الكوارث والزلازل التي تنزل

بالمسلمين]..... ٢٦٧

3 - خطبة بعنوان [(مراحل أهل السعادة وأهل الشقاوة)]..... ٢٨٢

4 - خطبة بعنوان [(مفاسد كرة القدم)..... ٢٩٨

5 - خطبة بعنوان [(من عجائب القرآن في تأثيره على القلوب)]..... ٣١٢

الخاتمة..... ٣٢٧

